السنة الخامسة ـ العدد ٦٠ ـ صفر ١٤٠١ ـ ديسمبر ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



الحبوبة غروب شمس مؤسة ثقافية

عبد الله علي إبراهيم

القرن الهجري الجديد بين آلام الأمس وآمال الغد

د يوسف القرضاوي

أصدقاء الضحك القديم

صلاح عبد الصبور



اللورد مونتباتن يتذكر أحداث السويس



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

العدد ٦٠ ديسمبر ١٩٨٠

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
الأردن ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
السودان ٢٠٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للأفراد :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام
بدولة قطر

الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد إبراهيم الشوش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل الحداد
نائلة فتحي

سكرتير التحرير الفنيان
أحمد عبد الله
علي دياب

المسؤولية تعادل ما يسري عليها لشهرت أو قسم ينشر ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

ديسمبر ٨٠

العدد ٦٠

شئون عامة

١٠ د. يوسف القرضاوى
القرن الهجرى الجديد : بين آلام الأمس وآمال الغد

١٤ د. حافظ الجمالى
عالم الادهاش

١٨ د. محمد البهى
دور الأزهر فى تكوين الكتلة الثالثة

٤٦ د. عماد الدين خليل
شيء عن الأخلاق والحضارة

٧٤ عبد الله علي ابراهيم
الحبوبة

صفحات الرأى

٥١ درويش مصطفى الفار
اضغاث احلام : الهجرة وحركة الزمان

٨٠ النور عثمان أبكر
مواقف ثقافية : رينيه ماريا ريلكه

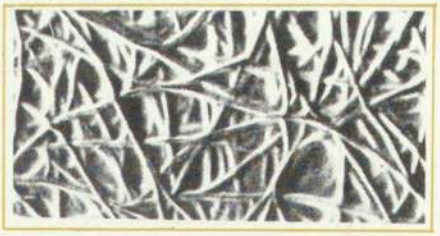
حياتنا المعاصرة

باشراف : خديجة الصدر

٨٤ كيف تنعم ببهجة الحياة ؟

٩٤ العقل الالكترونى .. فنانا !

٩٨ الطحلب «قصة من الخيال العلمى»



أدب و أدباء

٢٥ د. عيسى الناعورى
هوامش على مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر

٢٨ عايدة الشريف
محمود شاكر فى ساحة الدفاع عن الأصالة

٤٨ أم أكثم
قصة : من اين ياتى الخوف ؟
صلاح عبد الصبور
اصدقاء الضحك القديم

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

٧٢ حسنى شحاده
الجذع الذى نبتت عليه أغانينا
٧٨ لولوه المسند
الحزن والضباب «قصة قصيرة»
٧٩ تيراب الشريف أحمد
ثلاثية الاستفهام «قصيدة»
١٠٤ يحيى العوض
أسطورة حمد النيل
١٢٣ حازم مسعد الطيبى
المحنة «قصة قصيرة»
١٢٤ أحمد عبد السلام البقالى
١٠ شارع الملكة
١٤٦ درويش مصطفى الفار
الورقة الأخيرة
القرن الخامس عشر

استطلاعات

٣٦ د. حسن عيسى عبد الظاهر
الهوسا : أكبر تجمع إسلامى فى غرب افريقيا
١٠٨ نبيل خالد الآغا
عمان : عباءة الحب والأشواق
١٢٠ محمد على عبد الله
سوق الشارقة
١٣١ عبد المنعم الجداوى
الجبرتى وايام المماليك



الثقافة هناك

٥٨ بشير محمد صالح
لورد مونتباتن يتذكر احداث السويس .. ولكن !
٦٣ جمال كنانى
اجاثا كريستى سيدة الجريمة
٦٦ محمد ابو طالب
كاميل بيسارو : الفنان .. والأب

هذا العدد

كان الموعد المحدد اول يناير ..

وكانت البداية فى مثل هذا الوقت منذ خمس سنوات . وإذا كانت البدايات عادة ودائما تبدو صعبة ، فانها حين تصبح فى إطار الذكريات ، يلوح الأرق سهداً من أجل صباح جديد . والعرق بذلا من أجل هدف نبيل . والتوتر شحذاً للأوتار كي تعطى ادق الأصوات واصفاها بلا نشاز .

منذ خمس سنوات أعددنا العدد الأول من «الدوحة» للطبع من منازلنا . كنا نعمل طيلة النهار والليل بالتنسيق المتفق عليه فى فجر اليوم الماضى . ثم نلتقى فى فجر اليوم التالى فى بيت واحد منا ، نراجع معا ما تم إنجازه ، ونتفق او نختلف . لكننا نلتقى فى النهاية على الصيغة المثلى لما نتفق عليه من أحلام اليقظة لهذه المجلة التى قررنا لها ان تولد بقامة رجل ، وصوت مغن من طراز المغنين الشعبيين ، يلتقى فى حلقاته جمهور الخاصة والعامة . مغن ذو صوت عربى متدفق بوجدان هذه الأمة العريقة فى مرحلة تواجه فيها أخطر مؤامرات التجزئة والتفرقة ، والحيلولة دون وحدتها ، وترابطها !

فلما صدر العدد الأول فى يناير ١٩٧٦ تحقق لنا بعض الذى نحلم . ومع كل عدد يصدر ، تضاف الى الحلم سمات ورؤى جديدة . وها نحن ذا نصل الى العدد الستين فى إطار من حماس الدولة ، لأن تكون «الدوحة» وهجا ثقافيا عربيا ، وموردا ريق النبع والأصالة .

خمس سنوات صرنا خلالها الى عائلة كبيرة من المحررين ، والكتاب ، والقراء ، وعشرات الأفكار التى تولد بمشيمة الاحساس البكر بمسئولية هذه المجلة ورسالتها . فهل يحق لنا بعد ذلك ان نقول لقرائنا وكتابنا ونوحتنا : كل خمس سنوات وهم طيبون .

الدوحة

ابواب القراء



مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين « الدوحة » واصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت • سمعت • قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية •

فنون

٥٦ عبد العزيز ناصر
اتهامات ظالمة لهذا الفن الجميل
٨١ جمال قطب
الصدق والأصالة
١١٦ جمال قطب
ازمة الفنان والجمهور : الأصالة وعناصر التذوق فى معرض الفنان محمد على عبد الله
١٣٢ رءوف توفيق
فيلم تونسى يثير ضجة

من كل نبع قطرة

إشراف : كمال عمار
١٣٨ مقامات عبد الشكور : المقامة البخلوية
١٤٠ رحلة مع الف ليلة وليلة



رسائل إلى المحـــرر

شـــون عامـــة



● محمد المبارك خالد
ميلانو ـ ايطاليا

يسعدنى ان ازف لكم تهانى الصادقة واعجابى الكبير بمجلتكم الغراء والحافلة بكل مفيد فى شتى ميادين العلم والمعرفة ، كما واخص القائمين على تحريرها واعدادها وطبعها بجزيل التقدير والتمنيات الطيبة لهم بمزيد من النجاح والتوفيق فى عملهم الدؤوب .

لقد لمست والحق اقول تكاملا وجهداً عظيماً بين صفحاتها مما اكد لي انها بلا شك فى طليعة رائدات الثقافة والفكر والأدب فى وطننا العربى الكبير .

انها وقفة قصيرة قصدت بها تسجيل صوت تقدير لكم جميعاً كيف لا وقد تم لي بحمد الله زيارة المجلة فى عقر دارها بالدوحة الشهر المنصرم ، وكان لي شرف اللقاء بمحرريها وعلى رأسهم الدكتور محمد ابراهيم الشوش رئيس التحرير .

محمد المبارك خالد

● عبد الله حسين القبارى
المملكة العربية السعودية

إننى من قراء المجلة ، واطلبها بصورة منتظمة ، لكننى احصل عليها بعد عنت ومشقة إذ هى لا تصل الى منطقة نجران فهل تداركتم امر وصولها لنا معشر قرائها مع الشكر والتقدير للمجهود الذى يبذل فى اخراجها ومستوى موضوعاتها .

عبد الله حسين

● محمد مازن بندق
دمشق ـ سوريا

لا جدال فى ان الدوحة لا تطرح نفسها بغية المكسب والربح ، وإنما جلي وواضح تبنيها لرسالة المعرفة ونشر الثقافة . وكم اتمنى أن تقوم كل عاصمة عربية باصدار مطبوعة تحمل اسمها ، وتسهم كمجلة الدوحة فى سد الفراغ الثقافى الذى يعانى منه الشباب والمثقفون فى الوطن العربى .

محمد مازن

● وفاء سعدون
ميت غمر ـ دقهلية ـ مصر

عدد المجلة الصادر فى اكتوبر «برقم ٥٨» صورة نموذجية للمكتوب الذى يتلهف القارىء العربى لمطالعته .. ولوجه تحية خاصة للدكتور الكاتب رشدى فكار عن تناوله لحياة الفيلسوف الفرنسى «جان جيتون» ، واود ان تتبنى المجلة تعريفنا بالشعر والشعراء فى اوربا والعالم غير العربى .

وفـــاء ســـعدون

شـــون إسلاميـــة

● ازهرى محمد محجوب
الاسكندرية ـ مصر

كان مقال الدكتور القرضاوى عن الاسلام والعلم شيقا جاء حاويا لكافة الأدلة القرآنية . وكذلك الاحاديث النبوية الصحيحة . وقد كان فى كل الذى اورده من آيات واحاديث اعظم الدلالة على اهمية العلم ، وكفى بالعلم جهاداً وكفى به دفاعاً عن الاسلام ، وعلى المسلمين التصدى به للدفاع عن الدين والعقيدة والرد على الذين يجادلونهم .

ازهرى محمد محجوب



● عبد العزيز الطيب قرشى
الشكينيبة / السودان

كان مقال الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر «الاعلام الاسلامى فى ميثاق جاكرتا» الذى نشر فى العدد الثامن والخمسين من المجلة ، جهداً مقدراً فى سبيل تلمس الأدواء التى يعانى منها الاعلام بصفة عامة والاعلام الاسلامى بصفة خاصة .

والمطلوب ان تتحرك الدول الاسلامية قاطبة فى اتجاه النشر الاسلامى والتعريف بالاسلام من خلال كافة اجهزة الاعلام مع التركيز على الاجهزة المسموعة والكتاب .

عبد العزيز الطيب قرشى

استطـــلاعات

● صالح هبيهب سعيد
عدن ـ اليمن الديمقراطية

كل ما اعرفه عن جيبوتى انها بلد عربى ، وعضو فى جامعة الدول العربية . فهل تحملنا مجلة الدوحة ضمن استطلاعاتها الرائعة والمفيدة الى هناك ؟!

اتمنى ان يتم التعريف بجيبوتى من خلال مجلة الدوحة التى تتبنى التواصل وتحمله الى كل ابناء امتنا العربية .

صالح هبيهب سعيد

● يقوت عبد الله
تزنيت ـ المملكة المغربية

نشكركم على الاهتمام الذى اوليتموه للثقافة العربيـــة ، من اجل اعلاء كلمتها وبناء صرح مجدها بما فى ذلك الأبواب الثابتة التى يستفيد منها القارىء العربى ويتخذها كمرآة للنظر فى مستقبل الثقافة العربية واقترح عليكم ان تقوموا بالاستطلاعات لكل الدول العربية ، ليس فقط شبه الجزيرة العربية ، فمثلا بلدان شمال افريقيا خاصة المغرب الغنى بجماله الفتان ومآثره التاريخية . ارجو ان لا يقتصر استطلاعكم عن شبه الجزيرة العربية .

يقوت عبد الله

● محمد حسن محمد كوكو
الجزيرة ـ السودان

افتقد فى المجلة اقلاما عربية مثل الشاعرة «فدوى طوقان» وحبذا لو استضافتها المجلة مع نشر بعض اشعارها الحديثة ..

واود ان اشكر للكتاب كمال سعد ونبيل خالد الآغا ، اسهامهم فى اسعاد قراء الدوحة من خلال الاستطلاعات والكتابة فى واقع المدن قديمها وحديثها .

محمد حسن



● علي حسن بغدادى
سوهاج ـ مصر

افلحت الكاتبة نادية رزق فى إلقاء الضوء على نشاط المسرح القطرى فى استطلاعها المنشور فى عدد اكتوبر من مجلة الدوحة

وارجو ان تسهم الكاتبة فى الملاحقة المستمرة لنشاط المسرح فى هذه البقعة من أرض الخليج لحاجة الناس المستقبلية فى التاريخ والكتابة عن هذا النشاط

علي حسن بغدادى

يوسف إدريس

● محمد حسن الحصر
تلا ـ المنوفية ـ مصر

قرات مقال الدكتور يوسف ادريس «أين كنا ولماذا اصبحنا» فى العدد السادس والخمسين من مجلة الدوحة .

وأرى أن الدكتور يوسف ادريس قد غالى فى سخريته من مظهرنا وطعامنا كمسلمين . ولقد اقسم الدكتور يوسف ، أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما كان ليناقش مسائل كهذه لو كان موجوداً . واتساءل بدورى هل كان سيدنا عمر يرضى عن ممارستنا الكثيرة التى تغضب الله ؟! وهل كان سيناقشها أم كان سيعالجها على هدى كتاب الله وسنة رسوله ؟!

محمد حسن



● مصطفى بلوزه
الاسكندرية ـ مصر

وصل الدكتور يوسف ادريس فى قصته «الرجل والنملة» التى نشرتها الدوحة فى عدد فائت الى اعجاز فكرى وابداعى . ولقد لجا الى استخدام شكل واقعى جديد فى كتابة القصة ، على غير استخدامه السابق «للفانتازيا» فى معالجته لمسرحية «الجنس الثالث» التى نشرها منذ سنوات .

مصطفى بلوزه

ألبرتو مورافيا



● علي حسن بغدادى
سوهاج ـ مصر

فجاة وعلى غير العادة وطوال الأيام الأولى من شهر اكتوبر الماضى اصبح الأديب والمفكر والسياسى والفيلسوف العالمى الكبير البرتو مورافيا حديث الأوساط الأدبية كلها ، وذلك بسبب حديثه الشيق الذى خص به الدوحة وقراءها ونقله لنا من الايطالية الأستاذ / محمد سعيد مراسل المجلة هناك .

فعلى الرغم من ان الحديث المنشور بعدد اكتوبر ليس اول حديث صحفى للروائى الكبير فقد سبق لنا قراءة احاديث سابقة له ، إلا انه لم يتطرق فيها للحديث عن الفكر الاسلامى حيث أبدى اعجابه بذلك السلوك الفكرى المتحضر الذى لا يعرف التحيز لفكر على حساب فكر اخر دون أن تكون هناك دوافع واعتبارات قاطعة ، ولا يعرف التعصب لأن التعصب شعور بالنقص . ولقد قرا مورافيا الكثير عن الفتوحات الاسلامية خاصة فى الشمال الافريقى من مصر الى المغرب ، واعترف مورافيا بان الفتوحات الاسلامية كانت مطبوعة ومتميزة بسلوكيات الفروسية وشتى صور التسامح الذى حمل به العرب حضارتهم ونهضتهم .

علي حسن بغدادى

الأمة Al Ummah
إسلامية شهرية جامعة

ميلاد مجلة الأمة

مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، صدرت مجلة الأمة فى ثوب جديد ، لتعبر عن املها فى أن تستانف الأمة الاسلامية دورها فى قيادة البشرية بما تمتلك من رسالة انسانية وتجربة حضارية ..

وفى العدد الأول من المجلة الشهرية الاسلامية الجامعة ، حددت المجلة اهدافها منطلقة من حرصها على القيام بدور ايجابى بناء تجاه الأمة والعقيدة والانسانية ، فاتحة صفحاتها لجميع المسلمين فى كل بلاد العالم فالامة بعقيدتها ومقوماتها الفكرية وليست بعروقها والوانها وحدودها الجغرافية ..

وقد دعت مجلة الأمة فى عددها الأول كافة المسلمين الى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ونبذ التفرقة والتنازع والتنابز ، حتى لا تضعف قواهم وحتى لا يشغلوا انفسهم بالفروع دون الأصول ...

وفى نفس الوقت طالبتنا بالابتعاد عن طرح المشكلات التاريخية التى اشبعت درسا وبحثا وان لا نستبقى منها غير القيمة التاريخية فقط .. فهى مجلة لمعالجة مشاكل المسلمين وتحدياتهم الثقافية والحضارية ، كما انها تعطى التفسير الاسلامى للحياة ..

وقد زخر العدد الأول من مجلة الأمة بالعديد من المقالات التى كتبها كبار الكتاب والمفكرين فى العالم الاسلامى ، ومن بينهم الدكتور عماد الدين خليل ، والدكتور يوسف القرضاوى ، والدكتور محمد البهى ، والدكتور حسن عيسى عبد الظاهر ، والأساتذة عمر عبيد حسنة واحمد محمد الصديق واحمد ديدات وانور الجندى وبدر محمد بدر وعدنان السبيعي ..

وكانت معظم مقالات العدد تدور حول عدة موضوعات تهم المسلمين فى كل مكان ، من بينها المكان الصحيح للقيم الاسلامية ونحن نستقبل القرن الخامس عشر الهجرى ، ووجهة العالم الاسلامى فى القرن الجديد ، والخصائص المتفردة للأمة الاسلامية ، والمد الاسلامى ، وما يواجهه المسلمون من تحديات فى جنوب افريقيا ، وتطبيق العلمانية فى الاسلام ، ومستقبل القدرة العسكرية فى العالم الاسلامى ... وهذا بخلاف ما تضمن من اخبار واستطلاعات من بينها : استطلاع ملون عن مكة المكرمة باعتبارها منزل الوحى ورمز الوحدة الاسلامية .. واستطلاع عن جامعة قطر كمنارة للفكر العربى الاسلامى وصرح علمى متطور .. كما تضمن العدد الأول عدة مقالات علمية من بينها مقال عن عالم الطير ومقال عن ايات الله فى الحياة والكون ...

ومجلة الأمة بكل ما فيها من زخم مليىء بالحيوية والحركة والنشاط ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى قطر ، ويراس تحريرها فضيلة الشيخ عبد الرحمن آل محمود وكيل رئاسة المحاكم ، وهو شاب قطرى طموح ، يتحلى بالقدرة على المثابرة والبحث والاستزادة بالعلوم الاسلامية ... ولذا فان المجلة فى ميلادها الجديد إنما هى اضافة الى الاعلام الاسلامى ورسالة سامية تسعى الى مستقبل افضل لأمتنا الاسلامية الخالدة ..

ومع ميلاد مجلة الأمة فى صورتها المتالقة ، نتمنى لها ولأسرة تحريرها ولجميع العاملين فيها كل التقدم والازدهار فى سبيل إعلاء كلمة الدين والحق .

مؤتمر القمة الحادى عشر
فى عمّـــــــان



جاءت القمة العربية التى عقدت فى عمان هذا الشهر فى وقت حاسم ، لتضع نصب أعينها كل ما يواجهها من تحديات أثناء مسيرتها لبناء قوتها العربية ورسم طريقها نحو الغد المشرق من منطلقات تهدف الى توحيدها والقضاء على كافة العوامل التى تؤدى الى تفككها وتمزقها .

وفى هذا اللقاء الكبير جاءت مشاركة سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لتؤكد حرص دولة قطر وشعبها على دعم البناء العربى وترسيخه ، وإيمانا منها بوحدة المصير العربى وقدرة الأمة العربية على تحقيق أهدافها المنشودة مادامت مسلحة بروح التضامن والتكاتف الأخوى ..

وقد جاء البيان الختامى لمؤتمر القمة العربى الحادى عشر منطلقاً من الوضع العربى الراهن والتطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية التى طرأت على الساحتين العربية والدولية منذ إنعقاد مؤتمر القمة العربى العاشر فى تونس .. ولذا كان لابد أن يتدارس القادة العرب النزاع العربى الصهيونى واستعراض تطوراته واتخاذ القرارات التى تهدف الى تعزيز القدرة العربية وبناء القوة الذاتية فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ..

وأكد أعضاء المؤتمر التزامهم جميعاً بالعمل والنضال من أجل التصدى للخطر الصهيونى الذى يهدد وجود هذه الأمة.وجاءت كل موضوعات وقرارات المؤتمر لتؤكد الحرص على وحدة الشعوب العربية ، والقناعة بان الأمن القومى يستلزم وجود قاعدة اقتصادية صلبة لا توفرها سوى التنمية القومية الشاملة ، والتمسك بالذاتية الثقافية والحضارية للوطن العربى ..

وخرج المؤتمرون – بفضل روح التعاون العربى الصادق الصريح – وهم أكثر إصراراً على الحفاظ على الرسالة العربية والمسئولية القومية التى تتطلب ضرورة مواصلة العمل العربى المشترك الجاد ، الذى يواجه – فى قوة – كافة الأخطار والتحديات التى تستهدف الأمة العربية .

عدسة : كمال راشد









القـــرن الهجـــرى الجـديـد

بيـــن آلام الأمس وآمـــال الغـد

د . يوسف القرضاوى

ودعت الأمة الاسلامية قرنا حافلا بالكفاح والصراع ضد الاستعمار بانواعه من ناحية ، وضد التخلف بالوانه من ناحية أخرى ، وضد التفرق والتمزق من ناحية ثالثة ، وضد التيارات الدخيلة ، والحركات العميلة، من ناحية رابعة .. وحققت بعض الانتصارات حينا ، كما خسرت بعض المعارك حينا آخر ، وحالفها النجاح فى بعض المجالات واصابها الاخفاق فى أخرى .

انتصرت على الاستعمار العسكرى والسياسى ، ولكنها لم تتحرر تماما من الاستعمار الثقافى والتشريعى والاجتماعى ، كما لم تزل تعانى من الشوكة الدامية التى غرست فى جنبها ، وفى قلب أرضها وهى اسرائيل .

وسعت قاعدة التعليم ، فانتشرت المدارس والجامعات ، ولكن الأمية لاتزال غالبة على بلاد المسلمين ، ولازلنا عالة على غيرنا فى كثير من فنون العلم والتكنولوجيا .

واجتهدت امتنا فى تطوير الزراعة والصناعة ، ولكن ما برحنا نعتمد ـ بصفة اساسية ـ على الاستيراد فى سد حاجتنا من القوت اليومى (الخبز) وحاجة جيوشنا من السلاح الذى ندافع به عن انفسنا .

ونادى المنادون باقامة «جامعة اسلامية» أو «كتلة اسلامية» فى مواجهة الكتل العالمية الاخرى ، وتعويضا عن القلعة الاسلامية التى كادت لها القوى المعادية للاسلام حتى اتت عليها من القواعد ، وهى الخلافة ، فباءت بالفشل ، واكتفوا فى النهاية باقامة «جامعة عربية» و «تضامن اسلامى» انتهى بهما الأمر الى ما نرى ونلمس من تصدع داخل الجبهة العربية ، وتمزق داخل الجبهة الاسلامية ، الى حد الاقتتال الضارى ، باحدث أسلحة الدمار فى البر والبحر والجو ، حتى غدا اقرب وصف لهم بانهم «اشداء على انفسهم ، رحماء مع غيرهم ..» وصدق فيهم ما ذم القرآن به اليهود من قبل «باسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بانهم قوم لا يعقلون» .

منطق الايمان

وتجاوبت الصيحات الاسلامية فى شتى الاقطار بوجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، وإحلالها محل القوانين الوضعية ، والمناداة بالحل الاسلامى ، بديلا للحلول المستوردة من الشرق والغرب ، ولا تكاد المسيرة تقترب من غايتها ، حتى تعود القهقرى ، بكيد القوى العميلة ، والحركات الدخيلة ، وتذهب تلك النداءات المخلصة المعبرةعن روح الأمة صيحة فى واد ، ونفخة فى رماد ، كما يقولون . ترى ، هل يكون هذا الختام الأليم لقصة الجهاد والكفاح لامتنا فى نهاية القرن المنصرم ، داعيا الى اليأس من مطلع الفجر ، وهي تستقبل القرن الجديد ؟

قد يروج ذلك المثبطون والمخذلون ، وقد يسمع لهم اليائسون والمتشائمون ، الذين يرون الأمور من خلال منظار أسود ، والذين يضخمون السلبيات ، ويصغرون الايجابيات ، أو يسقطونها من الحساب .

والذى نؤكده هنا أن منطق الايمان لا يعرف اليأس والقنوط أبدا «فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» .. ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون .

وسنة الله مداولة الأيام بين الناس ، والدور الآن لنا ، والريح فى صالحنا ، وقد علمتنا كلمات الله المقروءة والمرئية أن بعد الليل فجرا ، وأن مع العسر يسرا ، وان أحلك ساعات الليل سوادا وظلاما هى التى تسبق انبثاق الفجر ..

والمريض الذى يتحول من مرحلة الغيبوبة المطبقة ، والشلل الكلى ، الى شىء من الحركة والكلام ، يقول الناس : قد زال عنه الخطر ، ورجي له الشفاء ، فكيف اذا قام من سريره وغدا وراح ؟ وكيف اذا تحول صوته الى هدير وزئير ، وحركته الى عمل دائب وكفاح مرير ؟؟

يقظة الأمة

لقد خرجت امتنا من الكهف ، ونفضت عنهاغبار النوم ، وسرت فيها يقظة شاملة وصحوة حقيقية ، كان وراءها رجال مصلحون صادقون ، فى أول القرن ووسطه وآخره ، قام كل منهم بجهد مشكور ، وجهاد مقدور ، آتى أكله فى حياته او بعد مماته ، وفقا لسنة الله التى لا تتبدل .

هذه اليقظة التى شملت العالم الاسلامى كله من المحيط الى المحيط ، بل شملت المسلمين خارج العالم الاسلامى ، لم تعد مجرد يقظة شعورية عارضة ، أو ثورة شعبية طارئة ، حركها زعماء غاضبون أو قادة ثائرون ، فى مواجهة الهجمة الاستعمارية ، والغزوة الصليبية الحديثة .

لقد تحولت اليقظة الى دعوة ، والدعوة الى حركة عالمية ، هزت الأمة من الأعماق ، وغيرت الرأى العام الى صف

● إن منطق الايمان لا يعرف اليأس « فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

● لقد علمتنا كلمات الله أن أحلك ساعات الليل سواداً هى التى تسبق انبثاق الفجر

● لم يعد مفهوم الجهاد مقصورا على تحرير الأرض بل تجاوزه إلى تحقيق « الذات الاسلامية »

الاسلام ، وانشات جيلا بل أجيالا مسلمة الفكر والعاطفة والسلوك ، تعمل بالاسلام ، وتعمل للاسلام ، وتجاهد فى سبيل بقائه بالنفس والنفيس ، وتلقى الغزو الفكرى على يديها ضربات ، جعلته يقف مذعوراً ، أو يرجع مذءوماً مدحوراً ، وعاد كثير من دعاة «التعريب» يتملقون الجماهير المسلمة ، وبدأ كثير من المستشرقين يراجعون انفسهم فيما يكتبون ، وطفق الشعور بالهزيمة أمام الغرب يتضاءل يوماً بعد يوم ، نتيجة شعور الاستعلاء الاسلامي الأصيل .

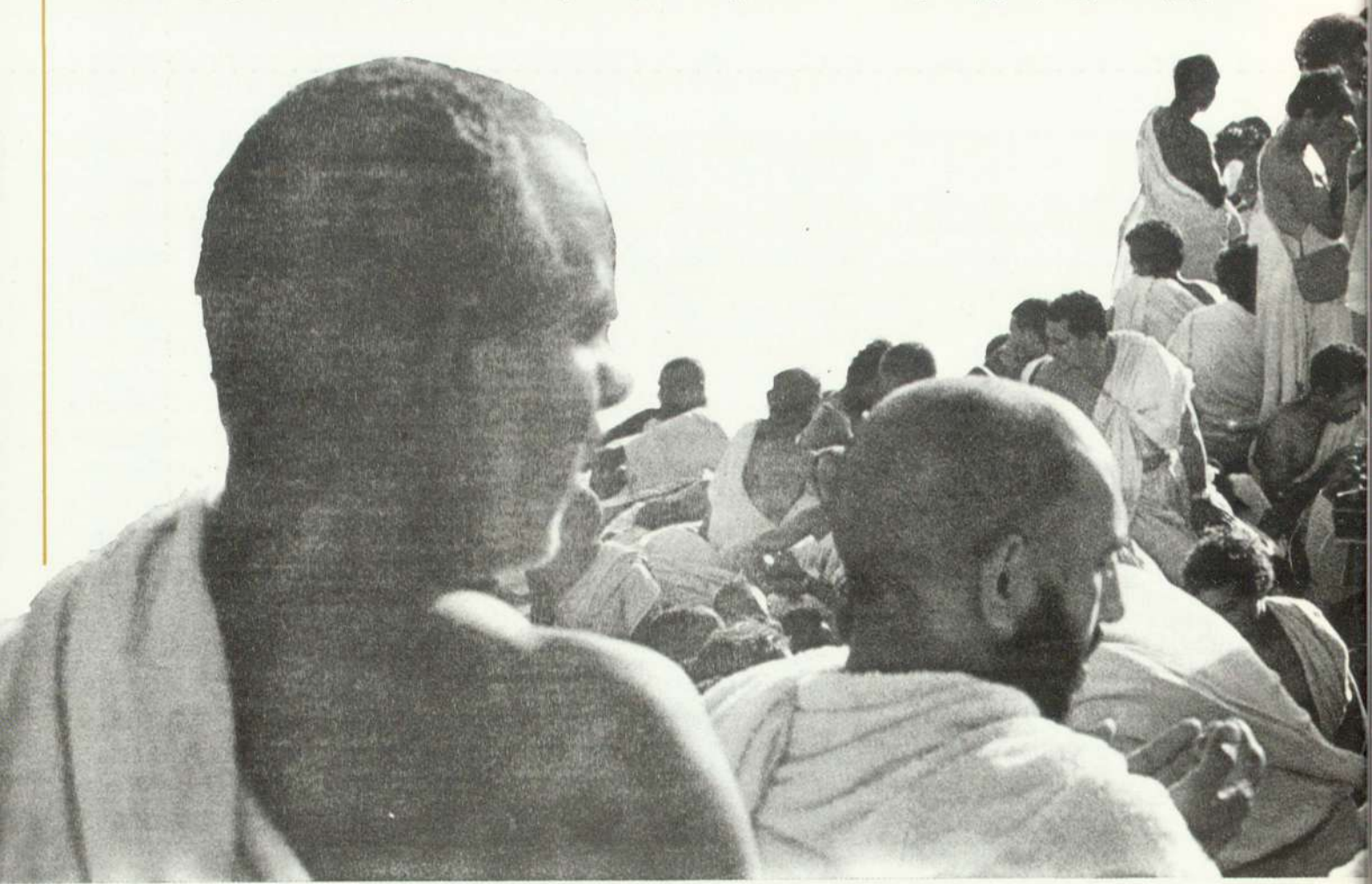
ولما يعد مفهوم الجهاد ـ كما كان أول الأمر ـ مقصوراً على تحرير «الأرض الاسلامية» بل تجاوزه الى «تحقيق الذات الاسلامية» وذلك بتحقيق الرسالة الاسلامية : ديناً ودولة ، عقيدة وشريعة خلقاً وجهاداً ، عبادة ومعاملة ونظام حياة .

الفراغ الفكرى

قد تظهر هذه الحركة للعيان ، وقد تكمن كمون النار فى البركان ، حتى تأتى لحظة الانفجار ، فاذا هى إعصار فيه نار ، تدمر كل شىء بأمر ربها . وهى اللحظة التى تخشاها أجهزة الرصد ، وتحسب لوقوعها المفاجيء الف حساب .

ومن دواعى الأمل :

أن الحضارة الغربية التى غلبت على العالم زمناً غير قصير ، أفلست فى منح انسانها السعادة التى ينشدها . إنها هيأت للانسان الرفاهية والمتعة ، ولكنها



● الحضارة الغربية هيأت للانسان الرفاهية والمتعة ولكنها لم تحقق له السكينة والطمأنينة

القرن الهجرى الجديد بين آلام الأمس وآمال اليوم













لم تحقق له الأمن والسكينة . إنها متعت جسده ، ولكنها عذبت روحه . أعطته أشياء كثيرة يعيش بها ، ولم تعطه شيئاً ذا بال يعيش له . أعطته الوسائل والآلات ، ولم تعطه المقاصد والغايات . اكتشفت «قوانين المادة» فسخرتها وفقاً لما تمليه المنفعة القومية ، لا طبقاً لما يفرضه الواجب الانسانى ، لأنها لم تكتشف بجوارها قوانين النفس الانسانية ، وكيف يفلح من زكاها ، وكيف يخيب من دساها . فبقي الانسان فى تلك الحضارة ـ رغم تقدم العلوم المختلفة ـ «ذلك المجهول» كما يقول «الكيس كاريل» .

إن الانسان هناك يعانى القلق النفسى الجمود العاطفى ، التحلل الخلقى ، التخبط الفكرى ، التفسخ الأسرى ، والتناقض الاجتماعى .

وهذه الظاهرات التى نراها بادية للعيان فى أبناء هذه الحضارة مثل من يسمونهم «الهيبيز» إنما هى أحد إفرازات هذه الحضارة ، وبعض ثمارها .

إن هؤلاء يمثلون التمرد على مادية

● اللحظة التى تخشاها أجهزة الرصد المعادية ، وتحسب لوقوعها ألف حساب

● نحن أصحاب الحضارة التى ربطت الأرض بالسماء وجمعت بين المثالية والواقعية



هذه الحضارة وأليتها .

إن حياة الرفاهية ، والأزرار الاتوماتيكية ، لم تشبع نهمهم الروحى ، ولم تملأ فراغهم الفكرى والنفسى ، فانتفضوا عليها ، وهرعوا الى حياة بدائية ، أشبه بحياة انسان الصحراء .

أخلاقيات الحضارة

على أننا حين نبدأ مسيرتنا اليوم نحو الغد المرجو ، لا نبدأ من الصفر ، ولا ننطلق من فراغ ، فلسنا غرباء عن الحضارة ، ولا دخلاء على التاريخ . إننا أصحاب مواريث ثقافية وحضارية ، ممتدة الأصول ، باسقة الفروع .

إننا أصحاب الحضارة التى تميزت بغايتها الربانية ، ووجهتها الانسانية ، ونزعتها العالمية ، وفكرتها الوسطية ، ونظرتها الشمولية ، وصبغتها الأخلاقية

إنها الحضارة العربية الاسلامية ، التى ربطت الأرض بالسماء ، ووصلت الدنيا بالآخرة ، وجمعت بين المثالية والواقعية ، ومزجت المادة بالروح ، ووازنت بين الحقوق والواجبات ، وأخت بين العقل والقلب ، ووفقت بين مطالب الفرد ، ومصلحة المجموع ، فى غير طغيان ولا إخسار ، استجابة لنداء الله «الا تطغوا فى الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» .

إنها الحضارة التى سادت الدنيا عدة قرون ، وأضاءتها بنور العلم والايمان ، يوم كانت أوربا لا ترى الضوء إلا من سم الخياط .. وكانت اللغة العربية هى لغة العلم الوحيدة فى العالم ، والتى كتبت بها المؤلفات العلمية التى كانت مراجع العلماء فى جميع أقطار الأرض ، وكانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء وألمعها فى دنيا العلم ، وكانت جامعاتنا قبلة الطلاب فى كل مكان .

الأمة والريادة

ثم إننا ـ بغض النظر عن تاريخنا ومواريثنا ـ نملك فى حاضرنا من أسباب القوة والعزة ومقومات السيادة والريادة ما يؤهلنا للقيام ـ خلال القرن القادم ـ بدور مرموق فى هداية البشر ، وقيادة سفينتها المضطربة بين الأمواج الى بر الأمان والطمأنينة .

ولقد أشار الى ذلك سمو أمير قطر فى خطابه الجزل الذى افتتح به «المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية» الذى انعقد تحت رعايته بالدوحة فى المحرم سنة ١٤٠٠ هـ . حين قال :

«إن أمتنا الاسلامية ، تملك من وسائل التفوق ، وأسباب الريادة ما يجعل منها القوة العالمية الثالثة ، التى تقيم موازين القسط بين الشرق والغرب ، وتكون كما أراد الله لها أمة وسطا .

تملك أمتنا أولا : الثروة البشرية .. فنحن المسلمين نبلغ حوالى ربع سكان العالم ، وللثروة البشرية دورها فى بناء الحضارة الانسانية .

وتملك أمتنا ثانيا : القوة المادية ، بموقعها الجغرافى ، ومساحتها الشاسعة الممتدة وثرواتها الهائلة ، وتكاملها الاقتصادى .

وتملك ثالثا : القوة الروحية ، بعقيدتها الصافية ، ورسالتها التى ختمت بها النبوات ، وبكتابها الخالد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وبتراثها الأصيل وتاريخها المجيد .

وكل هذا جدير أن يمد أمتنا بمقومات العزة والسيادة ، وحوافز الخير والهدى إذا هى تمسكت بعروتها الوثقى «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم» وهو جدير أن يمدها كذلك بمضاء العزيمة لاستخلاص الحق ، وبوحدة الكلمة فى مواجهة الباطل ، حتى تتبوأ أمتنا مكانتها ، وتملى إرادتها وتحرر أرضها ، وتستعيد مقدساتها ، وعلى رأسها القدس الشريف ، والمسجد الأقصى ، الذى بارك الله حوله . «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» .

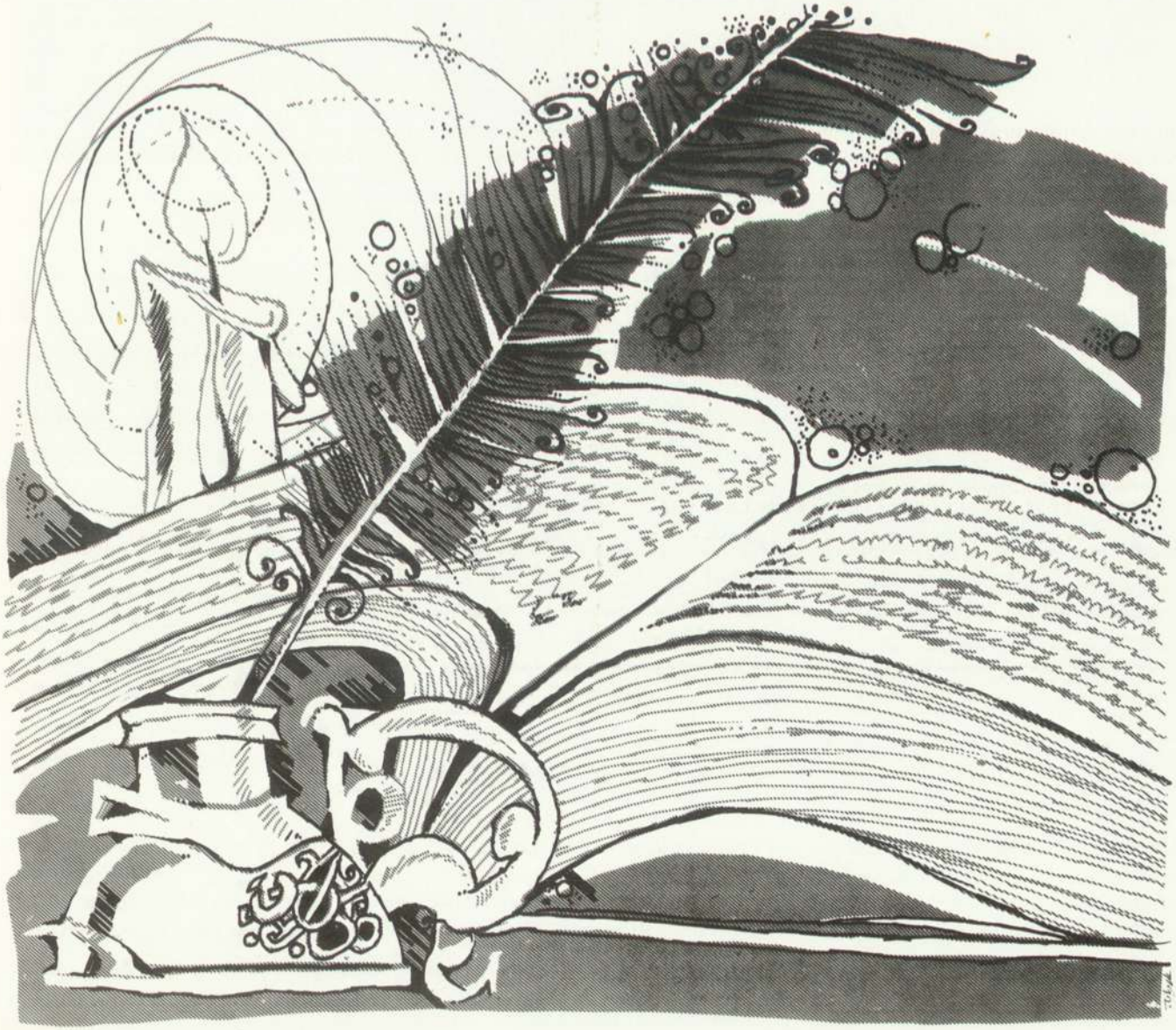
د. يوسف القرضاوى

عالم الادهاش

حافظ الجمالى

تمنيت ، مرات كثيرة ، لو أن الصحافة والمجلات الدورية ، كانت معروفة منذ زمن طويل ، ولم أتمن ذلك عبثاً ، بل كثيراً ما تساءلت على ضوء أحداث التاريخ العربى ، ماذا كان فى وسع القوم الذين عاصروا تلك الأحداث أن يقولوا فيها ، أو تعليقاً عليها ؟ وعلى سبيل المثال ، ماذا كان يقوله كتاب العصر ، حول حرب الأمين والمأمون ، أو حول قتل المتوكل ، أو حول الجيش العربى أيام المعتصم ، لاحلال الجيش التركى مكانه ؟ أتراهم كانوا يقولون فى ذلك ما نقوله نحن اليوم منقسمين بين مؤيد ومعارض ، أو بين لائم ومحبذ ، بأكثرية تميل الى هذا الطرف او ذاك ، أم أنهم سيختلفون جذرياً عنا فى تعليقاتهم ؟ لست أدرى ولكنى أجد نفسى لا معاصراً لجزء من التاريخ العربى وحده ، بل لكل التاريخ العربى ، ولو أنى لا أعيش إلا بعضه . ذلك أن التاريخ المكتوب نفسه يعود بى الى الوراء ويجعلنى أعاصر كل ما حدث فى الماضى ، من العهد الجاهلى حتى هذا العهد الذى أنا فيه .

ويبدو أنه لابد للانسان من تلخيص



نحن شعب يحب الادهاش إما بصورة ذاتية .. وإما بصورة موضوعية

ومن ذاق من الأقدار ما ذاقه العرب ، وظل حيا من شعوب الأرض كلها ؟!

كل ما يعرف من تاريخ أمته ، أو تاريخ أمة أخرى فى بعض الانطباعات . ولئن سئلت عن هذه فيما يتصل بتاريخنا نحن أى التاريخ العربى لقلت بسهولة : إن أبرز أو من أبرز هذه الانطباعات ، هو اننا شعب يحب الادهاش ، إما بصورة ذاتية وعن سابق تصور وتعمد ، وإما بصورة موضوعية ، وبلا تعمد سابق .

ولكى أوضح فكرتى هذه الساخرة ، أذكر أن أحد كتابنا أثار الكثير من الاعجاب فى تعليقاته الساخرة ، الذكية على ما يقع من أحداث . وحدث ذات مرة أن استضيف فى قطر عربى آخر ، وتجمع حوله الصحفيون ليسألوه عن انتاجه ، وأفكاره واتجاهاته ، وما يحب أو يكره كعادة الصحفيين . وصادف أن طرحت عليه إحدى الصحفيات ، السؤال التالى:

ـ من أين ، يا أستاذ ، تستمد أفكارك ؟ أمن نفسك مباشرة ، أم تستند إلى ... الى شىء ما ؟ .

ويجيب الكاتب قائلا :

ـ طبعاً ، إنى أستند الى شىء ما .

ـ وما هو ؟

ـ إنى أستند الى الطاولة .

لا ريب أن كاتبنا هنا ، لم يرد إلا إدهاش السامعين ، بخفة دمه ، وحدة ذكائه . لكن المقصود من السؤال ، ليس هو الذى أريد الجواب . وبالتالى فان حب الادهاش غلب على حب الاخبار بالحقيقة .

والآن أتساءل : هل هذا النوع من حب الادهاش أمر يخص شخصاً بعينه ، فينا أو أن للمسألة وجهاً آخر ، يصح معه القول : إن هذا الحب ، حب الادهاش ، سمة عامة لشعبنا كله ، فى الماضى ، كما فى الحاضر ، لا تخلو منها أية فترة من فترات حياتنا ، وهى تتجلى بصورة أو بأخرى فى أكثر صور حياتنا ؟

من خلال التاريخ

وأعود فأكرر القول إنه لا ينبغى أن نحسب أن حب الادهاش مقصود دوماً ، أو مصمم عليه بالضرورة . ذلك أن سمات الطبع تتجلى فى حياتنا ، أردنا ذلك أم أبيناه . وكما يقول الشاعر :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس ، تعلم

ولقد قرأت فيما قرأت قصة الفتوحات العربية الكبرى لغلوب باشا ، قائد الجيش الأردنى سابقاً . وأذكر هنا أن الكتاب ، كما بدا لي ، جيد ، وأنه مليىء بالاطراء للشعب العربى ، لكن الذى أدهشنى فعلا ، هو أن المترجم «خيرى حماد» يحاسبه حساباً عسيراً على الصغيرة والوسطى والكبيرة ،كما لو أنه مسلم لا مسيحى ، وكما لو أن عليه أن يؤمن بديننا كما نؤمن نحن به ، دون أى فرق ، فاذا خرج عن هذا الاطار اتهم بالدس ، والغرض ، والتحريف ، والتشويه . أوليس مما يدهشنا أن نرى مسلماً يطالب من ليس على دينه أن يكون مسلماً مثله ، دون أن يكلف نفسه ، هو ، مهمة التبشير ؟

وعلى كل حال ، فان غلوب باشا ينهى كل فصل من فصول كتابه ، بخلاصة قصيرة ، يوجز فيها الأحداث التى روى قصتها . وعلى سبيل المثال ، أذكر بعض الخلاصات لثلاثة فصول متتابعة نقرأ فيها ما يلى :

- وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وولاية أبى بكر : حزيران ٦٣٢
- حملة أسامة : تموز ـ أيلول ٦٣٢
- هزيمة المرتدين فى ذى القصة آب ٦٣٢ .
- موقعة بزاخة وهزيمة طليحة : تشرين الأول والثانى ٦٣٢ .
- معركة اليمامة وهزيمة مسيلمة : كانون الأول والثانى ٦٣٣ .
- اخضاع عمان : شباط ـ آذار ٦٣٣ .
- اخضاع اليمن ونهاية حروب الردة : أيار ـ حزيران ٦٣٣ .
- خضوع الحيرة : أيار ٦٣٣ .
- الاستيلاء على الأنبار وعين التمر : خريف ٦٣٣ .
- ثلاثة أرتال عربية تغزو فلسطين والأردن : شتاء ٦٣٣ ـ ٦٣٤ .
- خالد بن الوليد يجتاز البادية : كانون الثانى ـ آذار عام ٦٣٤ .
- اشتباكات خالد مع الروم فى مرج راهط ، خارج دمشق : نيسان ٦٣٤ .
- توقف الأرتال العربية عند اليرموك : أيار ٦٣٤ .
- اليرموك الثانية : ٢٠ آب ٦٣٦ .
- استسلام القدس : أيلول ٦٣٧ .
- زيارة عمر بن الخطاب للقدس : ٦٣٨ .
- احتلال المدائن عاصمة كسرى : نيسان ٦٣٨ .
- فتح الأهواز : بين ٦٣٨ ـ ٦٣٩ .
- بناء الكوفة : ٦٣٩ .
- اجتياز عمرو بن العاص حدود مصر : كانون الأول ٦٣٩ .
- احتلال الاسكندرية : أيلول ٦٤٢

والخلاصة : إن أكبر وأعظم الفتوحات العربية تمت خلال إثنى عشر عاماً . وكذلك فان أكبر دولتين فى ذلك الزمان ، أى الدولتين العظميين التاريخيتين ، الفرس والروم قد سحقتا سحقاً ، على يد جيش عربى صغير ، لم يزد عدده فى أحسن الأحوال ، على ستين ألف جندى . أما مصر ، فيقال إن عمرو بن العاص دخلها بثلاثة آلاف جندى . فلما طال على عمر بن الخطاب أمر فتحها ، أنجد قائده بألفين آخرين ، وكتب اليه انه ليس عليه بعد الآن أن

يشكو من قلة من معه !!

ولقد ألفنا رواية هذه الفتوحات ، إلفة أزالت منا النكهة الأولى للاحساس بها ، ولاسيما لمعاصريها العرب ، وغير العرب ويكفى أن نتخيل الآن أن دولة صغيرة كالأردن ، مثلا ، تهاجم الدولتين العظميين فى هذه الأيام ، وتتغلب عليهما ، وتحتل أكثر أراضيهما . أفيمكن أن يوجد عندئذ ما هو أبعث على الدهشة ؟ والحقيقة أن نسبة الأردن الى هاتين القوتين كنسبة العرب الفاتحين الى دولتى الروم والفرس فى ذلك الحين .

وهنالك قصة تروى عن الخليفة عمر ابن الخطاب ، خلاصتها أنه تساءل عما يجب أن يفتح من البلاد ، بعد فتح فارس ومصر ، فلم يجد فى ذلك الحين ، ما يستحق عناء الحرب . ولست أدرى أصحيحة هذه الرواية ، أم هى غير صحيحة . ولكنها على كل حال ، ذات دلالة . أن لدى عمر شعباً متفجراً ، يهدر كالسيل ، ويطيح بكل ما أو من يعترض طريقه . وما هو إلا أمر يصدر منه ، حتى يكون الأمر الخطير مقضياً . فلم لا يتساءل إذن عن البلاد الأخرى الجديرة بالفتح ؟

العرب والاسكندر المقدونى

ولا يمكن القول : إن هذه الانتصارات الرائعة ، كانت مجرد مصادفة ، لأنها تتابعت باستمرار حتى عهد الوليد بن عبد الملك أب عام ٧١٤ م . بعد أن احتلت اسبانيا وجنوب فرنسا ، وتتابعت بدرجة أدنى طبعاً ، بعد الوليد بزمن طويل نسبياً . لاريب إذن أن الشعب العربى قد شحن نفسياً بقوى نووية ، ما إن تتفجر واحدة منها وتخمد ، حتى تتبعها الأخرى بنفس القوة ، ومما لا يكثر حدوثه فى التاريخ .

ومع ذلك فان بالامكان تشبيه الفتوحات العربية بفتوحات الاسكندر المقدونى ، الذى نجح أبوه فيليب فى توحيد دويلات اليونان كلها ، بدءاً من مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على الثلاثين ألفاً ، فضلا عما كانوا فيه من تخلف بالنسبة الى حضارة أثينا وطيبة وغيرها من المدن الاغريقية . فلما جاء الاسكندر تابع مشروعات أبيه فى فتح آسيا الصغرى ، وسورية ، ومصر ، وفارس ، وأجزاء أخرى من الهند ، أطل منها على المحيط الهندى . ولا يدرى أحد أين كان سيستقر به المطاف لو أن جنده لم يرهقوا بمسيراته الكبرى ، وكل ذلك خلال ثلاثة عشر عاماً (من عام ٣٣٦ ـ ٣٢٣ ق.م) ، مقابل اثنى عشر عاماً للعرب . إلا أن هناك فوارق عظيمة بين الفتح العربى ، وفتوحات الاسكندر :

١ ـ أولها أن الفتح العربى عرب الشعوب المغلوبة لغة ودينا . وحيث زالت اللغة بقى الدين . على حين أن كل جهود الاسكندر فى «أغرقة» البلاد المفتوحة ، لم تثمر شيئاً ، بحيث استطاع

تويتبى أن يلاحظ أن ألف سنة من تاريخ الأغرقة ، ظلت وكأنها لم توجد ، أو كغريبة عن الديار . فلما جاء العرب ، اتصل ما انقطع منذ عشرة قرون ، ليتابع مسيرته القديمة .

٢ ـ إن العهد الهيلينستى ، لم يوصف كحضارة منبعثة من جديد ، بل كحضارة مقلدة لما سبقها ، وأدنى منها ، على حين أن الفتح العربى ، رافقه انبعاث حضارة جديدة ، كل الجدة ، على ما استمدته من عناصر الحضارات السابقة . وخلافاً لما يمكن أن يفكر به الانسان ، من أن الحضارة العربية ، كانت تتجلى فى التقدم العلمى أو التقنى أو الصناعى بالدرجة الأولى ، فان المضمون الأساسى لحضارتنا ، كان جملة قيم انسانية تلغى (أو تحض على إلغاء) العبودية ، وتوحد بين الناس ، وتجعلهم سواسية ، لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى ، على حين أن عقولا كأفلاطون وأرسطو ، كانت تقسم الناس الى قسمين متمايزين ، كل التمايز ، بفوارق نوعية ، كاليونان والبرابرة ، والأحرار والعبيد . فكأن الاعتراف بالقيمة المقدسة للانسان وبتساوى هذه القيمة بين كل الناس ، هو المضمون الأول للقيم الاسلامية ـ العربية ، بغض النظر عن التزام أو عدم التزام السلطة القائمة ، بهذه المبادىء .

٣ ـ لم توحد الدولة العربية فى الجزيرة الأصل وحدها ، بل إن ما فتح من البلاد ، كله تقريباً ، باستثناء بلاد فارس أصبح مع الفتح العربى أمة واحدة ، ووطناً واحداً ، ولو أن التجزئة قد أصابته منذ عهد بعيد . ذلك أن الطموح فى كل البلاد العربية هو طموح وحدوى ، لا يجد سبيله الى التحقيق ، بحكم رغبات الأنظمة القائمة . على حين أن التوحيد الاغريقى مع الاسكندر لم يتجاوز إطار اليونان . وما من أمة غير اليونان تأغرقت ، وأصبحت تنتسب الى الأمة الفاتحة .



وهكذا نجد أن «الادهاش العربى» حادثة فريدة فى التاريخ ، ما نظن أنها ستتكرر مرة أخرى . وبطبيعة الحال فان هذا الادهاش ظل قائماً بعد عصر التألق كما قبله . أو ليست مقاومة العرب لغزاتهم وفاتحى أرضهم ، وناهبى خيراتهم ، وسالبى السلطة منهم ، وبقاؤهم أحياء ، عنيفى الحياة ، حتى الآن ، حادثة فريدة ومدهشة أيضاً ؟ ومن ذاق من الأقدار ، ما ذاقه العرب ، وظل حياً من شعوب الأرض كلها ؟

مسكينة هى أجيالنا القادمة التى ستتساءل دوماً : متى نتقدم ؟!

الادهاش الجديد

ولكن هل انتهى عهد الادهاش العربى عهد البطولات المتألقة فى السراء والضراء ، فى الهجوم أو المقاومة ، فى النصر أو الهزيمة ، وفى تصدر التاريخ ، أو الاختباء وراءه ؟ والجواب أنى لا أرى لأية أمة مصيراً شبيها بالمصير العربى . وليس هذا مدحاً ولا قدحاً ذلك أن المصير مصير ، سواء أكان مفرحاً أم محزناً ، ولكن أن يبقى تاريخ أمة مدهشاً باستمرار ، فى الخير والشر ، فذلك من لا عهد لي به فى تاريخ الأمم الأخرى . وهل هنالك أمم كثيرة تعانى من الداخل والخارج مثل ما عانينا ، ومانزال نعانى حتى فى اللحظات التى نكون فيها أمام مشكلة الوجود أو اللاوجود ، مشكلة الحياة أو الموت ، وتظل مع ذلك على ما هى فيه من فرقة وتناثر ، وصراع ، وفوضى ؟

إنى أعود ، وكثيراً ما أعود ، الى الماضى العربى ، وأتساءل : ترى ماذا كان سيكون حال العرب لو أن فتنة عثمان لم تحدث ، ولو أن علياً لم يخاصمه معاوية ، ولو أن الأمويين لم يكونوا عتاة على الطالبيين ، ولو أن العباسيين لم يسيروا فى ذلك على غرار الأمويين ؟ ـ ماذا كان يمكن أن يكونوا ؟ . لو أن الاندلسيين لم ينقسموا الى أكثر من عشرين إمارة بعد دولة الأمويين فى قرطبة ، ولم يحاربوا بعضهم بعضاً ، أكثر مما حاربوا الاسبانيين ؟ وماذا لو أن الفرنجة والمغول لم يهاجموا بلادنا ، ولم يحرقوا فيها الأخضر واليابس ، ولم يقلبوا نهارها الى ليل ؟ ثم هل من أمة غالبة كالعرب ، تعود بعد قرن ونصف القرن ، كما لو أنها هى المغلوبة ، فينتزع منها السلطة مماليكها وعبيدها ، وينقلب الحاكم محكوماً ، والمحكوم حاكماً ، ويصبح عزيزها هو الأذل ، والأذل فيها هو العزيز ؟ لكن هذه التساؤلات عبث محض . إذ لا مجال لجعل الأمانى وقائع ، وقلب صورة التاريخ بحيث تطابق الأمانى . غير أن ما أتساءل عنه الآن ، هو الادهاش العربى ... ترى هل انتهى أوانه وزال الى الأبد ، ولم يعد إلا قصة للتاريخ ؟

أما أنا ، فأظن أن الأمر مايزال موضع بحث . فمن ظلمة الليل العربى ينبثق فجر جديد . ويصحو العالم ليرى الوطن العربى أرضاً طافية فوق بحيرة هائلة من النفط . فان غاب النفط ، حل محله الفوسفات ، وإن غاب هذا حله محله الحديد . ويصبح العرب قوة مالية عظمى ، تدهش العالم بعملقتها المالية ، وقزميتها السياسية . وكما كانت الجزيرة العربية موطن الادهاش الأول ، تعود الآن ، مرة أخرى ، لتكون أعجوبة مدهشة أخرى . ترى أيفرط العرب بهذا التميز ، كما أفرطوا فى الماضى بانتصاراتهم فوق العادية ؟

الحقيقة أننا لا ندهش العالم بثرواتنا ، فيما تحت الأرض ، فحسب ، بل ندهشه بصراعاتنا وتفرق كلمتنا أمام الخطر القاتل ، والمجابهة الفاصلة بين الموت والحياة ، وبالمحافظة على حدود لم يرسمها لنا إلا الاستعمار الذى نقول : إننا نكرهه . وندهشه بالترف والبذخ وتبديد المال سدى ، والكرم على البلاد المتقدمة لنزيد من تقدمها ، وبالبخل على أنفسنا ، لنظل أبداً فى وضع البلاد المتخلفة . ولكن ألسنا ممن يؤثرون على أنفسهم ، ولو كانت بهم خصاصة .

وكذلك فنحن ندهش العالم بسعينا الدائب الى التقدم وبقائنا دوماً حيث نحن متخلفون ممعنون فى التخلف ، ونظل أمناء على تراثنا لا نحسن شيئاً قدر ما نحسن الصراع بيننا ، كأن كل تراثنا لا يتجاوز هذه المقولة ، مقولة الصراع القبلى ، وقد اتخذ صورة الدول ، بدلا من القبائل ، لنجعل دهشة العالم أكبر وعجبه أشد ، كأن القرآن الكريم قد أوصانا بأن نكون أشداء بيننا ، رحماء على الكفار ، لا العكس أبداً .

ومسكينة هى أجيالنا القادمة التى ستتساءل دوماً متى نتقدم ؟ ونحن نتساءل هل من هاوية لا نحب الوقوع فيها ؟ ومنذ ألف سنة وأكثر تتالى الأجيال بعد الأجيال ، يروى كل منها قصة حياته ، فيبكى ويبكى الآخرين معه . ترى أى يوم سيأتى ، ونذوق فيه الفرح ؟

حافظ الجمالى

نحو النور



● كل منا يتمنى لنفسه اشياء كثيرة ، ولكن القليلين جداً هم الذين يخططون لبلوغها ، والأقل منهم هم الذين يحسنون التخطيط ، والأقل من هذا القليل هم الذين يبلغونها فعلا .. الكثرة تتمنى ، والتمنى لا يزيد على أن يكون احلاما او ما يقرب منها .. ليس فيه شىء محسوس إلا مجرد التمنى لا يقدم ولا يؤخر ، بل لعله يؤخر لأنه نوع من أحلام اليقظة .. وقد يقنع بها الانسان ويراها بديلا عن السعى والتخطيط لبلوغ ما يتمناه .. ومجرد التمنى ليس عملا على الاطلاق فهو والركود سواء .. وهو موقف سلبى من الحياة والموقف السلبى معناه التخلف . لأن الدنيا تدور وتتحرك وصاحب الموقف السلبى جامد لا يدور ولا يتحرك ، فالتمنى بضاعة العاجزين .

● وفريق آخر من الناس يقرنون التمنى بالعمل والجد والمثابرة وهذا الفريق قسمان قسم يكتفى ببذل الغاية والجهد كالثور فى الساقية يدور جاهداً وهو فى مكانه حظه فى الدنيا ان يتقى شر صاحبه ، فلا يسرف فى ضربه وايذائه ويقدم له من الطعام ما يقيته بلا زيادة او نقصان . وثانيهما يخطط فى فكر وذكاء وتقييم صحيح لامكاناته ومواهبه .

د. محمد البهي

دور الأزهر

في تكوين الكتلة الثالثة

الاسلام فوق أنه هداية روحية .. هو رابطة اجتماعية سياسية

هناك في العالم اليوم كتلتان : إحداهما شرقية والأخرى غربية

الكتلة الاسلامية هي الكتلة الثالثة . وهي لا شرقية ولا غربية

هناك في العالم اليوم كتلتان ، احداهما شرقية ، والاخرى غربية • ولكل كتلة منهما مثالية ونظام فكري (أيديولوجية) خاص • فأيديولوجية الكتلة الشرقية هي الاشتراكية الدولية التي تقوم على التفسير المادي للتاريخ، بينما أيديولوجية الكتلة الغربية هي النظام الديمقراطي الرأسمالي • وبهذا وذاك تفترق الكتلتان بعضهما عن بعض • وليس للتقدم العلمي ، ولا للتطور الصناعي دخل في تحديد الفرق بين هاتين الكتلتين • واذن الفرق بينهما محصور في النظام الفكري الايديولوجي الخاص بهما •

وهناك بين هاتين الكتلتين رقعة فسيحة في العالم ، لها ثراؤها الاقتصادي وامكانياتها العديدة للوجود البشري • ويجتمع سكانها على أيديولوجية خاصة أي : نظام فكري اجتماعي روحي خاص • لا هو شرقي •• ولا هو غربي ، وهو النظام الاسلامي ، وتسمى هذه الرقعة بـ « دار الاسلام » • وقد جاء في مجلة نور الاسلام تحديدا لدار الاسلام ، ما يلي :

« ان دار الاسلام هي التي تجري فيها أحكام الحنفية السمحة ، وتعتبر بالنسبة لسائر المسلمين بلدا واحدا ، وبعبارة أخرى : دار الاسلام هي الاقليم الواقع تحت ولاية رئيس مسلم تجري فيه أحكام الاسلام •• فكل مملكة من الممالك العالمية جرى فيها الامر على الوصف الذي قدمناه تعتبر: دار اسلام ، وان اختلفت هذه الممالك باختلاف الملك والمنعة • اذ لا عبرة باختلاف الدار في حق المسلمين بعضهم مع بعض ، لان حكم الاسلام يجمعهم فالممالك الاسلامية كلها في حكم المملكة الواحدة •• والدين الذي يوجب القصاص فيقتل المسلم بالذمي والحر بالعبد ـ حقنا للدماء وصيانة للأنفس ـ لا يبيح لأهله أن يتفرقوا شيعا مهما اختلفت الدار ، ولا يجيز لأهله أن يعامل بعضهم بعضا معاملة غير جائزة • فليس من الجائز في الدين أن يعامل مسلمو أفريقية مسلمي آسيا معاملة لا يرضونها لأنفسهم ، متذرعين بأنها ليست موطنا لهم • فان ذلك من حمية الجاهلية التي نعاها الله على مشركي العرب ، ولأن المسلم من أية قبيلة أو أية قارة أخ للمسلم في الدين ، ولأن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاحق ما أن لم يفضل الاخوة النسبية لم ينقص عنها ، وأخوة المؤمن للمؤمن معناها أن كلا منهما انتسب لأصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية ، والذي هو جماع الفضل ومكارم الاخلاق ومنشأ المجد والسؤدد » •

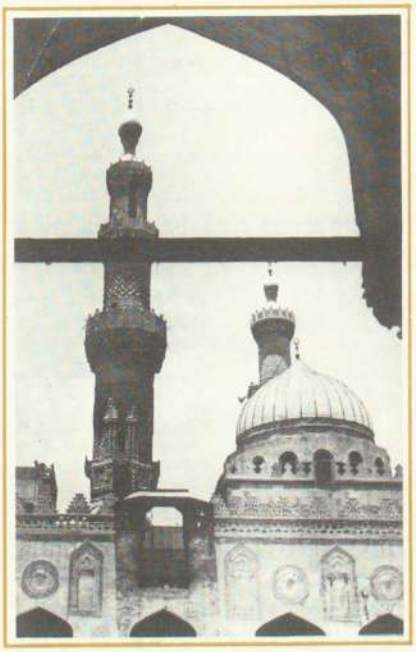
ايديولوجيه الكتلة الثالثة

وبهذا نرى أن الاسلام هو الذي يحدد الكتلة الثالثة ويحدد الروابط بينها • وسيظل العامل الفاصل في تحديدها ، مستقلا بها عما عداها من الكتل القائمة • اذ الاسلام فوق انه هداية روحية هو رابطة اجتماعية سياسية • ويمكن أن تدرك هذه الجوانب فيه من مثل قوله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسها الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون • وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعون ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ••

ومثل قوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض • يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » •• ومثل قوله أيضا : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » • ومثل قوله أيضا : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ، وأنتم لا تظلمون • وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » • ومثل قوله أيضا :

«ان شر الدواب عند اللهالذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون • فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » •• « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » •

فمثل هذه الآيات تحدد العلاقات بين أفراد هذه الكتلة الاسلامية وهي الكتلة الثالثة ، في معاملة بعضهم لبعض ، وفي سلوكهم الاخلاقي • كما تحدد مباديء السلم والحرب من أجل هذه الكتلة ، وفي سبيل بقائها ، والكتلة الاسلامية اذن هي كتلة لها هدف في الحياة ، ولها رباط هو الاخاء ، ولها علاقة بالآخرين هي : الرغبة في السلام أن أمنوا على أنفسهم واستقلالهم •• واللجوء الى الحرب والدفاع ان خافوا على أمتهم وجماعتهم • وايمانهم بالله الواحد هو شعار جماعتهم ، ومحبة بعضهم لبعض هي قواعد تعاملهم ، وعدم ايذاء الآخرين هو مسلكهم مع من يتصلون بهم من الجماعات الاخرى •



هذا هو الاسلام في تصوير مبادئه وغاياته بالنسبة لمجموعة الشعوب الاسلامية التي تكون الكتلة الثالثة • ولكن هذه الكتلة الثالثة قد أصابها الاستعمار فمزق وحدتها الاقتصادية ، وشتت توجيهها في تفكيرها السياسي والاجتماعي ، والبس عليها غاية الحياة وأهدافها ، مما جعلها فريسة للمستعمر ونهبا لأطماعه • ولم يزل يوحي بعوامل الفرقة بينها واثارة بعضها ضد بعض ، حتى كادت تفقد علاقاتها الاسلامية ، وتفقد المباديء التي قامت عليها وحدتها في العقيدة والايمان ، وأخذت تلتمس من الحيرة: التوجيه والقيادة • ولذا هي في حاجة من جديد الى اشاعة الوعي الاسلامي بينها ••

أدرك الاستعمار قيمة هذه الرقعة ، التي هي موطن الكتلة الثالثة ، وما فيها من ثروة طبيعية وبشرية وامكانيات اقتصادية ، وأدرك بالتالي حاجته الملحة الاستراتيجية والاقتصادية معا ، الى هذه المنطقة ، ثم أدرك بعد قرون مضت على استعماره اياها ، ان سكانها قد تيقظوا وتمسكوا بمبدأ تقرير المصير • أدرك كل هذا فعمل على تقسيمها الى مجموعات ووحدات مستقلة : مستقلة بعضها عن بعض ومنفصل بعضها عن بعض ، ولكنها غير مستقلة عن نفوذه ولا منفصلة عن أطماعه وتحقيق أهدافه فيها • ضرب بعضها ببعض ، ولم يزل يضرب بعضها ببعض حتى هذه اللحظة • وأنشأ فيها مدارس وخلق فيها اتجاهات تسانده وتؤيده • ولذا هي في أشد الحاجة لأن تبصر من جديد بعوامل الوحدة بينها ، وعلائق القربى التي يجب ألا تنفصم بينها • يجب أن يوقظ فيها الوعي الاسلامي من جديد •

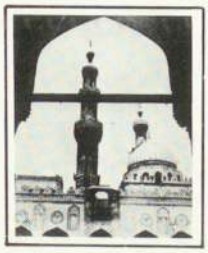
اشاعة الوعى الاسلامى

واذا كان الاسلام هو مصدر ايديولوجية الكتلة الثالثة بين الكتلتين القائمتين اليوم ، فقوة هذه الكتلة تتوقف على قوة الوعي بالمباديء الاسلامية والايمان بها كما أن ضعفها يتوقف على تفشي الجهل بهذه المباديء بين أفرادها وضعف الايمان برسالة الاسلام في نفوسها •

الاسلام ـ كما يقول عنه المستشرق الانجليزي جب : « قد انتشر انتشارا سريعا في فترة لا تتجاوز قرنين ونصف قرن • وقد كان من أبرز آثار هذا الانتشار السريع الذي تكونت خلاله الحضارة الاسلامية الكاملة أنها أنشأت حضارة موحدة • اذ لم تكن هناك فرصة لتأثير العناصر الاقليمية المختلفة والثقافية المتباينة • فلما انتشر الاسلام بعد ذلك لم يكن دينا ساذجا ، ولكنه كان نظاما كاملا شاملا للحياة • ولذلك ترى أن اتساع رقعة العالم الاسلامي من المحيط الهادي الى المحيط الاطلسي لم تؤثر في وحدة الحضارة الاسلامية على غير ما تقضي به العادة •

الازهر يقوم بالمهمة

واذا كانت قوة الكتلة الثالثة تتوقف على اشاعة الوعي الاسلامي بين أفراد هذه الكتلة من المحيط الاطلنطي الى المحيط الهادي ، وعلى قوة الايمان برسالة الاسلام ـ فلابد أن يكون هناك مركز ما لتوزيع هذا الوعي ودفعه ، وتأكيد الايمان بالاسلام في نفوس المسلمين • ونحن اذا اتجهنا للتفتيش عن مركز يقوم بهذه الرسالة لا نجد سوى الازهر في رقعة العالم الاسلامي



ما يجب أن يؤديه الأزهر ليس فقط حفظ التراث الاسلامي وحده ، وإنما العمل قبل ذلك على أن يواجه به احتياجات الكتلة الثالثة

كله ، أو في موطن الكتلة الثالثة • اذ الجامعات الحديثة في هذا العالم الاسلامي ، هي جامعات لا تعني بالايديولوجية ولا بالنظام الفكري لأصحاب هذه الكتلة الثالثة • وانما عنايتها بما لا يصور أيديولوجية ونظاما فكريا خاصا ، وهي العلوم والرياضة وفروع الدراسات الهندسية المختلفة أو اذا عنيت بأيديولوجية ما فانما تعني بفكر منثورة لا تكون نظاما فكريا متكاملا يكون شرقيا أو غربيا ، أو اسلاميا •

الازهر وحده ـ وليست الجامعات الحديثة ـ هو مركز هذا الاشعاع • الازهر فريد بهذه الرسالة ، لا يوجد له مشارك قديم أو حديث في اطار الكتلة الثالثة •

ومنذ أن قام الى اليوم وهو مركز الرسالة الاسلامية ، سواء ما يتعلق بدراسة تعاليمه المباشرة ، أو ما يتعلق بدراسة الوسائل التي تصحح فهمها وتصورها ، وهي اللغة العربية وما يتصل بها من دراسات •

ما يجب أن يؤديه الازهر

ولكن ما يجب أن يؤديه الازهر ليس هو حفظ التراث الاسلامي وحده، وانما العمل قبل ذلك على أن يواجه به احتياجات هذه الكتلة في التوجيه، فيما يتصل ببقاء الترابط بينها وفى دفعه نحو القوة والتماسك •

والكتلة الاسلامية لا تعيش وحدها، بل تعيش في مواجهة الكتلتين الشرقية والغربية • كما أن المسلمين في داخل هذه الكتلة قد فعل بهم الزمن والاستعمار ـ كما ذكرنا ـ فعله ، ففرق بينهم ، وأحيا عصبيات قبلية أو شعوبية فيهم • واذن احتياجاتهم من الازهر ، كي يعيشوا قوة متماسكة، احتياجات مزدوجة •

● أولا احتياجاتهم لدفع الايديولوجيتين : الغربية والشرقية عن أن تنال منهم ، حتى يبقى الترابط بينهم على أساس الايديولوجية الاسلامية والنظام الاسلامي وحده •

● وثانيا احتياجهم لدفع عوامل الفرقة بينهم ، وهي العوامل المذهبية أو العصبية التي أحياها الاستعمار ، وساعد على تطورها ضعف صلات المسلمين بالاسلام وانحطاط فهمهم اياه •

وما يجب على الازهر أن يؤديه اذن ليس هو الدفاع عن الاسلام • وانما عرض الاسلام كمجموعة من المباديء والتعاليم صالحة لاسعاد الكتلة الثالثة، ولبقائها قوية مستقلة في مواجهة ايديولوجيتي الغرب والشرق •

وما يجب على الازهر أن يقوم به كذلك هو : العمل على صهر مجموعة شعوب هذه الكتلة في الرباط الاخوي الاسلامي ، باضعاف الفرقة المذهبية والعصبية الشعوبية •

واذن على الازهر أن يعرض الاسلام ـ لا أن يضيف الى هذا العرض جديدا ـ في الصورة التي عرض بها أول قيامه • وهي الصورة النقية البعيدة عن التحزب ، وعن الامعان في التقليد والتبعية • وهي صورة يستطيع أن يدركها كل مسلم من كتاب الله وكلام رسوله ، ان حصل ـ قبل ذلك ـ من الوسائل ما يؤهله لفهمه ، كما يقول الشيخ محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية » : « لكل مسلم أن يفهم عن كتاب الله من كتاب الله، وعن رسوله من كلام رسوله ، بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف • وانما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم • فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما بعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه أن يسأل العارفين بهما » •

واذا عرض الازهر الاسلام على هذا النحو أبعد شبح الفرقة المذهبية والشعوبية بين المسلمين من جهة ، كما يبعد خطر اندفاع المسلمين الى تقبل أيديولوجية أخرى ، غير التي جاءت بها رسالة الاسلام ، من جهة أخرى •

ويوم يعرض الازهر للتراث الاسلامي كله على هذا النحو ، فلا يفرق بين مذاهب هذا التراث في الدراسة • لا يفرق بين ما هو سني أو شيعي • ولا يقف في عرض هذا التراث عند الحد الذي وقف عليه المتأخرون من فقهاء المسلمين ، بل يصل الماضي بالحاضر ـ عندئذ يقوم الازهر بواجبه نحو الكتلة الثالثة ، في تماسكها وصيانة بقائها ، والمحافظة على استقلالها •

الازهر والاستعمار في مصر

هذا ما كان يجب على الازهر أن يفعله • ولكن الازهر ـ مع تقديرنا لمجهوده في حفظ التراث الاسلامي لم يفعل كل ما كان يجب أن يفعله الازهر ، لم يشأ ولم يختر أن يتخلف عن هذا الدور ، ولكن حيل بينه وبين أن يقوم به الازهر عوق وقهر قهرا على ألا يؤدي كل ما يجب عليه أن يؤديه في صيانة الكتلة الثالثة وقوتها وتماسكها • كان هنا : الاستعمار الغربي منذ قرون لبلاد هذه الكتلة • وكانت غاية الاستعمار هي تفتيت هذه الكتلة • ومعول هذا التفتيت هو اضعاف الازهر وتعويقه عن أن يكون ذا رسالة ايجابية في الحياة الاسلامية •

لنقرأ هذه العبارة الآتية من تقرير اللورد لويد ـ المندوب السامي البريطاني السابق في مصر ـ في كتابه : « مصر منذ كرومر » •

« ان أهمية الازهر بوصفه مركزا من مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا كبيرة متعددة الامكانيات • وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله لتأييد مآربهم • وترتب على ذلك نمو روح

المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم » ٠

هذا ما يصف به الازهر أحد دعاة الاستعمار ٠ فكان لابد للاستعمار أن ينال منه وكان لابد أن يعوقه عن تأدية رسالته ، ولابد أن يحاول هدمه ٠ ولكن في أية صورة ؟ لندع اللورد لويد نفسه يقص علينا الاسلوب الذي يجب أن يتخذ لتعويق الازهر أو لهدمه ٠ يقول : « ان التعليم الوطني عندما قدم الانجليز الى مصر كان في قبضة الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا في طريق أي اصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني ، ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير ٠

فلو أمكن تطوير الازهر عن طريق حركة تنبعث من داخله هو ، لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، فليس من اليسير أن تتصور أي تقدم طالما ظل الازهر متمسكا بأساليبه الجامدة » ٠

ولكن اذا بدا مثل هذا الامل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الامل محصورا في اصلاح التعليم المدني الذي ينافس الازهر ، حتى يتاح له الانتشار والنجاح ٠ وعند ذلك سوف يجد الازهر نفسه أمام أحد أمرين : فاما أن يتطور ، واما أن يموت ويختفي ٠

« على أن الخطة الاولى ـ التي تقوم على اصلاح الازهر من داخله ـ لها نتيجة عظيمة الاهمية والفائدة ٠ وان لم تكن نتيجة مباشرة (في اللقاء مع المستعمر الغربي) ، وهي أنها تؤدي بالتدريج الى اختفاء التعصب الديني الذي أخر تقدم مصر زمنا طويلا !!

أما الخطة الثانية ـ وهي اصلاح التعليم المدني ـ فان تأثيرها المباشر (في اللقاء مع الاستعمار) أقوى في ايجاد ما نحن في أشد الحاجة اليه من اقامة العلائق الانجليزية المصرية على



أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل » ٠

والازهر اذن أمام هذه النظرة الاستعمارية اما أن يفقد قيمته كحريص على التراث الاسلامي ، وصيانة استقلال الجماعة الاسلامية في التفكير والتوجيه ، وذلك عن طريق ما سماه الاستعمار التقدم والتطوير الداخلي ٠ واما أن يموت ٠ وذلك بالعمل من جانب المستعمر على أن يسود التعليم المدني في مصر التعليم الازهري ٠

الازهر في نظر الاستعمار مركز التعصب الديني ، ومركز العداوة للغرب والاستعمار الغربي ٠ فاما أن يتسامح فلا يتعصب للاسلام والقيم الاسلامية ويلتقي بذلك مع الغرب ويتبعه ، واما أن يقضي عليه بالفناء٠ وليس هناك من وسيلة لافنائه الا سيطرة التعليم المدني اللادينى ، الذي سيؤدي في نظر الاستعمار الى اقامة العلائق الانجليزية المصرية على أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل ٠

٠اللورد لويد لم يتحدث عن مستقبل الازهر منذ سنة ١٩٢٨ ، أي منذ أن كان مندوبا ساميا في مصر ، وانما هو يعلق على سياسة كرومر منذ نهاية القرن التاسع عشر ٠ واذن الخطة التي خطها الاحتلال البريطاني هي : اضعاف الازهر على أي حال في تأدية رسالته كمركز لاشعاع قوي واضح للايديولوجية الاسلامية ـ وتقوية التعليم المدني أو اللاديني كان من أسباب ذلك في نظر السياسة الاستعمارية ٠ ورمى الازهر بالجمود والتعصب وبالرجعية كان وسيلة أخرى من وسائل اضعافه ٠

وتقوية الاستعمار للتعليم المدني واللاديني ـ حتى يسود التعليم الازهري ويفنى التعليم في الازهر ـ تمثلت في معيار الوظائف ، واختلاف التقييم المادي للمتخرجين في النوعين من التعليم حتى اهتز الشعور النفسي عند المتخرجين في الازهر اهتزازا عنيفا ، وحتى وقر في نفوسهم أو كاد ـ من بعد الهوة في التقدير المادي بينهم وبين الآخرين المتخرجين في التعليم المدني ـ أنهم أقل قيمة أدبية وأقل منزلة ٠ وما كان لهم أن يمكنوا هذا الشعور النفسي ويدعوه يقلق رضاهم بالحياة وهم أصحاب الثقافة الخاصة ، الثقافة القومية الاصيلة ، الثقافة الاسلامية ٠ ولكن ضرورات الحياة ودفع الانسان الى البقاء أثار فيهم الاحساس بالتفرقة ثم الرغبة في المساواة مع الآخرين ٠

وكلما تمكن الاستعمار في مصر كلما اتسعت الهوة في تقدير النوعين من المتخرجين ، وكلما شعر أبناء الازهر بأنهم أقل منزلة ، وكلما دفعوا الى طلب المساواة ، حتى تصورهم الناس أصحاب دنيا ، لا أصحاب رسالة دينية اسلامية فخفت منزلتهم رويدا رويدا في نفوسهم ٠ ويعلم الله أنهم لم يكونوا أصحاب دنيا وانما أرادوا أن يعيشوا فقط من أجل رسالة أزهرهم ، وهي رسالة احياء الكتلة الثالثة ، والعمل على تقويتها وتماسكها وهي في الواقع رسالة مقاومة الاستعمار ٠

وبتلك الصورة التي وصل اليها أمر المتخرجين في الازهر في نفوس المواطنين بلغ المستعمر غاية له : وهي اضعاف المنزلة الادبية للازهر والمتخرجين فيه في الرأي العام المصري ٠ ثم في الرأي العام الاسلامي العالمي ٠ واذا ضعفت هذه المنزلة



دور الأزهر

في تكوين الكتلة الثالثة

الادبية له وللمتخرجين فيه كان انهياره وفناؤه ·

السياسة الاستعمارية في التعليم المصري عملت اذن على « التمييز » الواضح بين المتخرجين في الازهر « بوصفه مركزا من مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا » والمتخرجين الآخرين في المدارس المدنية اللادينية باعتبارها مراكز « لاقامة العلائق الانجليزية المصرية على أساس من التفاهم والتعاطف المتبادل » عملت على هذا التمييز في الوقت الذي نزعت فيه كل امكانيات الازهر المادية الخاصة به ، كمؤسسة اسلامية عالمية كبرى ، وهي امكانيات الاوقاف الكثيرة التي حبسها الخيرون من المسلمين على صيانته وبقاء التعليم الاسلامي فيه مزدهرا لا تمسه عادية سلطان ولا تتحكم فيه شهوات القوامين على الانفاق في مصر ، وهم من بيدهم السلطة المالية في الحكومة ·

الواقعية ومحاربة الازهر

عمل الانجليز اذن ـ وهم أصحاب التوجيه للسياسة التعليمية في مصر عن طريق القس المبشر « دانلوب » ـ على تقوية التعليم المدني واللاديني ، وعلى أن يكون ذا سيادة على الازهر · ثم استعانوا بعد ذلك بالصحافة الدخيلة في مصر أن تقاوم ما سموه بالرجعية والتعصب · والذي سمي بالرجعية والتعصب اذ ذاك هو الازهر، والذي سماه هم الانجليز أنفسهم · وتبنت مجلة « الهلال » الدعوة ضد الرجعية والتعصب نيابة عن الاستعمار الانجليزي · ومن يقرأ في بعض أعدادها يدرك جيدا هذه الغاية · فمثلا نقرأ في عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤ ما يلي :

« الحضارات الشرقية تقدس الشريعة على انها ارادة واحد قهار ، لا على انها عدل ، ولا على انها لا تتغير الا بمشيئة السيد · وما مشيئته الا حاجة في نفسه ان كان أرضيا ، أو أحجية لا تفسر ان كان سماويا ·

كما نقرأ في عدد يونية سنة ١٩٣١ ، تحت عنوان : « العلم والايمان وديانات انسانية » ما يأتي :

« ان هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في أمريكا ، وان أصحابها يقولون ان مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية · لانه اذا عمل الانسان ما هو صالح في هذا العالم فقد فعل ما هو مطلوب منه · سواء أكانت له روح خالدة أم لم تكن ·· وان أصحاب هذه الديانة يقولون أيضا : لو كان جميع الناس يعتقدون كما اعتقدنا أن هذا العالم هو الفردوس الوحيد الذي ليس بعده فردوس آخر ، لوجهوا كل قواهم الى تحسينه ليصبح فردوسا حقيقيا بكل معنى الكلمة · أما وهم يؤمنون بوجود فردوس آخر أفضل ، وان الانسان نزيل فان على هذه الارض فهم يحرضون كل واحد على احتقار الحياة، وعلى تصورها بأشنع صورها حتى تصبح جحيما لا يطاق » ·

وهذا الذي تدعو اليه مجلة الهلال هو ما يعرف بواقعية «أوجست كومت» الفيلسوف الفرنسي في القرن التاسع عشر · وأوجست كومت وضع فلسفته الواقعية لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية في تصويرها للحياة الدنيا والآخرة · وأصبحت هذه الواقعية بهذا الاسلوب تقال هناك في مقابل المسيحية الكاثوليكية · ولكنها بعد أن انتقلت الى الشرق ، أصبحت تقال في مقابل الدين السائد فيه · وهو الاسلام · وأصبحت الواقعية تساوي : لا اسلام والاسلام يساوي : لا واقعية ··

وصاحب كتاب : « على هامش السيرة » يقول في مقدمة هذا الكتاب :

« وأنا أعلم أن قوما سيصيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون الا به ، ولا يطمئنون الا اليه ، وهم لذلك يضيقون بكثير من الاخبار والاحاديث التي لا يسيغها العقل ولا يرضاها · وهم يشكون ويلحون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الاخبار ، وجده في طلبها ، وحرصه على قراءتها والاستماع لها · وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الاخبار والاحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول · وهؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء · لانهم سيقرءون فيه طائفة من هذه الاخبار والاحاديث التي تصبو أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس ·

وأحب أن يعلم هؤلاء : أن العقل ليس كل شيء ، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة الى الغذاء والرضا من العقل ، وأن هذه الاخبار والاحاديث اذا هي لم يطمئن اليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي ، فان في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم الى السذاجة واستراحتهم اليها من جهد الحياة وعنائها ـ ما يحبب اليهم هذه الاخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم الى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس ، حين تشق عليهم الحياة · وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الاخبار الى العقل ـ على أنها حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ـ ومن يقدمها الى القلب والشعور على انها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق الوقت ، واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش » ·

واذن أخبار السيرة النبوية وأحاديثها ـ في نظره ـ لا تستقيم لها مناهج البحث وليست حقائق يقرها العلم ، أي لا تتصل بالواقعية· هي مثيرة فقط لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق

الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش ·

والـدين ـ وهو مصـدر اثارة العواطف الخيرة ، والابعاد من بواعث الشر ـ ليس حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لهـا مناهج البحث ، أي ليس واقعيا !!··

وكتاب : « على هامش السيرة » ـ كما يصـور ما فيـه من أخبار وأحاديث لصاحب الدعوة الاسلامية عليه الصلاة والسلام ـ يصور مباديء الاسلام نفسه ·

وهناك اذن اتجاه العقلاء واتجاه الواقعـيين في البحث ، وكلاهمـا لا يعترف بالدين ، كمصدر للمعـرفة والعلم ·

الواقعية واتباع ديوي

واذا وجـدنا في الامس القريب بعض أتباع « ديوي » في مصر يصفون مناهج الدراسة في الازهر بأنهـا لا تتصل بالحياة الواقعية (على نحو ما جاء بالاهرام في ١٩٥٨/٣/١) ـ فهم يعنون واقعية « كومت » التي رددتها : « مجلة الهلال » في وصف الازهر بالرجعية والتأخـر ، والتي حاربته من أجل الاستعمار · فقد جاء فيما طلعت به الاهـرام في التاريخ المشار اليه : « ان اتجاه المناهج ـ في الازهر » يبعده (أي الطالب) عن الحياة العامة ، فضلا عن انه يرهقـه بمسائل كثـيرة في مختلف المواد ، وبتفصيلات لا نفع فيها « كما جاء ـ كتوصية ـ » وأن تتصـل مناهج الدراسة بالحياة الواقعية وتتخلص من كل ما أصبح لا يمت الى الحيـاة بصلة » ·

أية حياة واقعية للمجتمع المصري والمجتمع الاسلامي ؟ ما هو المجتمـع المصري ؟·

المجتمع المصري ليس شيئا يحس ، وليس أمرا يلمس ويدرك بالبصر ، انما هو مجموعة من المعاني والقيـم العامـة التي تمثـل روح الشعب وعقليته ، وهي تلك المعـاني التي



التربية السليمة هي ارتفاع بالمستوى عن النقائص الواقعة والعيوب السائدة

تتمثل في اللغـة والدين كمباديء وعادات ، وفي تاريخه وفي الجـوانب الاخرى التي ترتبط ارتباطا أساسيا بمقومات الشعب المصري كشعب لـه خصائصه ، وله صـلاته العـديدة بمجموعة الشعوب الاخرى ، العربية والاسلامية

ولكن الواقعية التي تنشد هنـا ، عندما يتحدث أتباع ديوي في مصر ـ ومن قبلهم دعاة الاستعمار باسم الثقافة والتربية ـ هي ابعاد الاسلام عن مجال الحياة ومن مناهج التربية · هي الغض من الازهر والنيـل من كرامته والتصدي والتحدي لمـا يعكف عليه من تراث ، وما تميز به في تاريخ مصر ، وفي تاريخ العـالم الاسـلامي من توفر عـلى دراسـة الاسلام ·

ذكرت صحيفة الشعب في ١٩٥٧/٢/١٢ تحت عنـوان : « الشـباب السوفييتي يجهـل سياسة العـالم ، ومقتضيات السلوك السليم » :

قال راديو موسكو : « ان الشباب السوفييتي يعـود من المدرسـة الى البيت ، وهم يجهلون شئون العالم ، وتنقصهم مقتضيات المسلك السليم »·

ومع أن الشباب السوفييتي يجهل شئون العالم ، وينقصه مقتضـيات المسلك السليم ـ وهذا مما يتنافى والواقعية ـ فأتباع ديوي في التربية لا ينعت توجيههم في التربية بعـدم الواقعية · لان الدين لا يعد مصدرا من مصادر التوجيه ·

اذن الاتحاد السوفييتي قام عـلى أيديولوجية الواقعية الماركسية ، التي تأثر فيها بأوجست كومت ·

وذكرت الصحيفة نفسها في ١٩٥٨/٢/٢٥ ما يلي :

« ان أول تقرير يضعه معهـد الابحاث الجنسية بجامعة « انديانا » منذ وفاةمؤسسهالدكتور الفريد شارلز كنج صاحب : « السلوك الجنسي لدى الرجل » و « السلوك الجنـسي لـدى المرأة » · جاء فيه : أن واحدة من كل عشر سيدات أمريكيات تحمـل قبل الزواج ، وان حالات الحمل هذه ـ ما لم تؤد الى زواج سريع تنتهي الى الاجهاض الصناعي بنسبة ٨٩٪ والى الولادة غير الشرعية بنسبة ٦٪ والى الاجهاض الطبيعي بنسـبة ٥٪ · وأضاف التقرير أن من بين جميـع النساء الامريكيات اللاتي على قيـد الحياة الآن ، وتقـع أعمارهن في الفترة الصالحة للحمل من بينهن جميعا واحـدة في كل سـبع تعرضت أو ستتعرض لاجهاض صـناعي قبـل الزواج ، وأن معظم السيدات غير المتزوجات اللاتي يعرضن للاجهـاض يباشرن العلاقات الجنسية بعد ذلك ، ولا يتوقف منهن عن ممارستها سوى ٣٪ كما أضاف التقرير أن ١٩٪ فقط من السـيدات اللاتي يحملن قبـل الزواج يتزوجن أثناء الحمل ، ولكن نصف هذه الزيجات يمنى بالفشل ، ثم أضاف التقرير انه كلما كانت المرأة متدينة كلما صارت أقل تعرضا للحمل قبل الزواج » ·

فأي لون من ألـوان الحيـاة يريده دعاة الواقعية ؟ أيريدون أن تكون الدعوة الى الجنس أمرا شروعا في الحياة ، وبذا تصـبح الحيـاة واقعية ؟· ان هذا التقرير للباحث الامريكي كشف عن ايجابية التربيـة الدينية في أية صورة ، وعن سـلبية دعوة الواقعية في الحياة الامريكية · والتربية الدينية هي « تربية للمثل ، تريد أن ترفع الناس من عادات سيئة الى عادات حسنة ، ومن تفكير سيء وتصور بدائي الى تفكير خير سليم ، جدير بمعنى الانسانية · وذلك أمر مطلوب في الحيـاة ، ولكنـه ليس منتزعا من الحياة » ·



الأزهر عقبة فى طريق الاستعمار . وسيبقى الحماية لصيانة الكتلة الثالثة وتضامنها

على رجال الأزهر أن يد ركوا قيمة أزهرهم فى صلات الكتلة الثالثة وروابطها

متى يكون الظفر لنا جميعا .. والقوة لكتلتنا الثالثة ؟

أيريد دعاة الواقعية في التربية والتعليم في مصر أن يبقى الشعب وتبقى الناشئة في مستوى ما عليه واقع أمرها من عادات وتصور ، مع أن التربية السليمة هي ارتفاع بهذا المستوى عن النقائص الواقعة والعيوب الخلقية السائدة ؟.

الازهر والحياة

الازهر ليس واقعيا حقا ، على نحو ما تدعو الواقعية الديوية وينشده أتباعها في مصر . الازهر يقوم على عرض القيم الاسلامية ، لتبنى عليها حياة المسلمين ، يريد بتوفره على الدراسات الاسلامية أن يصور استقلال الجماعة الاسلامية . ويحول دون انصهارها في جماعات المستعمرين الشرقيين والغربيين . الازهر يريد مقاومة الاستعمار في أية صورة من صوره .

هذه هي الجزائر في كفاحها ونضالها ، لم تكافح وتناضل الا لان هناك بقية من ايمان بدينها . ولو أن شعب الجزائر اعتنق الواقعية اللادينية ، وعاش منعما في الاذلال والامتهان الذي فرضه الاستعمار الفرنسي عليه ، ولم يتطلع الى المثل العليا والاستشهاد في سبيلها ، لما قام اليوم يكافح ويناضل ، ولوجد في المذلة والمهانة ما يسعده ، اذ أنه عندئذ سيكون واقعيا ، أي معبرا عن واقع حياته .

ان نداء أتباع ديوي في مصر بالواقعية في المناهج الازهرية هو استرسال في حملة الاستعمار على الازهر وعلى الاسلام . الازهر عقبة الاستعمار وسيبقى عقبة لهؤلاء الذين ينادون بالواقعية الديوية ، سيعمر الازهر ، وسيثمر ما توفر عليه من دراسة التراث الاسلامي في صيانة الكتلة الثالثة وتضامنها .

الكعبة في مكة قبلة المسلمين في عبادتهم ، والازهر في مصر كعبة المسلمين في ثقافتهم . ومهما دعا أتباع ديوي للواقعية فستبقى دعوتهم بمنأى عن أن تنال من قبلة المسلمين في عبادتهم وكعبتهم في ثقافتهم .

والذي ندعو اليه ، أتباع ديوي في مصر أن يكونوا أنفسهم واقعين يعيشون في المجتمع المصري قبل أن يعيشوا في أي مجتمع انساني آخر بعيد عن مصر ، وبعيد عن مقومات الطابع المصري . نريد لهم أن يستقلوا في التفكير ، وأن يقطعوا تبعيتهم للمجتمع الغربي . عندئذ سيدركون أن الازهر واقعي لانه يعني بالاسلام وبتراثه ويعني بالربط بين هذه المجموعة التي تكون اليوم الكتلة الثالثة .

انهم ـ ساعة ينادون بواقعية أوجست كومت في مصر ـ انفصاليون، أي يحاولون فصل مصر وعزلها عن مجموعة الشعوب الاسلامية الاخرى ، ويحاولون بالتالي عزل مصر عن قيادة العالم الاسلامي قيادة ثقافية .

فقد نريد من شيخ الازهر ما أراده علي أمين في « الاخبار الجديدة » في العدد الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٥٤ وهو اليوم التالي لوصول الشيخ تاج ـ شيخ القسم العام ـ الى مشيخة الازهر . وقد عبر عما أراده في قوله تحت عنوان (فكرة) : « وأنا أريد من الشيخ أن يعيد لمقعد شيخ الازهر هيبته وكرامته ، فيحافظ على اللب لا على القشور ، ويدعو الى الأيمان لا الى اطلاق الذقون ..

أريد من الشيخ أن ينشر الاسلام في بلاد العالم ، لا في الصحف المحلية وأن يهتم بالمسائل الكبرى لا بالمسائل التافهة .

نريد من الشيخ أن يقول : « لا » للحكام .. فاذا سرق الحاكم زوجة شاب قال له : « لا » .. واذا أخطأ الحاكم فعليه أن يقول له : « لا » ويقولها قوية ويضغط على حروفها ويعلنها للناس . فلا قيمة لشيخ ازهر تنقصه الشجاعة أو يعقد لسانه الخوف .

نريد من شيخ الازهر أن يكتب استقالته ويضعها في جيبه ، كلما قابل حاكما من الحكام أو ملكا من الملوك .. فالرجل هو الذي يصنع المنصب ، وليس المقعد هو الذي يصنع شيخ الازهر » ..

ان مصر التي أوجب عليها وضعها التاريخي والجغرافي أن تقود هذه الكتلة الثالثة قيادة ثقافية ، تدرك لا محالة قيمة الازهر في قيادتها الثقافية .

وعلى رجال الازهر أن يدركوا أيضا قيمة أزهرهم في صلات هذه الكتلة الثالثة وروابطها ، فلا يطيعوا وصية دخيل عليهم في تعديل مناهج أزهرهم . وعليهم فقط أن يؤدوا واجب الازهر على نحو ما أثرنا من قبل ، وهو : صيانة المجتمع الاسلامي عن الفرقة الداخلية ، وأبعاده عن التأثر بالايديولجيتين معا : الغربية والشرقية .. عندئذ يكونون قد أدوا رسالتهم في سبيل بقاء هذه الكتلة قوية متماسكة . ويومئذ يكون الظفر لنا جميعا ، والقوة لكتلتنا الثالثة .

هوامش على مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر

د . عيسى الناعورى

متى تعرف كل فئة منا وظيفتها لكى تتقنها ، وتفهم دورها لكى تبدع فيه ؟!

من المؤسف أن يجهل الشعراء كيف يموت الشعر فى زحام التصفيق !

ما بين صباح السبت الرابع والعشرين من تشرين الثانى ١٩٧٩ ، ومساء الجمعة الثلاثين منه ، استضافت دمشق الفيحاء وفود الكتاب والشعراء العرب العديدة للمشاركة فى مؤتمر الأدباء والكتاب العرب الثانى عشر ، ومهرجان الشعر الرابع عشر .

فى المؤتمر قدمت بحوث ، والقيت خطب ، ودارت مناقشات فى ثلاث لجان انقسم اليها المؤتمر ، هى : لجنة الأدب العام ، ولجنة القصة والمسرح ، ولجنة أدب الأطفال . والى جانب البحوث والخطب والمناقشات اقيمت مادب عامرة فاخرة : كل ليلة مادبة على شرف الوفود ، تجلى فيها الكرم الدمشقى العريق ، ورافقت المادبة الأخيرة ، فى نادى الضباط ، حفلة فنية استمرت الى ما بعد منتصف الليل .

حفلة افتتاح المؤتمر كانت مناسبة لعرض العضلات اللسانية والحناجرية تبارى فيها الخطباء فى المط والشقشقة ، حتى بلغ الأمر بالبعض أن يحسبوا انفسهم فى مجال المحاضرة ، لا المشاركة فى كلمة افتتاح . ومع المط والشقشقة كان لابد ـ كالعادة دائماً ـ من الصراخ والتهريج ، والتلويح بالأذرع والقبضات فى الهواء من أجل استثارة ما يمكن من التصفيق . وما نفع الخطابة ان لم تلهب الاكف بالتصفيق ؟ ولماذا توجد «الجماهير» ... ان لم يكن وجودها للتصفيق للخطباء ؟! ـ

اما ما نفهمه نحن من كلمات الافتتاح فهو انها كلمات قصار خاطفات ـ دقيقتان ـ و ثلاث دقائق فقط ـ ترحيباً بالمؤتمر ووفوده ، وتحية للبلد المضيف ، وتمنياً لنجاح المؤتمر فى أداء رسالته . وما زاد عن ذلك فهو لغو ورغبة فى الظهور على حساب المناسبة ، وعلى حساب اعصاب المستمعين .

ولم يكن تصفيق الجمهور ، طبعاً ، لأن المؤتمرين قدموا (ادباً) ، او اجتمعوا ليناقشوا شؤون الأدب ، اوجاءوا متفقين على مفهوم ادبى ... هذه الأمور لا شأن لها فى (مؤتمرات الأدباء) ... الذى له كل الشأن هو السياسة ، لأن السياسة هى وحدها الأدب ، ولأن الأدب اذا لم يكن سياسة وحديثا فلن يصفق له أحد . والتصفيق ضرورة لازمة من ضرورات الأدب اليوم ، ومن دونه لا أدب ولا أدباء . ولأجل هذا ينبغى ان تكون مؤتمرات الأدباء (مؤتمرات قمة سياسية !) ، وأن تكون خطب الأدباء وبحوثهم خطباً سياسية حماسية ، لكى تلهب أكف



الجماهير بالتصفيق ...

نفس الألفاظ

ولم يكن المؤتمر الثانى عشر للأدباء بدعاً فى هذا بين المؤتمرات ، بل كان مجرد استمرار ،واقول «مجرد استمرار» لأن مؤتمرات الأدباء العرب ، منبعد المؤتمر الثانى الذى عقد فى بلودان سنة ١٩٥٦ ، تحولت الى مؤتمرات سياسية ، لحمتها الهتاف والتصفيق وبح الحناجر وسداها التسقيط والتعييش واتهامات الخيانة ، أو ما اليها ، بحيث لا يخجل مندوب بلد عربى من التهجم على بلد آخر فى مجال السياسة ـ لا الأدب ، طبعاً ـ . وقد استمرت مؤتمرات الأدباء كذلك الى اليوم ، وستظل كذلك الى يوم يدرك الأدباء (أن الأدب أدب وفن صادقان نابعان من النفس) وأن (السياسة سياسة مداورة وتقلب وتلون مع الظروف) .

ومتى يجيء هذا اليوم ؟ علم ذلك عند علام الغيوم !

ومن سخف الأقدار أن يجيء مؤتمر الأدباء العرب هذا بعد شهر واحد من مؤتمر آخر شاركت فيه فى جامعة اوربينو ـ فى وسط ايطاليا الشرقى ـ مع أكثر من مئتى أديب وشاعر وناقد من الايطاليين ومن المستطلنين القادمين من بلدان عديدة ـ وكنت الأديب العربى الوحيد فيه ـ فلم يخرج واحد منهم عن موضوع المؤتمر الى غير حديث الأدب والشعر ، والبحث الأدبى الجاد الرصين . وكان جمهور هذا المؤتمر مئات

هـــوامش على مؤتمر الأدبـــاء
ومهـــرجـــان الشعـــر

من طلبة الجامعة ومن سكان المدينة .

وشتان ما بين المؤتمر والمؤتمر! وشتان ما بين المفهوم الأدبى والمفهوم الأدبى !

ومع ذلك اقول ان هذه المؤتمرات يجب ان تستمر ولو لم يكن لها غير غاية واحدة ـ وهى فى الواقع ليس لها غير غاية واحدة ـ هى تلاقى الأدباء وتعارفهم ، وتبادل الأفكار بينهم . وقد ثبت لي من المؤتمرات العربية التى شهدتها وشاركت فيها ، أن ما يدور من حوار فى الجلسات الخاصة بين الأصدقاء غالبا ما يكون أهم مما يدور فى الجلسات العامة من بحوث ومناقشات ، واهم مما تسفر عنه المؤتمرات من توصيات ومقررات علما بان مؤتمرات الأدباء لا تلزم احداً ، وتنسى بعد تلاوتها فى الجلسة الختامية ، لتعود فتتكرر فى مؤتمرات اخرى بالفاظها وعباراتها ...

ولقد حزنت فعلا ، وحزنت بمرارة فى الجلسة الوحيدة التى شهدتها من جلسات لجنة ادب الاطفال ، وانا اسمع احد الخطباء يريد أن يقدم للأطفال (أدباً حزبياً) ، وأن يكون كل الأطفال حزبيين ، بل من حزب معين ، هو الحزب الذى ينتمى هو اليه ... يا حرام !!! حتى الأطفال لا منجاة لهم من المذهبيات التفريقية فى الوطنية والقومية ؟!

أهون التحديات

كان العنوان العام الذى انعقد تحته المؤتمر هو : «الأدب العربي المعاصر فى مواجهة التحديات» .

فماذا كانت التحديات التى عرض لها المؤتمر فى بحوثه ومناقشاته ؟

لقد وددت ان ارى بحثاً واحداً تعرض لتفصيل التحديات التى على الأدب العربى المعاصر ان يتصدى لها ، أو يشرح للمؤتمرين ولجمهور المؤتمر معنى التحدى ، وكيف يكون التحدى ، ومعنى المواجهة ، وكيف تكون المواجهة ... لم يكن ثمة شيء من ذلك على الاطلاق ، وظلت القضية فى مجال الضبابيات التى يفسرها من يشاء كما يشاء ، ككل شيء فى عالمنا العربى .. التعريف والتخطيط والتحديد ليست من الأمور المهمة فى حياتنا ، وإنما الارتجال وحده هو المهم ، وبالعواطف الهائجة وحدها يهون كل صعب ...

التحديات التى استطعنا ان ندركها من خلال البحوث والمناقشات والمقررات هى :

١ ـ مقارعة اسرائيل والصهيونية .

٢ ـ محاربة اميركا والاستعمار والراسمالية .

ولكن كيف ، وباى الأسلحة ؟ ليس هذا مهما ...

الأدب ـ حسبما استطعنا ان نفهم من الجو العام ـ عليه ان يخوض الحرب مع اسرائيل بدلا من الجيوش العسكرية ، ويخوضها مع اميركا بدلا من السياسيين والدبلوماسيين ... ذلك لأن المؤتمر ظل من بدايته الى ختامه يقول ويكرر ويردد ان (القلم بندقية) وان (الكلمة رصاصة) وان حاجة العرب اليوم هى الى (القلم البندقية) والى (الكلمة الرصاصة) ...

ومسكين القلم ، ومسكينة الكلمة !

لم يدر بخلد احد ممن رددوا هذا الشعار بحماسة وبحناجر واسعة صارخة ان الرصاصة بعد ان تنطلق من البندقية ، تصبح قطعة معدنية باردة ، يلتقطها الأطفال ليلعبوا بها ، أو تراهم يلقون بها بعيداً لأنها لم تعد تصلح حتى للعب ...

ولم يدر بخلد احد منهم ان البندقية تخدم فى يد المقاتل فترة معينة ، ثم تصبح غير صالحة للاستعمال .

فما اتفه القلم لو تحول الى بندقية ، وما اتفه الكلمة حين تصبح رصاصة !

سلاح الحضارة

اما التحديات ... فهل حقاً انه ليس امامنا غير التحديات السياسية والعسكرية ؟ هذه ـ لو علم الأدباء ـ اهون التحديات واقلها شأناً .

لو استطاع العرب ـ بمفكريهم ، وسياسييهم ، وشعرائهم ، وكتابهم ، وكل فئاتهم الأخرى ـ أن يجابهوا التحديات الحضارية الأقل شانا ، لما عجزوا عن هذه التحديات السياسية والعسكرية .

الحضارة المعاصرة كلها تتحدانا ، باصغر ما فيها وباكبر ما فيها : من ابرة الخياطة الصغيرة التافهة ، الى الصاروخ والدبابة والطائرة ، ولا نعرف كيف نصنعها ، ولا نفكر ـ حتى مجرد تفكير ـ فى ان نصنعها بايدينا ، وعلى ارضنا ، لنستغنى بها عن الآخرين ، ولنقول اننا نشارك فى صنع حضارة الانسان المعاصر .

نحارب اسرائيل ، فنشترى حتى الرصاصة من الشرق او من الغرب ، والشرق والغرب لا يعطياننا من السلاح ما يعرفان ان فيه تفوقا على اسرائيل ، او خطراً عليها . ثم حين تنفد الذخيرة الحربية من ايدى جنودنا المقاتلين فى قلب الميدان ، ويمتنع الشرق والغرب عن اعطائنا مزيداً من السلاح ـ كما حصل فعلا سنة ١٩٤٩ ، بعد الهدنة الأولى ـ لا نجد سبيلا للنجاة غير الفرار . ومن هنا تلاحقت هزائمنا أمام اسرائيل ، وامام العالم كله .

اما العدو الذى نحاربه فانه يجد اكثر من حاجته من السلاح المتفوق من جميع الجهات التى نشترى منها نحن ايضاً السلاح . ولكن العدو لا يكتفى بما ينال ـ وهو اكثر من الكثير ـ بل يصنع سلاحه بنفسه ، وفى مصانعه ، ويطوره : يصنع الرشاش ، والدبابة ، والطائرة ، ويصنع معها ذخيرتها . ويزيد سلاحه عن حاجاته الحربية ، فيبيعه حتى الى الدول المنتجة للسلاح فى الغرب . حتى اليورانيوم ـ مادة الأسلحة الذرية ـ يسرقه من اقوى دولة فى العالم ـ او هو على الاصح يحصل عليه بالتواطؤ ، لا بالسرقة ـ ليصنع منه اسلحة ذرية يحاربنا بها .

مهرجانات الشعر عندنا مثل غيرها من فنون القول
إنها مواسم لعرض عضلات الحناجر .. وليست مناسبات للابداع الانساني !

وحين نحاربه فى ميادين القتال ، نجده يعرف كل دقيقة عن جميع قواتنا ، وعن استعداداتنا ، وعن اسلحتنا ، حتى عن خططنا ، وطرق اتصالاتنا ، وكلمات السر بيننا ، فيستخدم كل ذلك بذكاء ومقدرة ضدنا .

وندخل نحن المعركة ، لا نعرف شيئاً عن قوة عدونا ، ولا عن خططه ، ولا عن استعداداته واسلحته . ونقع فى الخطأ القاتل الموصل الى الهزيمة مرة بعد مرة ، فلا تستطيع عقليتنا أن تعلمنا الحذر حتى من الجحر الذى لدغنا منه من قبل اكثر من مرة . ثم نصرخ بعد الهزيمة دون حياء بأن العدو متفوق علينا (تكنولوجياً) ...

عقليات حضارية كثيرة تتحدانا ، ونحن نواجهها بعقلية بعيدة عن الحضارة . فهل فكر فى هذا الذين اختاروا لمؤتمر الادباء الثانى عشر شعار (مواجهة التحديات) ؟

وظيفة الابداع

من المؤسف أن الذين وضعوا هذا الشعار لم يفكروا فى تعريف التحديات فى البداية ، ولا فى ثنايا البحوث ، ولا فى المناقشات ، واخيراً لم يفكروا فى تعريفها فى التوصيات والقرارات . ذلك أن المخططين كانوا من الكتاب والشعراء ولكنهم لم يعرفوا دورهم الحقيقى ، بل شاءوا أن ينتحلوا لانفسهم صفة المخططين السياسيين ، والخبراء الاقتصاديين ، والعلماء الاجتماعيين ، فكان لذلك من الطبيعى أن يضيعوا مشية الحجل ومشية الغراب معاً . وهكذا خرجوا بقرارات سياسية اشبه بقرارات مؤتمرات القمة ، ولكن دون تحديد ولا تعريف ، ولم يبحثوا فى شؤون الادب والفكر .

وصفق المصفقون ، وهتف الهاتفون ، وانتهى المؤتمر سياسياً عواطفياً مثلما ابتدأ .

واود أن اتساءل :



متى تعرف كل فئة منا وظيفتها لكى تتقنها ، وتفهم دورها لكى تبدع فيه ، وتساهم عن طريقه فى معركة الحضارة التى تتحدانا ؟

لو عرف كل منا وظيفته ودوره ، وعرف كيف يتقنهما ويبدع فيهما ، لاستطاعت كل فئة ان تتكامل مع الفئات الاخرى ، وعند ذاك فقط نبنى النهضة ، ونشارك فى الحضارة ، ونصبح قادرين على مواجهة التحديات ، والانتصار عليها ، بوعى وادراك ومقدرة .

صراخ الشعر

ونجيء الى الشعر ، ومهرجان الشعر

مهرجانات الشعر عندنا ـ مثل غيرها من فنون القول ـ هى مواسم لعرض عضلات الحناجر ، وليست مناسبات للابداع الذى يدخل الى قلوب الناس والى نفوسهم ، والى احاسيس الانسان فيهم .

والشاعر الذى يتلو فى مثل هذه المواسم قصيدة عاطفية او انسانية ، يتلوها بخجل ، وهو واثق من ان المصفقين لن يصفقوا لها ، ولن يستعيدوا ابياتها . ولذلك قل بين «شعراء المواسم» من لا يعمد الى الشعر السياسى ، لكى يضمن التصفيق . وهو عندما يلقي قصيدته السياسية يفتح فمه باوسع ما يسمح به شدقاه ، ويفهق حنجرته بكل ابعادها ، ويطلق صوته على أعلى مداه ، لأنه ان لم يفعل ذلك ، لم ينجح فى استثارة الاعجاب ، وما يتبع الاعجاب من بح الاكف بالتصفيق .

ومن المؤسف أن الجو العام قد قتل الشعر ، حين جعل الشاعر يكتب قصيدته وفى خياله جمهور وتصفيق ، ويجهل أن الشعر يموت بين ضربات الاكف المصفقة .

ويقولون لك : هذا ما يريده الشعب ، والشاعر يعطى الشعب ما يريد .

ويجهلون أن الشاعر يرفع الذوق العام اليه ، ولا ينزل هو الى تملق الذوق العام . الشعر الذى يتملق الجماهير ، تدوسه اقدام الجماهير وهى لا تدرى .

منذ عشرات السنين والانقلابات السياسية والثورات الوطنية تشتعل وتتلاحق فى البلدان العربية ، ومنذ عشرات السنين والشعر العربى يشتعل ويتلاحق معها . وامتلأت بالشعر الصارخ أطنان واطنان واطنان من الورق وصفقت له الاكف فى كل بلد عربى ، وبحت له الحناجر .

فكم من هذا الشعر عاش فى الصدور والقلوب ؟

وكم من هذا الشعر جاء بمعنى جديد وصورة جديدة ، ولفظ جديد ، واحساس جديد ؟

شعرنا السياسى كله صرخات معادة ، ومعان ممضوغة حتى القرف .

وشعرنا السياسى كله ليس فيه الانسان ، ولكن فيه استجداء التصفيق .

ولذلك مات ، ولذلك يموت شعرنا الصارخ المستجدى التصفيق .

واكثر الشعر الذى القي فى مهرجان الشعر الرابع عشر ، فى دمشق ، والذى كان قد القي من قبل فى مثل هذا الموسم من مواسم التصفيق ، كان من هذا القبيل وصرخت به حناجر ، وبحت به اصوات الناظمين ، ولكن التاريخ الادبى سيمر فوقه وينساه ، لانه لم يكتب فى الاصل ليكون شعراً ، وليكون احساساً ، ولكنه كتب لكى يلقى فى (الموسم المعهود) ...

عيسى الناعورى



عايدة الشريف



محمود شاكر

فى ساحة الدفاع عن الأصالة

حركات ثلاث .. تلك التى يسلكها الانسان اذا حالت دون رؤيته افق الشمس الساطعة جبال شماء .. فهو إما أن يدور حولها دون أن يجابهها حتى يحقق مطلبه ، أو ينصهر ليصبح جزءا من هذا الجبل فيرى بعينيه مايراه .. أو يستجمع قواه مرة تلو الاخرى ليقذف بنفسه من هذا الجبل فيجد له منفذا.

والحركة الاخيرة هى التى اختارها رجلنا الذى نكتب عنه ، العلامة الشاعر المحقق الكاتب محمود محمد شاكر . ذلك أن عبقريته كما عبقرية أقرانه من على أدهم الى عبد الرحمن صدقى وغيرهم كثير قد ولدت وساحة الفكر قد افترشتها أعمدة سامقةمن العقاد والمازنى الى طه حسين والرافعى مستهدية بشمس زعيم فذ مثل سعد زغلول .. فكان أن يمم أدهم ليتخطاهم ، وذاب صدقى فى العقاد وصولا .. أما شاكر فقد تكثف وتكثف حتى رمى أكبر اعمدتها د طه حسين بحجر نافذ .

هذا هو العالم الذى صورته ، ورسمت لى فى البداية ملامحه وخطوطه العريضة الكتب ، وبالذات تلك التى حفلت بمعارك لم أعاصرها ، ككتاب (معارك ادبية) لانور الجندى ، كما قرات له مقدمات كتب مثل (حياة الرافعى) لمحمد سعيد العريان ، (والظاهرة القرآنية) لمالك بن نبى .

ومن خلال هذا عرفت أن محمود محمد شاكر كاتب وشاعر ومحقق ، ثم عرفته مؤرخا ، من خلال سلسلة مقالاته فى الرسالة عن وحدة مصر والسودان ، لكن ما اعتبرته مفاجاة لى بحق هو جانبه السياسى .. وذلك عندما نشرت مجلة الطليعة المصرية .. وثائق برنامج «الحزب الوطنى الجديد» لفتحى رضوان بتوقيع محمود محمد شاكر ..

وقبل ذلك وبعده .. فقد تاكد لى أننى أمام شخصية فذة ، وان كانت الكلمات ، التى تتردد على شفاه شعراء وأدباء .. وعلى السنة علماء كثيرين هنا وفى العالم العربى والاسلامى .. تلقى فى النفس شيئا من الرهبة المبهمة ، عن عالم مغترب حاد التوهج ، لاذع النبرة ، قوى الحجة دائما .. يقف عملاقا .. مدافعا عن العرب والاسلام .

إرث العدالة الاسلامية

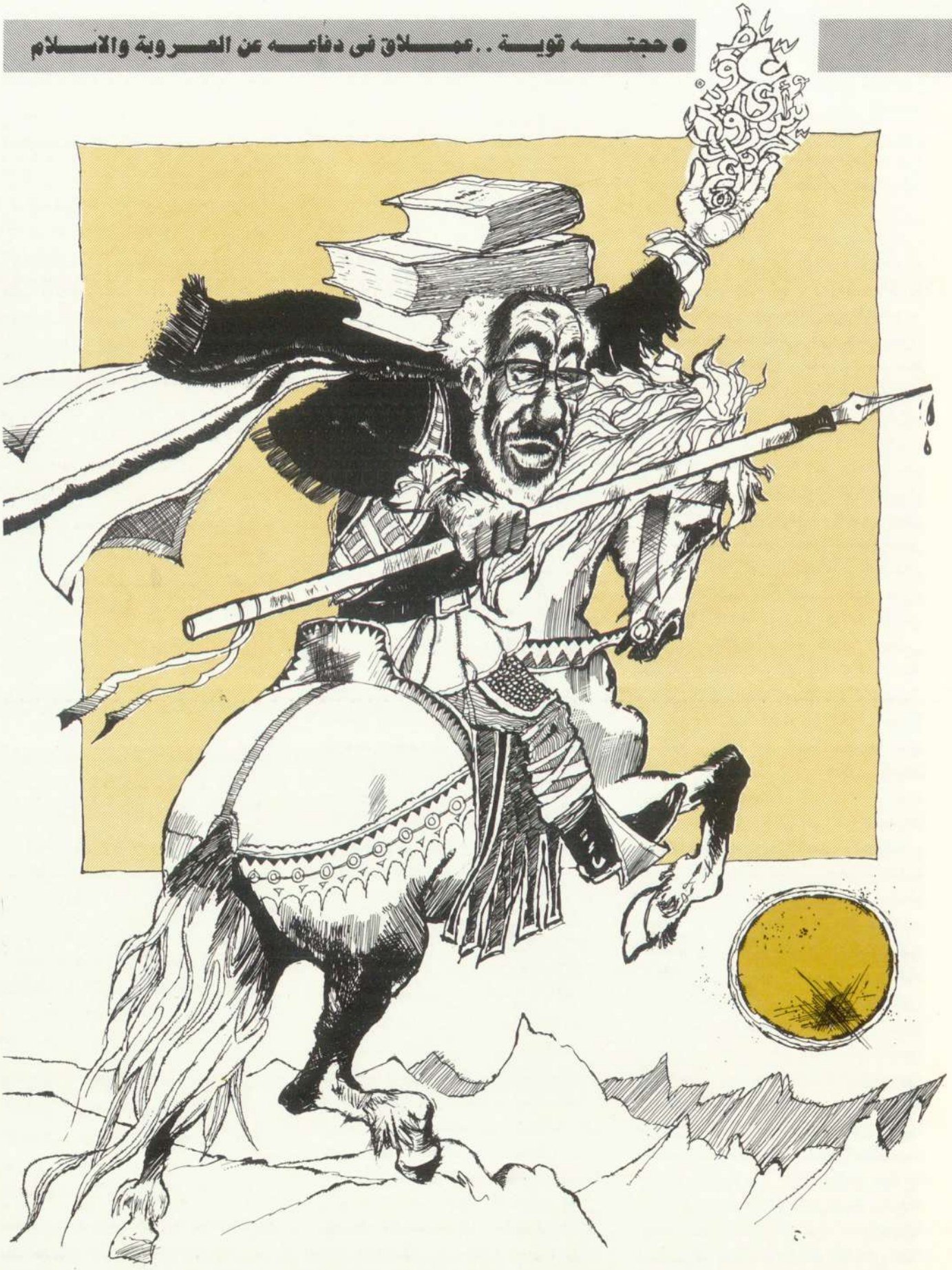
كل هذا جعلنى اشفق على نفسى من لقائه .. فقد قال لى المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى : أنه لو وجد الجاحظ الآن .. لترك مكانه عن طيب خاطر لمحمود محمد شاكر .. ولخص لى مفكر عربى رأيه فى ثلاث كلمات : إنه متحيز لعروبة مصر .. وأكد لى العالم السعودى عبد الله عسيلان : أنه إرث العدالة الاسلامية المعاصرة .

ولما كنت أيام شغفى بمعرفة هذه الشخصية موظفة لدى نجيب محفوظ فقد سألته ذات يوم : هل التقيت بمحمود شاكر ؟ فقال انه – أى شاكر – كان فى زيارة زميلى الاستاذ يحيى حقى أيام كنا نعمل معا فى مؤسسة دعم السينما ، وعندما رحت اصافحه .. استقبلنى متهللا وهو يقول ، نجيب بقيت لك خطوتان وتكتب العربية الفصحى .. ثم دعانى لزيارته .. ولكن ظروفى لم تسمح لى بذلك .

عشت أتخيل هذا العالم .. لسنوات طويلة ، وكان اختيارى لهذا الاسلوب ، أو ركونى اليه .. يرجع الى أن (شاكر) كان فى هذه الفترة من اهتمامى قد اعتزل الكتابة من ٥٢ الى ١٩٦٤ ، وكان قبلها قد اعتزل المجتمع ، وقد عثرت فى أحد كتبه على وصف لأسباب اعتزاله المجتمع يقول :

عشت أكثر من اربعين سنة ، وأنا اجاهد هذه الحياة التى أحاطت بى منذ ولدت

● حجته قوية .. عملاق فى دفاعه عن العروبة والاسلام



وأبيت أن أقبلها على علاتها ، لأنى منذ بدأت أعقل ما أنا فيه. رأيتنى أنشأ فى قطيع يساق الى المجزرة وهو فرح بها نشوان ! رأيت مجتمعا يتمزق وهو ينشق عن كل تاريخه الماضى .. بخطاطيف قد علقت بلحمه .. تجذبه من هنا وهنا وهناك ، لاتكاد تدركها الابصار ، ولكنها على ذلك خطاطيف كنت أجد مغرزها فى لحمى ، وأحس بجذبها فى وجدانى ، يومئذ فزعت فزعا لايطيق العلم أن يصوره فى اسطر وكأنه يردد :

إذا كان علم الناس ليس بنافع ..ولا دافع ، فالخسر للعلماء !

ثم تجىء فترة اعتكافه واعتزاله الكتابة ايضا .. فيقول بعد ذلك : ليس حسنا أن يعزل كاتب قلمه ، ولكن هذا قدر الله على أن افعل ، فنحيته عن اناملى لكى افرغ للقراءة والتفكير ..

لكنه امسك بالقلم من جديد .. يشق به شرنقة الاعتكاف ، ويرد على مقالات الدكتور لويس عوض «على هامش الغفران ـ شىء من التاريخ» التى نشرت فى الاهرام عام ١٩٦٤.

خلال هذه الفترة .. جلست لاستاذى الكبير المرحوم محمد مندور ليملى على مقالة يناشد فيها الاستاذ محمود شاكر .. أن يخفف من وطاته وحدته فيما يكتب عن لويس عوض ، ويذكره بزمالتهما ، وهنا أستاذنت استاذى مندور فى وقفة .. لاعرف شيئا عن هذه الزمالة . فاخبرنى بانهما محمود شاكر ومندور كانا زميلين فى كلية الاداب ، ولكن «شاكر» تركها بعد استحكام الخلاف بينه وبين الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الأدب العربى ، والشعر الجاهلى خاصة .. كان رأى الدكتور طه هو تعميم الشك فى الشعر الجاهلى وكل ما قيل عن الحياة العربية قبل الاسلام ، وكان رأى شاكر الطالب فى ذلك الوقت هو البدء فى دراسة النصوص ذاتها ، ومحاولة إدراك صحتها أو بطلانها من خلال فحص النصوص من الداخل ، وذلك قبل طرح قضية الشك فيها

وهنا سألت مرة أخرى ، كيف يتصدى التلميذ لاستاذه بهذا المنطق العلمى وبهذه الغيرة المحمودة على العرب ؟ قال كلمة لم أعرف صداها إلا بعد ذلك ، انه أصغر أولاد الشيخ محمد شاكر .. ثم سكت ..

رحت بعد ذلك أقرأ فى «الموسوعة العربية الميسرة» محمد شاكر عالم دينى وقاض مصرى ، ولد بجرجا ، وتعلم بالأزهر .. شغل منصب قاضى قضاة السودان أربعة أعوام . ثم عين شيخا لعلماء الاسكندرية .. فوكيلا للأزهر . كان من هيئة كبار العلماء ، ومن أعضاء الجمعية التشريعية ١٩١٣ ناصر الحركة الوطنية فى أيام سعد زغلول . له مولفات وبحوث كثيرة.

صراع في كل الميادين

وقد وصف شاكر نشأته فى أحد كتبه فقال «قدر الله أن افتح عينى على ثورة مصر عام ١٩١٩ ، وعلى دار تموج بالثوار ، فعقلت من الأمر يومئذ ما عقلت ، ورأيت بعينى رجالا ، وسمعت بأذنى آراء ، ورضيت بقلبى أو سخطت ، وأعانتنى فطرتى بضرب من التمييز، كان يرج نفسى رجا شديدا وأنا بعد فى نشوة الصبا ولم أكد حتى إنطلقت أجوب مجتمعا يفور بالمتناقضات ويتشقق بالصراع المر فى ميادين مختلفة ، من الدين الى العلم الى الأدب الى الفن الى السياسة .. الى السنن الموروثة ، فخضت محنة زمانى فى أول نشأتى بنفس غضة مجرحة بالتجارب .. وهلك رجال ونشأ رجال ، فرأيت وسمعت ورضيت وسخطت ، وعلمت من أسرار الصراع مالم أكن أعلم»

وعندما التحق بأول دور التعليم .. كان جيل «دنلوب» وزير معارف مصر أيام الاحتلال قد انتشر واستوى على سوقه ، وتولى هذا الجيل تعليمهم ، وصار له رأى فى سياسة بلاده ، فلما انفجر الامر إنفجارا ووقع النزاع بين الفطرة السليمة التى تسكن فى قلوب الشعوب وبين الثقافة المجتلبة التى تضرب على الاعين غشاوة وعلى القلوب سدا منيعا من الجهل والغطرسة ، قامت ثورة عام ١٩١٩ . بيد أن هذا الصراع فهم على غير وجهه الصحيح ، لأن مهارة المستعمر ودسائسه الخفية ومكره البعيد الغور جعل ظاهر الأمر صراعا بين أحزاب تريد أن تتولى الحكم ، تحت سلطان هذا المستعمر ، مع أن هذا الصراع فى الحقيقة ، كان صراعا بين حضارتين ، طال بينهما الصراع دهورا . وكان صراعا بين العرب ودينهم وآدابهم وثقافتهم وبين أعاجم أوربا ودينهم وثقافتهم .

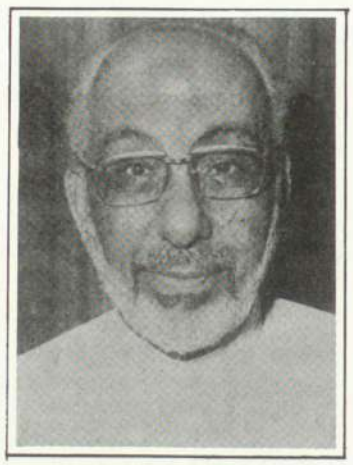
هكذا نشأ الفتى فى تلك البيئة العلمية الأصيلة ، يشده ويقربه منها استعداد شخصى يتبلور فى الشغف والنهم فى كل ما يتعلق بالقراءة والتحصيل ، وقدرة على الاستيعاب .. حتى انه كان يتوجه الى دروس بعد الفراغ من دروس «المدرسة الاميرية» الملتحق بها .. وكان بالقسم العلمى ولكن الدكتور طه حسين تمكن باقتداره من اقناع أحمد لطفى السيد مدير الجامعة بالحاقة بكلية الآداب .. فهو مدرك بعبقرية اللغة .. بعد قراءة «لسان العرب» وإعادة قراءة كتاب الاغانى مرات ومرات .. بجانب قراءته الواسعة الاخرى فى الفقه والتفسير والحديث والتاريخ .. مما أهله لأن يعرف طريق النشر ، ويصبح اسما معروفا قبل التحاقه بالجامعة من خلال بحوثه وتحقيقاته وقصائده .

عندما دخل الفتى إذن الى الجامعة .. دخلها ومعه ثورة الشباب وأحلامه .. دخلها ومعه كل ما قراه وسمعه من آداب امته وتاريخها وأخلاق علمائها وعظمة رجالها .. دخلها ومعه أيضا كل ما كتبه المستشرقون من مرجليوت الى نيلينو الى جويدى فى الشعر الجاهلى .. ولكنه عندما سمع مصغيا الى استاذه الدكتور طه حسين .. وهيبة الاستاذية تملأ قلبه وهو يردد كلماته التى تشكك فى الشعر الجاهلى .. لم تأسره هذه الكلمات .. بل انقبض قلبه وانبسط .. وطفا متن مرجليوت كتابا مفتوحا يقرأ المتن بعينه ويسمع الحاشية على المتن بأذنه .. ولكنها حاشية من نوع مبتكر مبتدع جديد مباين للحواشى التى كانت مألوفة يومئذ عند طلبة الازهر .. وتعجب الطالب لو مرة واحدة ذكر الدكتور طه اسم مرجليوت لنجى من هذا القول الذي

أصبح جاره كلما تكلم الدكتور طه فى هذا الموضوع.لقد أخذته الحيرة حتى لم يدع له ولقلبه سكينة ، فسار على الجمر حافيا .. فهو فى السابعة عشرة من عمره وطالب أيضا .. والدكتور طه حسين فى السابعة والثلاثين من عمره وله أبهته وهيمنته .. فماذا يفعل !! ودارت الايام وهو يغدو ويروح الى الجامعة يسمع يوما بعد يوم قعقعة معنى الجامعة فى نفسه وهو يتحفز يريد أن ينقض .. وفى خلال ذلك وجد نفسه يقف يجادل الدكتور طه فى (المنهج) والشك ، وضرورة فحص النص الجاهلى قبل الحكم بانه منحول موضوع أو انه شعر إسلامى صاغه الرواة فى الاسلام .. وبينما انتهره الدكتور طه .. ثم استدعاه فعاقبه .. كان جميع الطلبة قد انفضوا عنه إلا طالبا من قسم الفلسفة .. وعند ذلك عرفت لم كانت تنويهات الدكتور مندور يوم سألته عنه ..

البحث عن الحقيقة

ودارت الأيام وصليل المعاول وهى تضرب فى معنى الجامعة يتردد فى نفسه .. ويسمع هدة انهيارها .. وبغتة تهاوى كل شىء وهلكت قدرته على الصبر فانقطع عن الدراسة ، واستحضر عزيمته على أن يهجر مصر كلها لا الجامعة وحدها .. غير مبال باتمام دراسته الجامعية .. وعزم أن يسافر الى مكة والمدينة طلبا للعزلة .. وتلمسا للحقيقة .. ولم يفلح فى عودته اليه استاذه المستشرق نيلينو .. الذى كان يعرف كم هو على حق ولكنه رد عليه : نعم أنا مقتنع بكل ما تقوله عنى وعن تسرعى وتهورى ومخاطرتى بمستقبلى ، ولكنى لم أكن كما وصفت إلا لشىء واحد ، هو أن معنى (الجامعة) فى نفسى قد أصبح أنقاضا وركاما ، فان استطعت أن تعيد لى البناء كما كان ، فأنا أول ساكن يدخله لايفارقه . قال : ما هذا ؟ ماذا تعنى ؟ وجم نيلينو ، وأحس الفتى بنظرات العيون تنفذ كالسهام فى جميع أعضائه.وبغتة قال له الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله «مؤلف كتاب قصص الانبياء» الذى استغله جميع كتاب العربية قال «ان هذا الفتى كان فى رأسه أربعة وعشرون برجا



محمود شاكر بعد أداء فريضة الحج .

فطارت ولم يبق إلا برج واحد ، عسى أن ينتفع به يوما ما ، فيسترد الأبراج التى طارت» !

بعد يومين كان على ظهر الباخرة التى أقلته الى مدينة جدة ، فنزلها ، وشد الرحال الى بيت الله الحرام ، فأدى العمرة ، ثم عاد الى جدة بعد أيام ، فوجد أول رسالة تلقاها من أبيه وفى آخرها يقول «زارنى فى عصر اليوم الذى سافرت فيه الى السويس الاستاذ نيلينو والدكتور طه حسين» ، ولم يزد على ذلك شيئا وختم الرسالة .

لقد كانت احدى دوافعه عندما ولى وجهه شطر الأراضى الحجازية أن يعيش هذا الجو العربى الاسلامى على الطبيعة وأن يدرس عن قرب طريق النجاة لأمته . عاش هناك سنوات كأول ناظر لمدرسة جدة الابتدائية وهو فى التاسعة عشرة من عمره !

وهكذا نجد أن رجلنا لم يستسلم لظروفه ودرجته العلمية .. بل جعلته جراته يقفز السنين ويتخطى عمره .. وكأن لسان حاله يقول : اذا كان العمالقة ينظرون الى الابعد فان التحليق فوق هاماتهم ، سيجعل الرؤية أثقب والتحديق أشد وأنفذ !

واذا كان قد شارك فى صنع سعد زغلول كزعيم وكعملاق تجارب انسانية وثورة شعبية كثورة ١٩ فانه قد شارك فى صنع بعض أعمدتها الفكرية كطه حسين .. ملامح شخصية سلطت عليها أضواء وألوان وأصباغ ومؤثرات فانحصر همهم فى خلق انطباعات وليس توليد قناعات

ولكن هاهو رجلنا يحزم حقائبه ويعود الى أرض الوطن عندما ظهرت قضية تتعلق بمستقبل الثقافة العربية كلها متمثلة فى دعوة «عبد العزيز باشا فهمى لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ـ كما حدث فى تركيا كمال أتاتورك ـ فخاض شاكر معركة من أعنف معاركه وأشدها ضراوة ضد أنصار هذه الدعوة ودفاعا عن اللغة العربية حتى وئدت هذه الدعوة وأسكت أصحابها والمتحمسين لها .

واندمج صاحب هذا العالم .. فى الوسط الأدبى ، وخالط أدباء وشعراء ذلك الجيل ابتداء من شوقى الذى كان يلازمه أياما وليال طويلة ، الى ابناء جيله ، يحيى حقى .. ومحمود حسن اسماعيل وصديقه (العقاد) وزكى نجيب محمود وغيرهم .. وغيرهم كثير ، وتفرغ (صاحبنا) للكتابة فى الصحف والمجلات الأدبية .. مثل الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف .. والبلاغ والزمان ، ولم تصرفه المقالات المتتابعة عن مواصلة العمل فى أهم جوانب حياته .. وهو نشر روائع التراث بتحقيق علمى ومنهجى مستقل ، معروف عنه ، ويحظى بالتقدير فى أوساط العلماء .

مع المتنبى

ولكن هل تسير الأمور هادئة ؟ لا ، فكلما أوغلنا فى عالم (شاكر) سوف نكتشف أن حياة هذا المفكر .. ما هى إلا سلسلة متصلة من المعارك الصاخبة .. فعندما أفردت «المقتطف» عدداً خاصاً بمناسبة مرور ألف عام على وفاة «المتنبى» ، كتب أول دراسة لشخصية الشاعر من خلال آثاره الشعرية ، واعتبرت فيما بعد مرجعاً أساسياً لدراسة شعر المتنبى .. كما وقد رأينا فى جميع الكتب التى ظهرت بعد ذلك لاسيما كتاب الاستاذ الشاعر ابراهيم العريض . غير أن هذه الدراسة أثارت معركة جديدة بينه وبين طه حسين ، وكان من آثارها أن أصدر الدكتور طه كتابه (مع المتنبى) بعد عام واحد .. ليرتفع الجدل والنقاش بين الاثنين مرة أخرى ، حول شخصية الشاعر العباسى العظيم ، وقضية الشعر العربى بوجه عام .. وكان شاكر ، آنذاك فى السادسة عشرة .. ومنذ أربع سنوات فقط .. أعاد طبع هذا الكتاب مصحوباً بكل معاركه ومناقشاته

مع طه حسين .. وكان سبباً فى فتح ملف هذا الجدل .. مما جعله ينشر فى مجلة الثقافة .. مقالا يرد فيه على رئيس تحريرها الدكتور عبد العزيز الدسوقى .. تحت عنوان «المتنبى ليتنى ما عرفته» ذلك أن الدكتور دسوقى قد علق على الطبعة الجديدة : «بأنه لشىء محزن أن يصل (اللدد فى الخصومة) حدا يجعلنا نسلب طه حسين أخص خصائصه ، ونتجاهل أجمل قدراته ، ونصفه بأنه «رجل جاهل» ، وليس له بصر يتذوق الشعر» ! .. مما أحزن شاكراً .. فرد بقوله: «أما عن مسالتى مع طه حسين فى الجامعة فغير قادرة على أن تنشىء بينى وبين الدكتور طه «خصومة» وأيضاً ، لم يكن لها ، لا بالفعل ولا بالقوة ، فى نفسى أو فى قلبى ، أو فى أى شىء مما أكتب ، أثر يمكن أن يحرك (خصومة) ، واذا كنت ممن يخاصم الناس على آرائهم ، وممن يخاصم الآراء نفسها ، فأولى الناس كان بخصومتى هو مرجليوت نفسه صاحب المسالة .. وصاحب المتن ، أما الدكتور فلم يكن سوى ناقل لهذه المسالة .. وصاحب (حاشية) على هذا المتن ، لا أكثر ولا أقل ، ولكن القضية التى نشأت عندى أنا ، وكانت محاضرات الدكتور سبباً فى نشاتها يوم كنت طالباً عنده فى الجامعة ، فهى (قضية السطو) على أقوال الناس وآرائهم وأعمالهم .. ثم إدعاء تملكها تملك عزيز مقتدر ، ثم الاستعلاء بهذا الملك المغصوب والاستطالة به على الناس .. وأبشع من ذلك : أن ينكشف أمر هذا الغصب والسطو .. ويتسامح به الناس ويدل الكتاب والعلماء على الأصل المغصوب كتابة موثقة منشورة ، فلا يبالى الساطى بشىء من ذلك كله بل يزداد جراة وتيهاً عن سطو لم يقل ، وكان ظهور سطوه فضيلة ترفع من قدره وتنوه به فى المجامع ، أما أنا ، مع أسفى واعتذارى .. فلم أزل أعد هذا المسلك احتقاراً للناس أى احتقار وإزدراء بهم وبعقولهم أى ازدراء وانزالهم منزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يحس» .

ثم أنهى المقال بالرد على الاتهام الثانى : نعم أنا قلت مراراً لا أحصيها فى كتابى وفى مقالاتى عن كتاب الدكتور طه «مع المتنبى» أن الدكتور (لا بصر له بالشعر) ، فى المعنى . حتى تغنى بالشعر) ، ولكنى لم أقل قط أنه «لا بصر له بتذوق الشعر» . والجملتان غير متكافئتين فى المعنى . حتى تغنى احداهما عن الأخرى أو تقوم مقامها .. وأنا أعلم أن أهل زماننا يتساهلون فى كل شىء ، ويتساهلون خاصة فى التعبير ، بلا تحديد ولا تحليل لألفاظ اللغة .. وكنت أحب لك ألا تتابعهم على هذا التساهل . ولكنى أعلم أيضاً أن هذه هى أيضاً احدى السنن التى سنها «الأساتذة الكبار» ، فغلبت على الناس وعلى السنتهم ، فأصابت منهم موقعاً أغفلهم عن حقيقة الفساد الذى يجره التساهل .. ولا شك أن هذه اللمحات فى صورة هذا الرجل ، تؤكد لنا أنه يعيش منذ شبابه صراعاً يكاد يمزقه ، كلما رأى الأمة العربية تنشق عن كل تاريخها الماضى .. وتساق الى مجزرة نصبها لها الغرب وهو فرح بها نشوان !

لقد ملأت هذه الحقيقة عالم هذا الرجل قلقاً متصلا . فوهب حياته وجهده كتبه ومعاركه وان تشعبت اليه الطرق ، للدفاع عن أمته العربية الاسلامية وجعل طريقه الى هتك الأستار المسدلة التى تحمل من ورائها رجالا فيما خلا من الزمان ، ورجالا آخرين قد ورثوهم فى زماننا وهمهم جميعاً كان ـ أن يحققوا للثقافة الغربيةالوثنية كل الغلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا وعلى حياتنا ، وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذى بناه آباؤنا فى قرون متطاولة ، وصححوا به فساد الحياة البشرية فى نواحيها الانسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية ، وردها الى طريق مستقيم علمه ذلك من علمه وجهله من جهله .

فكتب وأنشد وحقق وعارك فى كل جبهات ومنافذ تسلل الشعائب، وسد ثغرات لا يستهان بها من كتبه «طبقات فحول الشعراء» ، «الوحشيات» ، «شرح ومراجعة أشعار الهزليين» ، «المكافاة وحسن العقبى» ، لأحمد بن يوسف الكاتب ، «إمتاع الأسماع للمقريزى» ، «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير ابن بكار ، «تفسير الطبرى» فى خمسة عشر مجلداً ، ولا يزال مثلها تحت الطبع .. كما صحح وضبط وشرح مع أحمد أمين وعلى الجارم كتباً كثيرة مثل المكافاة .. وغيره .. الى جانب اشرافه ضبطاً وتحقيقاً على أعداد المقتطف وريدرز دايجست التى كان يقوم بترجمتها كبار الأدباء من العقاد والمازنى الى د. محمد عوض محمد وألف كتاب المتنبى (جزءان) وأباطيل وأسمار .. وقصيدته الملحمية القوس العذراء .. كما عرفنا .

نقطة ضوء !

كل هذا يدلنا أن عالم محمد شاكر ليس من النوع المألوف .. الذى نقرأ عنه فى مجالاتنا المعاصرة .. إنه صورة .. لا بل هو جزء من مجالس العلم القديمة التى يصلنا شذاها من خلال صفحات أمهات الكتب العربية ، تلك المجالس التى أضاءت بمصابيح العبقرية العربية أبهاء الفكر متمثلة فى علمائها ورواتها وشعرائها وفقهائها .. وكل من انتظم فى ذلك العقد الفريد ، من هؤلاء الرجال العظام . الذين مكنوا لكل ما هو عربى أصيل فى هذه الأرض .

وهذا كله وإن أرهبنى فترة طويلة عن لقائه إلا اننى لمحت وسطه على قطة ضوء أضاءت لي طريقة فى الولوج الى هذا العالم .. وهى انه إذا كان جيل العمالقة قد حال دون وصول الضوء الى من بعده فغيم عليهم .. إلا أن هذه الغيمة كانت واحة هادئة للذين أتوا معهم أو من بعدهم على اختلاف مشاربهم .. وقد تجلى كل ذلك فى اعترافاتهم الصادقة .. فأنت عندما تقرأ السيرة الذاتية ليحيى حقى التى تصدرت أعماله الكاملة تجده يقول : «وأثناء عملى بديوان وزارة الخارجية .. كانت الكتابة بالنسبة لي خاطراً غير تام الأدوات ، ولكن عندما توثقت صلتى بالمحقق البحاثة الأستاذ محمود شاكر ، وقرأت معه عدداً من أمهات كتب الأدب العربى القديم ودواوين شعره .. انفتح الطريق أمامى .. ومنذ ذلك الحين وأنا شديد الاهتمام باللغة العربية وأسرارها وبيانها وسحرها .»

وقال لي الأستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل «رحمه الله» يوم سألته عن تاثير شاكر عليه : لا أستطيع تحديد أبعاد ما حزته من صداقتى لمحمود شاكر

● ظلمه الدكتور لويس عوض عندما اتهمه بالوقوف ضد كل جديد

منذ عام ٣٦ .. لقد زج بى الى الشعر الجاهلى وأمالنى مع الشعر الأموى وطوح بى مع الشعر العباسى فأحاط بى لحم سداه بالشعر كافة وأستطيع القول انه من غير شاكر كان شعرى هو النبع الهادى فجعله كالبحر المتلاطم .

وهاتان الحقيقتان .. إن دلتا على أن هذا الرجل كان كالنور على كل ما هو صالح وأصيل .. إلا أنهما تتباينان مع حقيقتين أخريين .. لم يكن الرجل فيهما الدفء على كل وارد أو معارض كما حدث فى رده على لويس عوض بكتاب «أباطيل وأسحار» أو أخيراً كتابه «برنامج طبقات فحول الشعراء» الذى كان أصله رسالة موجهة الى مجلة المورد التى تصدرها وزارة الثقافة العراقية ، تعقيباً على مقال نشر فى نقد كتاب شاكر «طبقات فحول الشعراء» كتبه الدكتور على جواد الطاهر .

وهذا كله يدل أن هذا الرجل لم يغمره فى حياته إلا البحث والاستكشاف فاذا حدث ووقعت عيناه على شائبة اندفع باعصار الى استلالها من بحر الرواق .. وفى الوقت نفسه أغنى المكتبة العربية كما قال الدكتور عبد العزيز كامل .. بكتابين نادرين ..

ولعله من الاحاطة بمكان أن نذكر أن لويس عوض عندما جمع مقالاته المنقودة من شاكر فى كتاب «على هامش الغفران شىء من التاريخ» اعترف فى مقدمته .. بانه كان من الممكن أن يستفيد من ملاحظات شاكر لو أنه كان أهدأ نبرة وأخف وطأة .. ولكنه عاد عام ٦٧ ووجد أن هذه الكلمات لم تشف غله من شاكر ورؤيته فى أمور الحياة المعاصرة .. فصوره فى كتابه (المحاورات الجديدة) على أنه مجاهد بن الشملح ـ وهو اسم استلهمه الدكتور وليس من قصيدة شاكر الملحمية القوس العذراء ـ وجعله العربى التقليدى الذى يهش فى وجه كل جديد متهماً إياه بالسذاجة .. ويصيح فى وجه كل وارد .. بانه من أفعال المبشرين أو أنه مؤامرة صليبية : تذكروا بيزنطة ، هؤلاء هم أعداؤنا التقليديون قولوا معى فلتسقط صولون وأهل صولون ، أو : إننى سلفى وأفخر بأننى سلفى .

محمود شاكر وكاتبة المقال أثناء فريضة الحج



وبذلك يكون الدكتور لويس قد فشل لأنه حنط فى تصوير شاكر بين الأصالة التى يدعو اليها رجلنا وبين التقليد الذى يتصوره لويس عوض تجديداً ولا نعرف بعد رد فعل الدكتور على جواد طاهر .. لأن كتاب شاكر معه قد ظهر أخيراً .. وإن كنا نعرف أننا بتتبعه قد ملنا عن الموضوع الذى بدأناه عن معرفتى بشاكر ولقائى الأول معه ..

.. فى الطريق اليه

لقد استمر بى الحال طويلا .. أتهيبه من خلال تقدير لا حد له ، وأحاول أن أعرف المزيد عنه ، لايمانى بأن ذلك .. هو الخطوة الصحيحة المؤدية الى اللقاء الذى أحلم به .. فعشت تحديه ومراجعته للدكتور عبد الغفار مكاوى على صفحات مجلة «المجلة» حول مفهوم (جوته) للأدب العربى بوجل شديد ..

وأخيراً وجدتنى .. بكل الاعجاب والتهيب ، فى الطريق اليه .. حيث بيته أو مدرسته الفكرية على الأصح (شارع حسين المرصفى) بمصر الجديدة .. وكان اللقاء . ورغم أن الصديقين محمد عودة والدكتور محمد يوسف قد صوبوا لى ما رسمه الخيال ، عندما تصورته معهما ، وأنه يوماً ما كان يطيل لحيته ـ وهو هكذا الآن ـ إلا هيئته لم تلفت نظرى ، بقدر ما استحوذ علي بالفعل وللوهلة الأولى بسلطته الواضعة وتواضعه الأصيل ..

وأخذ هو .. يزيح عنى الخجل والدهشة ببشاشته .. وطفولته الكبيرة ، حيث حاولت اخفاءها .. بالتجوال بالنظر .. فى تلك الكتب المتراصة التى تغطى جدران البيت كله ، والتى تضم كل ما يخطر أو لا يخطر على البال من كتب الثقافة ..

وسألنى عن لقبى «الشريف» فأعدت على مسامعه متلعثمة ما كان يقصه علي والدى من هذه الشجرة العائلية العربية واستوضحنى عن البلدة التى أتينا منها فقلت «جرجا» وهنا تهلل وجهه ..

يقول : قطعاً نحن أقرباء ـ فأنا أيضاً من جرجا ، وأخذ يشرح للضيوف وجلساء الندوة .. أنساب العائلات العربية التى تشعبت فى مصر ، فى تمكن واقتدار ..

وعرفت .. بعد توالى الزيارات ، أن وداعته الأولى معى .. كانت من باب حسن الاستقبال والضيافة العربية .. ، فبعد أن أصبحت جزءاً من مجلس «الجمعة» حيث يفد الأصدقاء القدامى ، والأصدقاء الذين كانوا تلامذة له ، عرفت عادة من أشهر عاداته ، إذ كان يصوب حتى السؤال الذى يطرح .. قبل أن يجيب عليه .. يوماً سألته عن التراث العربى .. فقال لي : ليس هناك شىء بهذا الاسم .. لأن للتراث يقال إذا كانت هناك حضارة اندثرت .. ونتكلم عنها الآن .. أما الحضارة العربية فهى متسلسلة وليست تراثا .. ثم تتعاظم نبرته وهو يشرح أدق التفاصيل ، ولا يرجع الى هدوئه بالانتهاء من التصويب ، وبيان أوجه الخطأ .. ورأي العرب فى ذلك .. ويصبح أكثر وداعة ورقة .. عندما تظهر ابنته

(زلفى) .. وهى دقيقة التركيب وحادة الذكاء أيضاً أو ابنه (فهر) .. ولا شك أن هذا الطبع يدل على ملمح فى شخصيته ألا وهو أنه أخذه الفكر شوطاً أنساه حتى الزواج إلا أخيراً .. ففهر فى الخامسة عشرة من عمره وزلفى فى الحادية عشرة من عمرها ..

و (زلفى) تعيدنى دائماً الى مقدمات كتبه التى يستهلها دوماً بقوله «الحمد لله وحده لا شريك له .. حمداً يقربنا الى رضوانه ، وصلاة الله على نبيه المصطفى من أبناء الرسولين الكريمين .. ابراهيم واسماعيل ، صلاة تزلفنا الى جنته».

وعندما رددت اسم (فهر) بشفتى بينى وبين نفسى ، أحاول تذكر مكانه بين اسماء العرب ، قطع والده علي تفكيرى .. وكأنه كان يقرأ ما يدور بخلدى : «هو قرشي جد محمد صلى الله عليه وسلم» وهنا أيقنت أنه فضلا عن علمه الواسع الغزير .. يتمتع بفراسة قوية ! .

وعبثاً أحاول أن أستأثر به ولو بعض الوقت ، من قصاده ومريديه لأستزيد من تلك الحياة العميقة ، لا سيما وقد قدمت بغية اجراء حديث معه .. ويشعر صديقه الدكتور ناصر بموقفى .. فيسارع لانقاذى .. والدكتور ناصر الأسد .. هو الوزير المفوض بالجامعة العربية .. يومها .. ومؤسس الجامعة الأردنية وأول مدير لها . بدأ معى . بأنه تعرف على الأستاذ محمود شاكر عام ١٩٥١ .. بعد انتهائه من اعداد رسالة الماجستير .. وبداية تحضيره للدكتوراه .. وكنت أعرف عنه الكثير ـ الكلام للدكتور ناصر ـ من خلال قراءة مجلة الرسالة ، ومن كتابه الذى أصدره عن المتنبى ، وكان بيته منذ زمن بعيد ، كعبة للقصاد من العلماء والأدباء وطلبة العلم والمتأدبين ، والعجيب اننى من أول زيارة له ، شعرنا معاً بهذه الرابطة الخفية التى تجمع النفوس والعقول ، حتى أننى قبيل مغادرتى لداره ، ردد فى مسمعى رغبته أن (تنشب) المودة بيننا .وبالفعل فقد قامت بيننا صداقة استمرت كأعمق ما تكون الصداقة بين اثنين ، وقد أفدت من هذه المجالس .. ما لم أفده من مجلس علم آخر فى جميع مراحل حياتى ، لا استثنى من ذلك مرحلة دراستى فى الجامعة ، ولقد مرت على هذه الدار أوقات كانت تمتلىء فيها بطلاب العلم الذين يفدون الى القاهرة من مختلف البلاد العربية والاسلامية .

وأذكر أننا فى بعض تلك المجالس كنا نقرأ على الأستاذ شاكر كتباً من أمهات روائع أمتنا ، ولن أنسى طريقته الفذة فى شرح (الأصمعيات) وهو مختارات من الشعر العربى ، وانني أستعمل كلمة شرح مجازاً هنا ، لأنه لم يكن شرحاً بالمعنى المتعارف عليه ، بل كان إحياء حقيقياً لهذه المختارات ، وكان محمود شاكر هو الشاعر الذى انبثقت منه القصيدة ، فكان يغوص فى أعماق وجدان الشعر ويستخرج كرامته ، ويعيد تركيب أبيات القصيدة .. بحيث نحس نبض كل كلمة فيها وبالاطار العام للصورة الفنية والوجدانية التى كانت تختلج فى نفس الشاعر .. ومازلت أحتفظ بالكراسات التى دونت فيها بعض ما كان يقوله فى تلك المجالس . وهذه الكراسات أعود اليها من حين الى آخر .. فاجد فيها ثروة لا تنفد ولا تنضب من علم وعمق فهم لأمهات روائعنا الخالدة .

العطاء الأكبر

وقد تحققت من كلمات الدكتور ناصر .. عندما وفدت الى الكويت حيث أعاد على مسمعى الدكاترة الأخوة يعقوب عبد الله ومرزوق الغنيم .. والأستاذ صالح العثمان مدير ادارة تعليم الكبار .. وجمعة ياسين أحد رجال التعليم الذى تحول الى السياسة والأستاذ جاسم المطوع ـ رئيس تحرير جريدة الوطن ـ نفس كلمات الدكتور ناصر وبنفس ترتيب الكلمات أيضاً .. وإن كانوا أضافوا أن الأستاذ شاكر لم يكن ينجلى إلا بعد فترة من المداعبات الطويلة .

ولكل هذا نستطيع القول ان العطاء الفكرى الأكبر لهذا الرجل ، لم يكن من خلال الكتابة ، بقدر ما كان من خلال تلاميذه المنتشرين على الأرض العربية ، وأصدقائه .. وعارفى فضله ومكانته .

وتجرنى الذكريات الى صداقته العميقة (للرافعى) وتقديمه فيما بعد لكتاب (سعيد العريان) عنه .. ثم دفاعه عن الرافعى ضد أحد تلاميذ العقاد ، مما جعل العقاد يظل لمدة طويلة يعتقد فى تعصبه للرافعى ، حيث اكتشف فيه بعد صداقتهما .. حرية الرأى وموضوعيته العارمة التى جعلته أكثر إنصافاً للعقاد من بعض تلاميذه . وتوطدت صداقتهما واستمرت حتى غادر العقاد عالم الأحياء ..

وقد تأكدت لدي موضوعية شاكر .. عندما أخذت أتصفح كتبه وأعرف طريقى اليها ببساطة .. فلمحت يوماً إهداء المرحوم اسماعيل مظهر له .. فكشفت مدى المودة التى تربط بين رجلين أحدهما ـ محمد شاكر ـ متدين والآخر ـ اسماعيل مظهر ـ متحرر فى فكره .. وليس ذلك بغريب عليه فهو يأنس الى الناس من مختلف الاتجاهات الفكرية ، ولا يخلط بين العلاقات الشخصية وتعارض الآراء ، ويحتفظ بتقديره الكامل للآخرين .. مهما كان خلافهم معه فى الرأى .

قلت يوماً للأستاذ شاكر : فى طريق حضورى اليك صادفت الدكتور عبد الغفار مكاوى .. وعرضت عليه أن يحضر معى فقال : أأذهب لزيارة من جعلنى أعاف الامساك بالقلم لمدة سنتين ، ؟ قال شاكر : كان يجب أن يحضر معك فلا يفل الحديد إلا الحديد ! عندئذ لاح فى خيالى صورة شرارة متناثرة من ارتطام محمود شاكر بالأستاذ عبد الله القصيمى الذى كتب كتاب «العرب ظاهرة صوتية» ، فهمست بها لتلميذ شاكر الشاعر الحسانى حسن عبد الله .. فنهانى عن إحداث مثل هذا اللقاء الذى لن يتم أصلا .. ولكنى عندما أوضحت بهذه الرغبة للأستاذ شاكر قال: ولماذا لا تصحبه معك .. إنه رجل فاضل .. كتب أعظم كتاب عن الشيعة .

واذا كنت أنا لم أحقق هذا المطلب لنفسى .. فقد حققت مطلباً آخر أكثر منه جدوى .. فقد اصطحبت له يوماً أقرانه .. عبد الرحمن صدقى .. وعلى أدهم .. فكان هذا المشهد ..

تكلمنا فى موضوعات شتى .. ثلاثة أطراف متناقضة ، الثقافة والطبع والاهتمام .. وفجأة وعلى غير ميعاد ، توقف الحديث عند جمال الدين الأفغانى .. وجدت ثلاثتهم يتساءلون فى نفس واحد : إن دراسة شخصية هذا الرجل

غريبة .. واندفع شاكر يلقى بعض الغيوم على هويته ودوافعه مضيفاً الى هذه الغيوم : إن مذكرات ابن أخيه عنه ذكرت أن هناك شهرين من السنة كان يغيب فيهما الأفغانى عن خريطة الوجود للمعروف لدى عارفيه والمتحلقين حوله . وينوه على أدهم : إن السلطان عبد الحميد ـ وكان شقاقه مع اليهود وهيرتزل على أشده ـ قد قتله بعد معرفته شخصيته !!

ودعانى ذلك الحديث الى استرجاع ما قرأته عنه وعن ميلاده غير المعروف .. قالوا مرة انه ولد فى ايران ، ومرة أخرى فى العراق ولكن من اين أتى اسم الأفغانى .. مع أنه ليس منها .. أى من أفغان ؟

قادتنى الصدفة بعد أيام الى زيارة الأستاذ محمد المويلحى حفيد المويلحى مؤلف (عيسى بن هشام) فى حلوان .. فلفت انتباهى أحد جدران الغرفة حيث بدا أن هناك صورة قد نزعت منه . وعندما سألته قال لي انها صورة جمال الدين الأفغانى .. ذلك الرجل الذى لجأ يوماً الى بيتنا بينما كان يتعقبه بعضهم بالحجارة واويناه انذاك .. وبعد اطلاعى على أسرار الأفغانى .. وتكشف أمره من خلال ما كتبه «جوى» قبل موته ندمت على ما قدمناه من معروف لذلك الرجل الذى لا يستحق .. فقمت بنزع صورته من على الجدران وقذفت بها بعيداً !

واذا بعدت أنا عن الحقيقة الشائكة لشخصية الأفغانى .. فانى قد فزت أخيراً .. بأن قوة الحركات للانسان اذا حالت دون رؤيته افق الشمس الساطعة جبال شماء .. تستطيع لا أن تقذف الجبال أمامها .. بل الشمس المشعة نفسها .. أى أن اجتماع شاكر وصدقى وأدهم لم يصل لقذف الجبال العملاقة من العقاد والمازنى الى طه حسين والرافعى . بل رمت أستاذهم المشع أيضا جمال الدين الأفغانى .

.. معاً الى بيت الله

واذا استللت محمود شاكر من بين هذه الرقعة وهذه القضايا .. لأكمل موضوعى عنه .. فانى أذكر أن ما حظيت برفقتى به ، يقومه كل ما ذكر وعرف عنه



محمود شاكر

ليس من زاوية العلم .. ولكن من ناحية ايمانه .. فقد صاحبته فى رحلة الحج الى بيت الله ، فرأيت كيف يتحول العملاق الى طفل يرتجف من لقاء الله عز وجل .. لقد كان بكاؤه الطفلى يخرجنى من انغمارى بالجو الأثيرى الذى رسمته المناسك .. وخرجت منه بالفعل .. عندما جمع الأستاذ شاكر وهو فى شدة بكائه الوجل ، أوراق التلبيه من بين أصابعنا ليخرج من حقيبته غير المخيطة قلما يشطب به كل تلبية زائدة ، عن المتوجب ، فدل ذلك على أن الانفجار الروحى لم يبعده عن الحقيقة لحظة . وكان هذا الرجل يحس بقلب المؤمن .. ويتصرف بعقل المفكر فى أى موقف ..

وعرفت الجانب الآخر .. عندما وصلنا الكويت .. وكيف كان يتألق وسط خلصائه واحبائه ومريديه .. وتصادف وجودنا مع وجود صديقه الشاعر العربى الكبير «محمود حسن اسماعيل» الذى تقدم يحيى صديقه العلامة الكبير .. ويستحلفه الا يترك موقعه .. متصدياً كعادته لأعداء ثقافتنا وعروبتنا واسلامنا .. قال فيها ..

وأراك انت بكل لـج موجهـــا
والهـادر المشبوب فى شلالهـا
وأراك انت عليمهـا وكليمهـــا
والجاذر الشبهات فـى استدلالهـا

والشاعر هنا .. استطاع أن يرسم باقتدار الملامح الأساسية فى صورة صاحب عالمنا هذا .. محمود محمد شاكر .. الذى يعيش منذ شبابه صراعا لايزال يحتدم فى نفسه ويملأ عالمه قلقا متصلا وكأنه بسبب علمه الواسع الغزير وتوهج فكره ، يشقى بهذا العلم ، وبغيرته التى حولها ، على انتمائه للأمة العربية وتاريخها .. ويتمزق على طريقة لا يكاد يعطى الأمل فى الخروج من هذا التمزق الفكرى ، ولعله لم يجد مخرجا من ذلك كله ، وقد عجز أن يشد بمفرده الازدهار القديم الى الحاضر ، أو يدفع بالحاضر الى مستقبل يحلم به ويتمناه .. إلا أن يحيا على بينة من الأمر وحده .. وليس من سبيل أمامه سوى أن يفيض عطاءه الفكرى فوق كتبه فيشحن بروحه روح تلامذته وأصدقائه المنتشرين على الأرض العربية والاسلامية ..

وهذا هو ما قاله فى مقدمة قصيدته الملحمية «القوس العذراء» «وقد بلغنا رسول الله عن ربه بلاغاً يضيء لكل حى نهج حياته ، ويمسك عليه هدى فطرته ، إذ قال : إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وقال : إن الله كتب الاحسان على كل شيء .. فاذا قتلتم فاحسنوا القتله ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» .

فانظر الى اين كتب الله علينا أن نبلغ اتقان ما نصنع واحسان ما نعمل ..

كل هذا يؤكد لنا أن محمود شاكر ليس شخصا عاديا .. وإنما هو طراز من المفكرين لا يرى إلا الاحسان فى كل شيء .. والحقيقة الخالصة فى كل مكان وهذا يدعونا الى القول ان العلامة والشاعر المحقق محمود محمد شاكر .. كان صنوه سيكون أسطع لو انه ولد فى غير عصره.

وإذا قال قائل : إنما يقاس الانسان بعصره .. لأن لكل عصر ظروفه الخاصة .. فلو وجد أديب ما كان لامعا فى عصر من العصور السابقة فى عصر آخر بعده .. لم يصادف النجاح الذى صادفه سابقه .. لأن الحياة فى تطورها وجدليتها منطقا آخر قد لا يحقق فيه مكانا كالذى حققه فى السابق .. فنحن نوافقه على هذه الحقيقة المبدئية .. ولكن نضيف اليها .. بظهور ما يخالفها .. لأن هناك عوامل تلعب دوراً خطيراً فى حياة الشهرة .. والوصول اليها مثل وسائل النشر والاعلام والتحيز والانتساب الى حزب من الاحزاب .

واذا كان ـ كما قلنا ـ قد شارك فى صنع سعد كعملاق تجارب انسانية .. فانه قد شارك فى صنع بعض اعمدتها ملامح شخصية سلطت عليها اضواء والوان واصباغ ومؤثرات صوتية وضوئية .. فانحصر همهم فى خلق انطباعات وليس فى توليد قناعات .

عايدة الشريف

د . حسن عيسى عبد الظاهر

الهوسا

أكبر تجمع إسلامي في غرب أفريقيا



خليط من الازياء والالات الموسيقية

الناظر الى الخريطة الطبيعية لافريقية لايخطئه أن يرى بها حزاما مستعرضا من غرب الى شرق شمالى خط الاستواء ، وهذا الحزام يشمل نطاقا شاسعا من القارة ويمتد من ساحل المحيط الأطلسى غربا الى ساحل البحر الأحمر شرقا ووسط زحام من اسماء كثيرة أطلقت عليه قديما ، وحديثا ، كانت أول معرفة باسم أطلق عليه فى عصوره الاسلامية ، وفى كتابات علمائنا المسلمين من جغرافيين ومؤرخين هو اسم (السودان) هكذا باطلاقة .

ثم أخذ يتحدد هذا الاطلاق بقصر دلالة أسم (السودان) على تلك المنطقة شبه الصحراوية والتى تغلغل فيها الاسلام وتعرف الآن باسم (غرب إفريقية) وبقى هذا الاسم (السودان) سائدا حتى القرن الماضى ، وكان يشمل مناطق النفوذ السياسى والاقتصادى لقبائل (الهوسا) وغيرها من (الفولانى والماندنجو) .

بـلاد التكرور

وقد عرفت هذه المنطقة أيضا باسم اخر هام ومشهور هو (بلاد التكرور) ، ومعاجمنا اللغوية ، وموسوعاتنا التاريخية ـ وهى تعرض لهذه المنطقة تطلق عليها اسم (بلاد التكرور) بالاضافة الى اسم (بلاد السودان) ، وقد يجعلونه أخص من اسم (السودان) ، وقد يذكرونه علما على مدينة ، ثم يعممونه على المنطقة ، أو على أهلها ، أو بعضهم .

فالقاموس يقول : التكرور بلد بالمغرب ورأينا لبعضهم أنه عبر عن (كانو وكاشنا) وما والاهما ببلاد السودان ، وعبر عن (تنبكتو) وماوالاها ببلاد التكرور ومعجم البلدان ـ مادة تكرور ـ يذكر انها بلاد تنسب الى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج ، ويذكر (العمرى) ـ فى مسالك الابصار ـ أن (التكرور) كانت جزءا من (مملكة مالى) التى عرفت واشتهرت (بمملكة التكرور) وكانت حدودها من الأطلسى غربا الى برنو ـ تشاد حاليا ـ شرقا ، وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور .

هذا ولازالت (بولاق التكرور) من أهم واقدم ضواحى القاهرة ومعروفة حتى الآن ، ويذكر (بوركهارت) فى رحلاته : أن أهل السودان يطلقون اسم (التكارنة) على مسلمى غرب إفريقية .

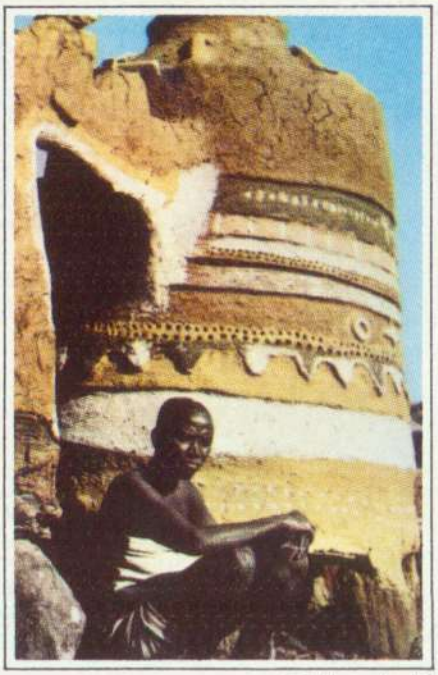
وقد زار هذه المنطقة بعض الرحالة منهم (ابن بطوطة ـ القرن الثامن هـ ـ الرابع عشر م) ، ومنهم (الحسن الوزان ـ القرن العاشر هـ ـ السادس عشر م) ضمن زيارته لممالك وبلاد السودان ، وعد من ممالكها : أغاديس ، غوبر ، كانو ، كاتسنا ، زجزج ، زنفرا) وهذه الممالك هى قلب بلاد (الهوسا) .

● زار الرحالة العرب هذه المنطقة قبل انتشار قبائلها فى حدود تاسعة

ممالك الهوسا السبع وما لها من تاريخ ملىء بالغرائب والعجائب



راعى يعزف على المزمار



أمام البيت المزخرف

الرخاء الأقتصادى

لقد ظلت هذه المنطقة خلال تاريخها تشتهر برخائها الاقتصادى نظرا لموقعها الجغرافى كمركز تجارى ، ومحط للقوافل وبخاصة فيما بين القرن الخامس عشر م والقرن التاسع عشر م .

وقد تحدث عنها أحد أبنائها وأمرائها ومؤرخيها وهو الامير (محمد بل) ـ القرن الثالث عشر هـ ـ التاسع عشر م ـ وأشار الى بلاد الهوسا باقالمها (انظر انفاق الميسور لمحمد بل)وعلى هذه الرقعة انتشرت وعاشت ولا زالت قبائل الهوسا المسلمة فى تجمع انسانى كبير بل من أكبر التجمعات فى افريقية .

ممالك الهوسا

وفى هذا المواطن من غرب إفريقية مابين حوض السنغال ، وحوض النيجر ، وحوض تشاد ، وحتى حوض النيل قامت للهوسا ـ فى العصور الوسطى ـ سلسلة من الدول والامارات والممالك الصغيرة بدأت من القرن الثامن هـ ـ الرابع عشر م وانقسمت الى مجموعتين :

المجموعة الاولى : مجموعة أصلية : وقد عرفت باسم (هوسا باكواى) أى ممالك الهوسا السبع وهى :

١ ـ غوبر : وهى أجدبها لتطرفها فى الشمال من اطراف الصحراء .

٢ ـ زكزك وتسمى الآن (زاريا) وهى أوسعها وتقع فى الجنوب منها .

٣ ـ دورا وكانت تعتبر المملكة الرئيسية ، واعتبرتها الاخريات دائما أكثر أماكنهم أهمية .

٤ ـ كانو : وهى ابركها .

٥ ـ كاشنا أوكتسنا وهى أوسطها ، وكانت هى وسابقتها (كانو) أكثر بلاد الهوسا حضارة وأهمية .

٦ ـ جاران جايا أو بيرام .

٧ ـ رانو .

وهذه الممالك السبع كما يقول الأمير (محمد بل) فى انفاق الميسور ! لها تاريخ فيه من العجايب والغرائب أمور كثيرة .

وتغطى كلها مساحة تقرب من مائتى ميل مربع ، ورغم أن بلاد الهوسا قد وسعت حدودها كثيرا وانتشرت قبائلها ـ فى غرب إفريقية كله ـ إلا أن هذه الممالك السبع كانت بمثابة القلب منها .

المجموعة الثانية : مجموعة فرعية وهى فى الجنوب من المجموعة الأصلية وأقرب الى مجرى (نهر النيجر) ومندرجة فى السبع الأصلية ، وكانت تعرف باسم (بانزا باكواى) أى السبع الفرعية ، وهى مجموعة غير متجانسة ، وتضم بعض الشعوب التى تتميز الآن عن الهوسا الأصليين وهذه المجموعة هى :

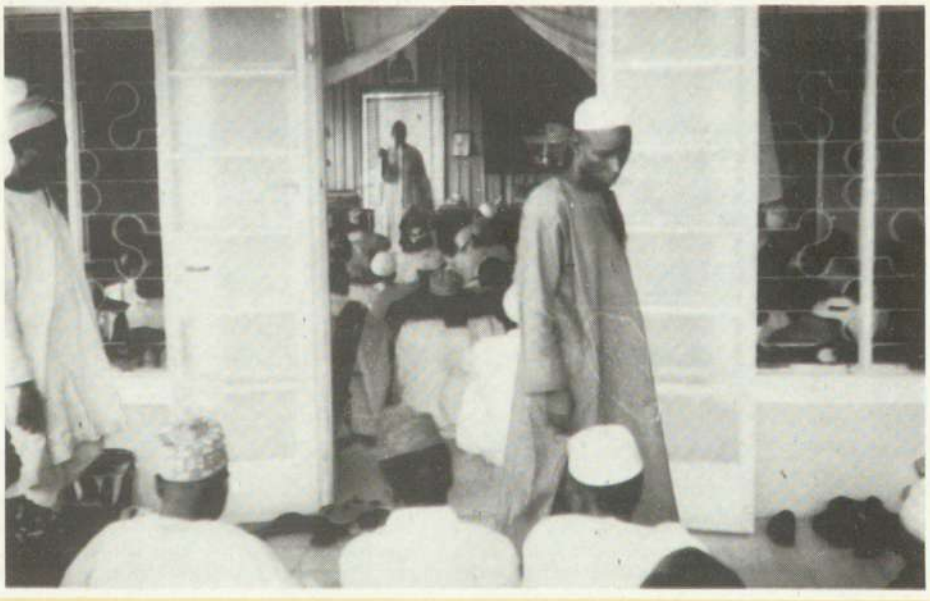
١ ـ زنفر ، وهى فى الغرب من بلاد الهوسا ، وكانت تعد من المجموعة الفرعية لكنها فيما بعد عدت من البلاد

الهوسا

● مدلول كلمة الهوسا .. وهل هم عنصر واحد رغم شعوبهم المختلفة ؟



اثناء خطبة الجمعة



فى المسجد



مركز كانو بنيجيريا الاسلامى

الهوسوية الأصلية .
٢ ـ كب .
٣ ـ ياور ، وقد اصبحت اكثر تطابقا وانسجاما مع الهوسا .

٤ ـ نفى ، او نوب .
٥ ـ يوب ، او إيلورين .
٦ ـ يرغ .
٧ ـ غرم .

وقد كان على كل مملكة من هاتين المجموعتين امير نظير للآخر .

من هم الهوسا ؟

اصل الكلمة : ـ تكتب الهوسا هكذا بالسين كما تكتب ايضا (هوصا) (هوصة) وفى المراجع العربية تكتب (حوصة) ، وقيل ان اصل الكلمة غير معروف .

مدلول الكلمة

شعوب الهوسا يطلقون هذا الاسم (الهوسا على بلادهم فيقولون : (هوسا باكواى) وينتسبون اليه فيقولون (الهوساوا ـ او الهوساس ، او الهوسا) ، ويطلقونه كذلك اسما للغتهم ، وإن كانت الوحدة اللغوية لم تتم بينهم الا فى القرن الخامس عشر م .

فهو اسم يطلق ويراد به : كافة شعوب السودان الأوسط والغربى التى تتكلم لغة (الهوسا) باعتبارها لغة قومية ، وعلى هذا فكلمة الهوسا تعطى مدلولا على :

ا ـ اللغة
ب ـ الناس المتحدثين بها .
جـ ـ الولايات التى يتركز فيها الشطر الاكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة .

● وصلوا بهجراتهم إلى الجنوب واندمجوا مع السكان في إمارات صغيرة



المؤذن في المركز الثقافي العربي

● رأى يؤكد انحدارهم من العرب الذين دخلوا السودان وأواسط أفريقية

٢ ـ وهناك رأى يذهب الى أن مدلولها الأصلى جغرافى ، وأنها اسم للضفة اليسرى لنهر النيجر ، فهى اسم للمكان ثم صار ذا دلالة لغوية أكثر منها عنصرية

٣ ـ وفى لغة جيرانهم الطوارق تطلق كلمة الهوسا ويراد بها الناس المستقرون فى البلاد شمالى وشرق نهر النيجر .

وقد كان يظن الى عهد قريب أن شعوب الهوسا تمثل جنسا قائما بذاته ، ولكن تبين أن (الهوسا) اصطلاح يعنى (اللغة ، والمكان ، والسكان) ، وليس ثمة جنس يمكن أن يسمى (جنس الهوسا) .

كما أنه ليس من الصواب عدهم عنصرا واحدا ، أو مجموعة واحدة ، أو شعبا واحدا ، فهم يمثلون خليطا من شعوب تنتمى الى اصول مختلفة ، وإن جمعتهم لغة واحدة ، واجتمعوا فى صعيد واحد فهم يتمثلون قبائل تختلف اختلافا كبيرا فى مميزاتها الجنسية ، وأن تقاربت دينا ، وثقافة ، بحيث يشكلون بتقاربهم هذا أكبر مجموعة لغوية وحضارية فى تلك المنطقة ، بل من الناحية الاجتماعية ، والاقتصادية يسودون تلك المنطقة .

الاصل والتطور

وقد تعددت آراء علماء الاجناس ، والاجتماع ، والتاريخ ، حول اصول الهوسا ، وانتمائهم الجنسى ، ويمكن تلخيصها فيما يلى : ـ

١ ـ رأى يذهب الى انهم ينتمون ـ أصلا ـ الى الجنس الزنجى ، ويعدون من مجموع زنوج (غرب افريقية) استناداً الى بعض الخصائص الجسمية مثل غلبة السمرة على بشرتهم ، لكنهم مع ذلك يتكلمون لغة (حامية) ، وموقعهم الجغرافى ملتقى أجناس مختلفة ، ويوصفون بأن الانف أكثر اعتدالا ، وأن بروز الفك فيهم أقل مما لدى الزنوج الصرحاء ، وملامح وجوههم أدق مما يدل على انهم لم يسلموا من اختلاط كبير بالحاميين نتيجة قرب موقعهم من الصحراء ، ونتج عن ذلك شعبهم ولغتهم

٢ ـ ورأى يذهب الى أن شعوب الهوسا ـ اصلا ـ تمثل هجرة من هجرات (البربر) الذين كانوا لايكفون عن الهجرة صوب الجنوب ، وبخاصة بعد دخول (الهلاليين ، وبنى سليم) من الشمال وضغوطهم ، وانهم وصلوا بهجراتهم الى هضبة (أهير) وبخاصة الطوارق ، وعاشوا بها حتى ضاقت بهم فنزحوا الى مهاجر جديدة صوب الجنوب ، وكونوا لأنفسهم ـ بعد اندماجهم بالسكان ـ إمارات صغيرة بلغ عددها سبعا ، وعاشوا مع السكان ونتج عن هذا التعايش شعب الهوسا .

ويمكن أن تحدد فترة القرن الخامس هـ ـ الحادى عشر م ـ لهذا التلاحم الجنسى ، ويقوى هذا ما كان شائعا من (النظام الأموى) بين البربر والزنوج ، وانه بينما كانت اللغة (الحامية) تنتشر وتتطور وتعمل على توحيدهم تحت رايتها بدأت مدن ولايات الهوسا فى الظهور كقوة مستقلة وتطورت الى (ممالك الهوسا) السبع الأصلية التى تشكل قلب بلادهم ثم توسعت فى المناطق المجاورة التى تكلمت لغتهم وتاثرت بطرقهم فى الحياة ، ونتج عن ذلك الممالك السبع الفرعية .

٣ ـ ورأى ثالث يذهب الى أن الاعتقاد السائد بين الهوسا أنهم منحدرون من العرب الذين دخلوا السودان وأواسط إفريقية ، وأن الممعن فى صفاتهم الجسمية يراها لاتمت بصلة كلية الى الزنجية ، وأن لغتهم مزيج من الزنجية والسامية ، وفيها الكثير جدا من الألفاظ العربية الظاهرة ، ومنها الضمائر التى يتخاطبون بها ، والاعداد ، وبعد تصريفات الأفعال ، وفى هذا نظر إذ أن فى الهوسا من يتكلم العربية تعلما ودينا وإن كانت لغتهم تضم فعلا كثيرا من الالفاظ العربية بحكم اسلامهم .

والرأى الذى يمكن أن يطمأن اليه ـ بناء على ما سبق ـ أن شعب الهوسا ليس قبيلة بالمعنى القبلى بل هو شعب تكون فى أماد طويلة نتيجة امتزاج متواصل بين جماعات قبلية وجنسية كثيرة ومختلفة أبرزها الزنوج والبربر وانها أخذت تنصهر فى شكل ما أقرب ما يكون الى شكل ولايات ، ثم ممالك ، وتتجمع بفضل ما كان لهم من لغة مشتركة واعتزازهم جميعا بحضارة واحدة مشتركة .

لغة الهوسا

تبين مما سبق أن اسم (الهوسا) له دلالة لغوية ، وأنه يطلق على جميع الشعوب التى تتكلم بهذه اللغة بعامة ، وانها تسود اساسا اقاليم الهوسا وتوحدهم ثقافيا بالرغم من عدم توحدهم سياسيا الا على يد دولة الفولانى الاسلامية فى القرن التاسع عشر م وهى بذلك تنتشر على نطاق واسع فى غرب إفريقية وبخاصة بعد انهيار (امبراطورية الصنغى) فى نهاية القرن

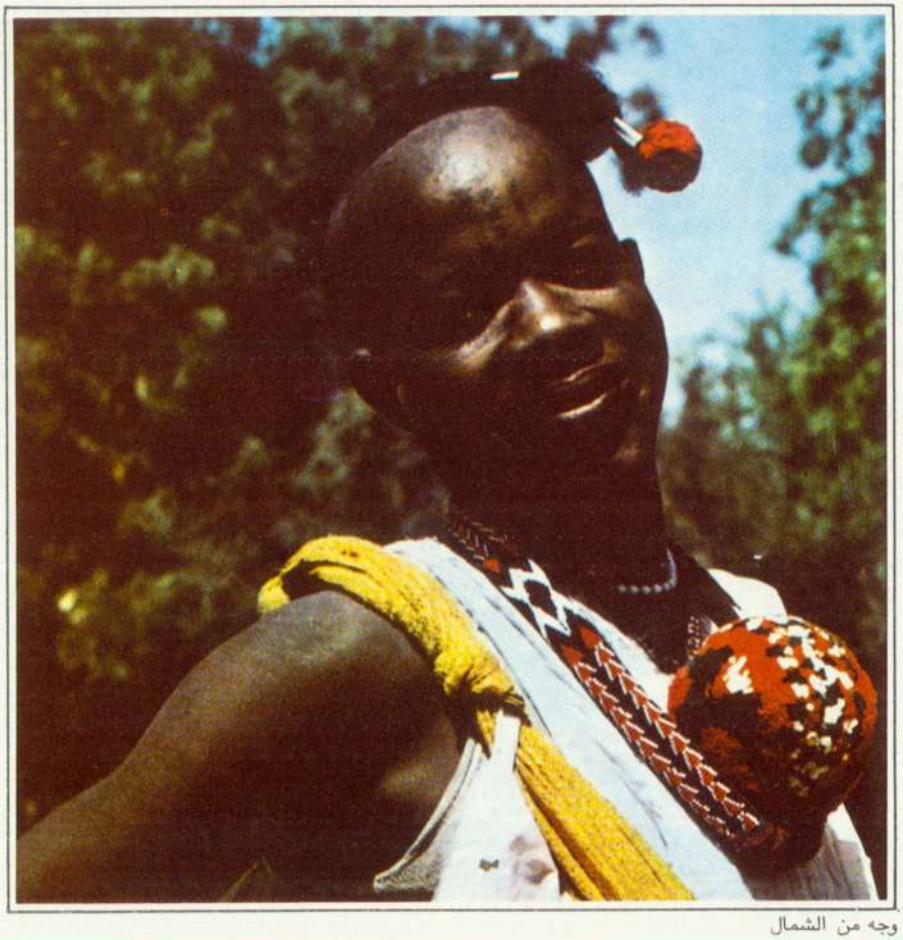
الهوسا

• لماذا أصبحت لغة الهوسا هى لغة المعاملات التجارية ؟

• كانت لغة الهوسا تكتب بأحرف عربية فى مرحلة ما قبل الاستعمار



سوق القماش



وجه من الشمال

السادس عشر م ، وتحول المجرى الرئيسى للحركة التجارية مع شمالى إفريقية شرقا الى بلاد الهوسا ، إذ سرعان ما اصبح التجار الهوسويون يسيطرون على النشاط الاقتصادى فى جميع انحاء السودان الأوسط ، فاصبحت بذلك اللغة الهوسوية لغة المعاملات التجارية وتضخمت جالياتهم فى كل المراكز التجارية الهامة وانتشرت من (أم درمان) حتى (تنبكتو) ، ومن (طرابلس) الى (خليج غانه) ، فانتشرت لغتهم فى التخاطب فهم بذلك يعدون أكبر مجموعة لغوية ، وحضارية ، فى المنطقة .

ولغتهم وإن سادت المنطقة فان هذا لا يمنع من وجود ما يقرب من (٢٥٠) جماعة أو سلالة مختلفة تتكلم كل منها بلغتها أو بلهجتها الخاصة بها ، وهى موزعة فى أركان المنطقة ويقسم هذا العدد الضخم الى عدة مجموعات تنتسب الى العائلات اللغوية الرئيسية.

ويرجع علماء اللغات اصل لغة الهوسا الى (الحامية) ، فمنهم من ينسبها الى عائلة (تشاد) الحامية ، وهذه العائلة جزء من مجموعة اللغات الحامية، ويعدون الهوسا أهم ممثل لها ومنهم من وصل الى انها أقرب لغة الى (البربر) من أى لغة أخرى من لغات غرب افريقية ، ويرى فريق آخر أنها خليط من (الزغاوة) وغيرها ، وانها مخففة ومشوبة بالعربية ، ويفضل (جرينبرج) جعلها فرعا من اللغات التى أطلق عليها اسم (إفريقية آسيوية) .

وكانت تكتب وتدون بأحرف عربية قبل عهد الاستعمار ، إذ دونت بها مخطوطات كثيرة بأحرف عربية ، كما لاتزال تنشر بها بعض الكتب والصحف ، وهى تشتمل على الفاظ عربية كثيرة

• كيف أصبحوا أكبر مجموعة حضارية فى المنطقة ؟



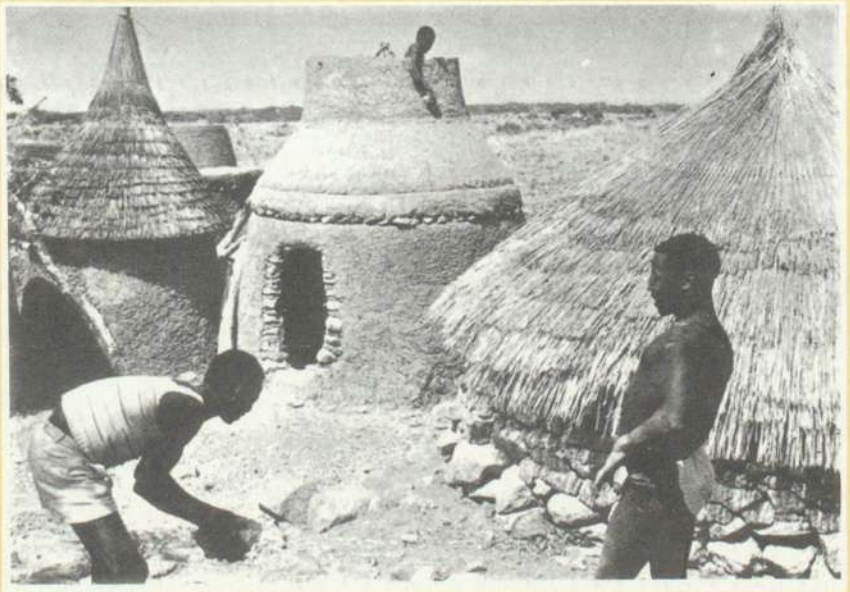
الصيادون



اغرب الأدوات الموسيقية

الهوسا

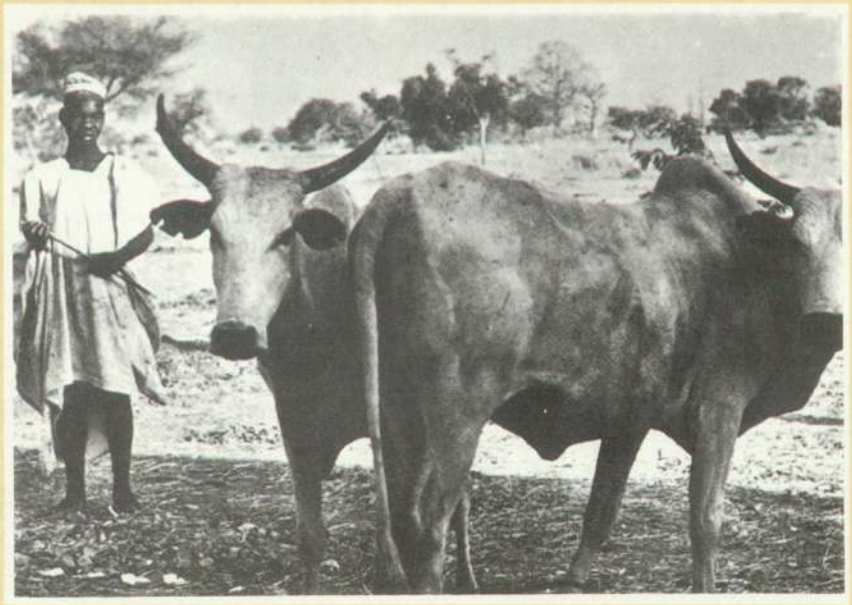
● رغم شجاعتهم النادرة خضعوا لسيطرة بعض القرى المجاورة



القرى الشماليه



الحصاد



مزارع

صارت جزءا لايتجزأ منها ، وقد قام المبشرون ـ فى عهد الاستعمار ـ بتدوينها ـ ضمن ما دونوا من اللغات الافريقية ـ بالأحرف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وحذفوا منها الألفاظ العربية فى كثير من الاحيان ، ووضعوا مكانها الفاظا انجليزية أو فرنسية للقضاء على المؤثرات الثقافية العربية

هناك بل وفى افريقية كلها وقد ترتب على ذلك أن حكومة (شمال نيجيريا) لم تعترف بمعاجم (الهوسا) التى وضعها هؤلاء المبشرون لهذه اللغة .

من خصائص الهوسا

رغم أن الهوسا شعوب مختلطة جنسيا إلا أن هناك خصائص تميزهم

فمن الناحية الجسمية : ـ يتميز الهوسوى ببشرة سوداء شأنه فى ذلك شأن أهل السودان الأوسط ، وبضرورة البيئة التى يعيش فيها ، كما يتميز باستطالة الرأس وبفك اقل بروزا وأنف أقل فطسا ، وقامة أكثر طولا ، وجسم أقل تكوينا فى عضلاته ، إلا أن الحمالين منهم لهم طاقة هائلة من القوة والاحتمال

ومن الناحية النفسية : ـ يعدون أكثر صرامة وأقل شكا من جيرانهم (الفولانى) كما أنهم أكثر مرحا ، واقوى بديهة فى الفكاهة من جيرانهم (اليوربا) ، وجانب الشجاعة فيهم موفور ورغم الهدوء الذى يسود مظهرهم بعامة فقد اثبتوا فى المعارك التى يخوضونها أنهم محاربون أشداء ، ومع هذا فقد خضعوا فى تاريخهم ـ بعامة ـ الى سيطرة بعض القوى المجاورة لهم ويبدو أن من اسباب هذا أن ولاياتهم كانت متساوية الحجم والقوة تقريبا ، ولهذا لم تستطع واحدة منها أن تفرض سيطرتها على الاخريات وأيضا فان طبيعة الشعب نفسه طيبة

● الزراعة هى عملهم العادى وهم تجار إلى حد المغامرة

● أغرب عاداتهم هى تلك التى تدفعهم للتعاون السلمى مع أعدائهم

● عرفوا نظام الضرائب فى تاريخ مبكر .. وانغمسوا فى تجارة الرقيق



فرقة الغناء الشعبى

طيعة مع قدرتهم على الحروب إذا استنفروا لها ، أو أجبروا عليها ومع ذلك فليسوا طموحين للقوة .

ومن الناحية الاقتصادية : ـ فيكمن اهتمامهم فى الزراعة والتجارة والصناعة أكثر مما يكمن فى الحرب فهم بعامة من مهرة الزراع ، ورعاة الماشية ، ومحترفى التجارة التى يبنون عليها توسعهم ، كما أن لهم اسهاما فى الصناعات المحلية ، فالزراعة هى العمل العادى لمعظم افراد الهوسا لدرجة تفوقهم فيها على جيرانهم من (الماندنجو) ، والتجارة هم فيها نشطون الى حد المغامرة ، وذلك بحكم موقعهم على طريق القوافل والحج ، وقد اخترقت قوافلهم الصحراء فى اتجاه الشمال والشرق ، وامتدوا بمراكزهم التجارية تجاه الجنوب حتى لايكاد يخلو منهم مكان فيه ، وعرفت لهم أحياء وقرى باسمهم ، كما ارتبطو بجهة الغرب منهم بالنشاط التجارى الواسع حتى امتدت رحلاتهم من ساحل غانة الى القاهرة ، وسادت نظمهم الاقتصادية والاجتماعية فى المنطقة ، وبرزت بعض مدنهم كمراكز تجارية واسواق كبيرة فى السودان كله مثل (كانو وكاتسنا) ، ويتميزون فى تجارتهم بالهدوء والأناة ، وقد ساعدهم ذلك على التعاون السلمى مع القوى المعادية لهم ، واحتفاظهم بشخصيتهم ومدنهم كمراكز تجارية وثقافيه ، ولم يسلم التوسع فى النشاط التجارى من الانغماس فى تجارة الرقيق الذى كان يجلب بالاغارة من الجهات المجاورة وبخاصة فى الجنوب كما كان فى (زاريا) ، وقد عرفوا نظام (الضرائب) فى تاريخ مبكر مثلما كان مفروضا فى (كانو) من ضريبة الأرض فى القرن الثالث عشر م ، وضريبة البقرة من القرن السابع عشر م .

وفى الناحية الصناعية : ـ لهم مهارة

الهوسا

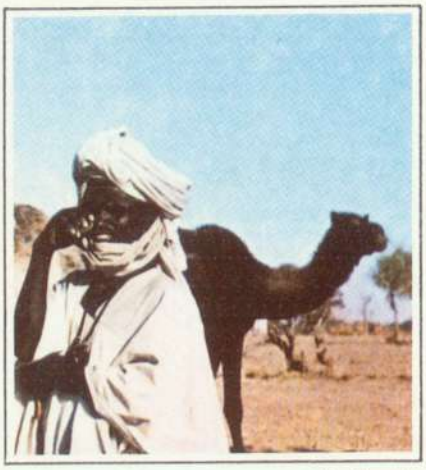


مهرجان الصيد



الصناعات اليدوية

• هكذا دخل الاسلام إلى المنطقة وقضى على الوثنية



راعى الجمال



سوق الطحين

وفن فى الصناعات المحلية مثل صناعة الجلود ، والحدادة ، والحصر ، والنسيج ، وقد حملوا مصنوعاتهم الى البلاد المجاورة كما جذبوا التجار اليهم ، ورغم عدم وجود عملة سائدة فيهم قديما فقد بدأوا التعامل بالأصداف فى بداية القرن الثامن عشر م وصارت هى العملة السائدة فترة حتى تطورت أخيرا الى ما هى عليه اليوم كنظائرها فى بقية دول العالم .

المجتمع الهوسوى

تقوم الوحدة الاجتماعيه فى بلاد الهوسا على الاساس الاقليمى أكثر من قيامها على الاساس القبلى ، والخلية الاساسية للحياة الاجتماعية هى (القرية وترتبط كل مجموعة من القرى وفق نظام اجتماعى يحكمهم كبير الاسرة ويدينون بالولاء المشترك لرئيس عام ، وهذه المجموعة من القرى قد تمثل قبيلة أو جزءا من قبيلة ، والراجح أنه اذا وجد فى مثل هذا النوع من المجتمعات حافز يدعو الى وحدة مشتركة فانما ينبعث فى العادة من شعور افرادها بصلة القرابة وما يتبع ذلك من اتخاذ ديانة مشتركة ، ويزيد ذلك الروابط تماسكا وجود الخطر المشترك ومع ما تعرض لهم مجتمعهم من سيادة أجنبية فانه يظل يباشر حياته فى الزراعة والتجارة ، ويدير بنفسه شئونه المحلية ، الأمر الذى مكنه من تطوير نظامه الاجتماعى متأثرا الى حد بعيد بالثقافة الاسلامية ، كما حسن الى حد كبير نظم حكومته عن طريق توارث الموظفين الذين ما زالوا يحتفظون بالقابهم .

مدن الهوسا

وقد عرف (الهوسا) باقامة المدن ذات الاسوار ، وغالبا ما تكون هذه الاسوار مكونة من أجزاء متضامة ، وسور (كانو) على سبيل المثال كان قطره لايقل عن ثلاثة عشر ميلا .

ويمكن تصور طبيعة مجتمعهم الذى ظهر وتطور فى بلادهم بان الولايات كانت تحكم بواسطة رؤساء من قديم الزمان ، وكل رئيس نظير للآخر ، وله سلطة مطلقة كثيرا ماتكون بعيدة عن التسلط الغاشم ، وطوال سيطرته فهو قوى ، واذا فقدت الثقة به فكثيرا ما يتعرض للعزل وبسهولة .

وفى القرن الرابع عشر بدأ النمط الذى تشكل على أساسه مستقبل ولاياتهم فظهرت (كانو وكاتسنا) كمحور لبلادهم ، وغلبت على الأولى شهرتها التجارية ، وعلى الثانية شهرتها الثقافية ثم وجدت فى الشمال (غوبر) التى اشتهرت بمحاربيها الأشداء ، وفى الجنوب (زاريا) التى كانت تعد مصدرا رئيسا للرقيق وتوالت بقية ولاياتهم الأصلية والفرعية ، ويمثل القرنان (الرابع عشر ، والخامس عشر م) مرحلة ذات أهمية بالنسبة لتاريخ بلادهم ، وانفتاحها على العالم الخارجى وإنشاء صلات متعددة ، دينية ، وتعليمية ، وتجارية ، وقد أحاطها الاسلام من شرق وغرب واعتنق بعض حكامهم وشعبهم الاسلام فى حين ظل البعض ولفترة طويلة على الوثنية حتى أظلتهم راية الاسلام بجهاد دولة الفولانى فى مطلع القرن الثانى عشر هـ ، التاسع عشر م .

وبامتلاك كل ولاية لجيشها الاقليمى الخاص فان الحروب المحلية كانت كثيرة بين الولايات بعضها مع بعض ، وبعضها مع جيرانها ، وكان جزاء النصر الغنائم والاسرى ، وكان مصير هؤلاء الاسرى الرق غالبا . وكانت خسارة الحرب تعنى خسارة الحياة والحرية والممتلكات .

وللحماية من هذه الاخطار والآثار بنيت الأسوار الطينية العالية حول المدن وحفرت الخنادق كما حصنت القرى بالاسوار الخشبية المدببة . تلك صفحة من الماضى لشعب الهوسا الذى يعد من أكبر الكتل الاسلامية فى أفريقية بعامة وفى غربها بخاصة .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

د . عماد الدين خليل

شيء عن الأخـــــلاق والحضـــارة

قاطعنى بعصبية وهو يقول : ولكن أية أخلاق هذه التى ترفع وتضع فى ساحات الصراع الحضارى ؟ ألا ترى أن الغربيين ، وقد تخلوا عن كل قيمة خلقية ، بلغوا القمة فى سلم الحضارة ، والشرقيين الذين لايزالون يتشبثون بالأخلاق قد انحدروا الى الحضيض ؟ أية أخلاق هذه التى تتحدث عن ضرورة تواجدها فى قلب التجارب الاجتماعية ؟

أجبته وأنا أحاول أن أهدىء من انفعاله الذى سعى الى امتصاص جانب منه بالقيام ببعض الحركات الجسدية دون جدوى : على رسلك يا هذا ، ولنتمعن قليلا فى الأمر فلعل فيه جانباً من الصواب ، وهو مهما هان وضؤل فلابد أن فى العثور عليه ثمة فائدة ما ..

شبح التدهور

قال وهو ينتزع ابتسامة مبتسرة اكتسحت شيئاً من ملامح الغضب على وجهه .. هيا ، وأرنى جانب الصواب فى المسأله ، فلا أعتقد أن المنطق بقادر على قلب الحقائق .. فان الغرب اللا أخلاقى يكاد يكتسحنا بحضارته ، نحن الشرقيين ذوى الأخلاق الحميدة ، من الجذور ..

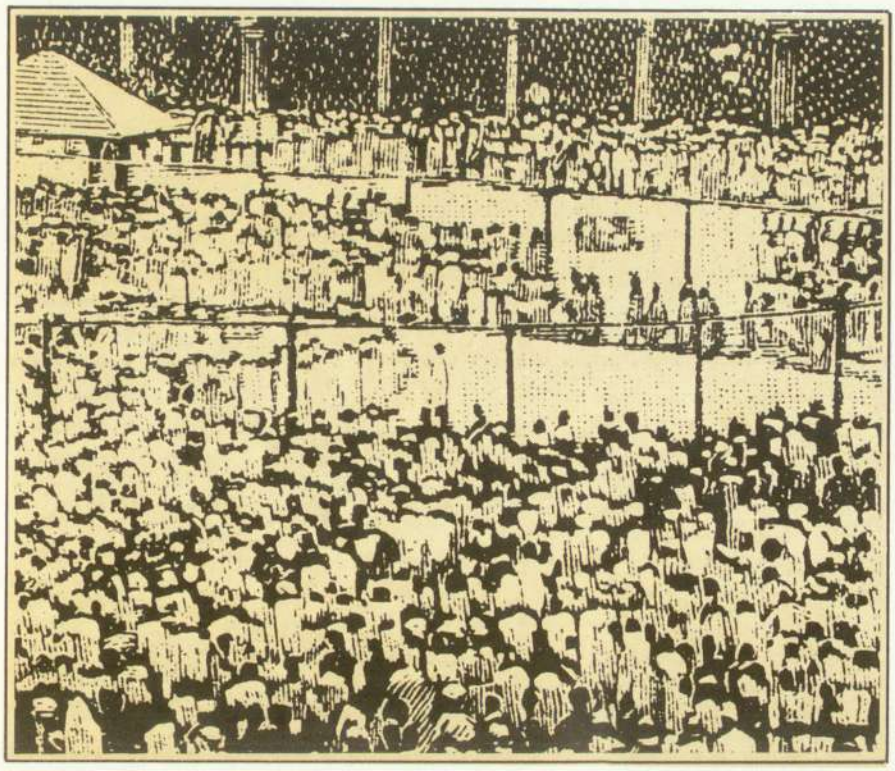
قلت لا يخفى عليك أن الاسلام يرمى الى تكوين أخلاقية خاصة بالجماعة المؤمنة تنبثق فى أعماق الفرد لكى ما تلبث أن تعطى لونها للعلاقات الاجتماعية كلها ، وقد أكد مراراً على أخلاقية التغيير الذاتى ، وهى جهد نفسى ارادى دائم لحماية قيم المجتمع المسلم وتنميتها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..) (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..) .. تلك القيم التى تمثل مراكز الثقل فى حضارات الأمم وشحنات الدفع فى مسيراتها ، وتكاد علاقتها الضرورية للنمو الحضارى تبدو طردية باستمرار على مستويين الكيف والكم ، وهو ما اختلفت معك بصدده .. فكلما التزمت جماعة ما بمزيد من القيم الأخلاقية ، وكلما سعت الى صقل هذه القيم وتأصيلها فى أعماق البنية الاجتماعية ، كلما تمكنت من حماية وحدتها ومن مد عمرها الحضارى وإبعاد شبح التدهور والسقوط بالتالى .. وكلما بدأت جماعة ما بالتخلى عن هذه الالتزامات ، واطراحها جانباً ، وعدم السعى لبلورتها وتعميقها فى الممارسة الجماعية ، كلما عرضت وحدتها للتفتت ، وآذنت نشاطها ومعطياتها الحضارية الشاملة بمصير سيء قريب أو بعيد ..

القيم الأخلاقية

سألنى وملامح عدم الاقتناع بادية على وجهه : كيف ؟

أجبت : إننا نرى اليوم بأم أعيننا كيف أن بقايا القيم الأخلاقية التى يتميز بها رجل (العالم المتقدم) ومجتمعاته ، من صدق وأمانة وتحمل للمسئولية وشجاعة واخلاص وصبر وتضحية .. ومن رفض للكذب والغش والخيانة والتهرب والجبن والجزع والأثرة ، هى التى تلعب دورها الواضح على المستوى الذرائعى (البراغماتى) ـ الى جانب عوامل أخرى ـ فى تفوق هذا الرجل وذلك المجتمع ، فى عالم لم يعد يعترف ـ على المستوى النظرى ـ بالأخلاقيات ، مما يشير الى مدى الثقل الواقعى لهذه القيم وارتباطها العضوى بأية ممارسة حضارية .

إن القرآن الكريم يطرح سلماً من القيم الأخلاقية ، كثير الدرجات ، بعيد الامتداد من خلال مئات الآيات المنبثة هنا وهناك ، والتى تجيء فى معظم الأحيان ملامسة لواقعة تاريخية قريبة أو بعيدة ، معلقة عليها ، مستمدة منها قيماً جديدة .. وذلك من أجل أن ترتبط (القيمة الخلقية) ارتباطاً شرطياً فى ذهن المسلم ونفسه وتزداد توغلا فى أعماقه وتأصلا فى علاقاته مع المجتمع الذى



● لماذا نرى فى العالم المتقدم : الصدق والأمانة وتحمل المسئولية ؟

● الحضارة الاسلامية وما تطرحه من شعارات منبثقة عن قيم الحق والعدل

● روح الالتزام هى التى تحمى وجود المجتمع المسلم وتعزز وحدته

يتحرك فيه ..

سألنى : وما الذى يفرق الأخلاق الاسلامية عن غيرها ..

أجبته : لا جدال فى أن القيم الخلقية المنبثقة عن الرؤية الايمانية والحس الدينى ، تكتسب موضوعية فى ميدان العلاقات وعمقاً فى ميدان الذات لا نجد عشر معشارها فى الأخلاقيات الوضعية المبنية على الموقف المصلحى والتبرير البراغماتى (الذرائعى) .. انها آنذاك سوف تفقد موضوعيتها وشموليتها وتقع فى اسر التحيز والنسبية ، فتحور وتزيف حيناً ، من اجل ان تلائم مصلحة ما او منفعة معينة ، وتلغى او تستبعد ، حيناً آخر ، لانها لا تنسجم أساساً ومتطلبات الموقف النسبى .. هذا الى أن هذه القيم ستفقد بعدها العمقى ، وتغدو اكثر قلقاً واهتزازاً ، الامرالذى يفقدها قوتها الالزامية وثباتها وديمومتها .. واننا بمجرد القاء نظرة عجلى على التاريخ البشرى ، سنتبين بوضوح هذا الفرق الحاسم بين قيم اخلاقية دينية موضوعية شاملة متاصلة ، وبين قيم اخلاقية وضعية نسبية محدودة سطحية قلقة .. ولشد ما لعب هذا التقابل الأخلاقى دوره فى التاريخ وغطى مساحات واسعة لا تبررها باية حال النظرة المادية الضيقة او المثالية الفضفاضة ..

الشعارات الانسانية

واذا رايته ينصت بنوع من الاهتمام واصلت حديثى قائلا : ان مقياس التفوق الحضارى لا يكمن فى حجم الانتاج الكمى بقدر ما يكمن فى مدى (اخلاقية) الجماعة المتحضرة وسعيها لخدمة الأهداف الانسانية الشاملة .. واننا بمجرد ان نلقى نظرة سريعة على حضارتنا الاسلامية فى عصور تالقها ، ونقارن ذلك بمعطيات الحضارة المعاصرة ، على المستوى الانسانى ، سنضع ايدينا على قيمة هذا (المقياس) وأهميته القصوى .. إن الحضارة المعاصرة لا تتجاوز ، حتى على مستوى الفكر والفلسفة ، حدود الموضوعية الشاملة ، وتهبط كثيراً عن أخلاقية الانسان ، بما هو انسان ، فتحصر اهدافها ومعطياتها فى نطاق دولة أو عرق معين كما هو الحال عند هيغل ، أو طبقة معينة ، كما هو الحال عند ماركس وانجلز ورفاقهما ، أو ـ على أحسن تقدير ـ فى نطاق حضارة معينة ، كما هو الحال عند توينبى ، هذا بينما تطرح الحضارة الاسلامية وحدها شعاراتها الانسانية الشاملة الرحيبة المنبثقة عن قيم الحق والعدل التى صاغها القرآن (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى) (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ..

الرصيد الأكبر

قال : اود ان اعرف بعضاً من القيم التى أكدها الاسلام ودعا اليها ..

قلت : الصدق ، الأمانة ، تحمل المسئولية ، الشجاعة ، الصبر ، الاخلاص ، التضحية ، الايثار ، مقاومة اغراءات الشهوة ، التجرد ، الصمود ، التزام الحق والعدل بمقاييسهما الموضوعية لا المنفعية .. الى آخره .. ويطرح القرآن والسنة ـ بالمقابل ـ النقائض السالبة لهذه الأخلاقيات كالكذب والغش والتزوير والتهرب والجبن والجزع والأثرة والانسياق وراء اغراءات الشهوة ، والمنفعة .. الى آخره .. ويدعوان المسلمين ، افراداً وجماعات ، الى مكافحتها دون هوادة ، والى استئصالها من اعماق نفوسهم وامداء علاقاتهم الاجتماعية ويربطانها بمسالة الصراع الدائم الذى لا يكف بين الانسان والشيطان .. بين الخير والشر .. من اجل ان يمنحا الانسان المسلم قاعدة واسعة لتصور الموقف ، وايمانا عميقا بضرورة المقاومة ، واستجاشة لكل طاقاته من اجل الانتصار ، الذى مهما كان جزئياً ، فانه فى النهاية سيضيف قوة الى الرصيد الأكبر فى صراع الخير ضد الشر ، والانسان ضد الشيطان .

خطوات على الطريق

إن القضية فى المجتمع المسلم ، أو فى اى مجتمع تكاد تبدو اشبه بمعادلة رياضية واضحة : كلما تجاوز الانسان والمجتمع فى حضارة ما درجة اكثر فى سلم القيم الخلقية ، كلما تقدم خطوات الى الامام وامتلك مزيداً من ضمانات الديمومة والتطور .. وبالعكس يجبء الرجوع او السكون ، او التفتت والانهيار بالاشاحة عن هذه القيم واسقاطها فى ميادين الذات والمجتمع واحدة بعد اخرى .. لقد كان خليفة المسلمين الاول ، ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، واضح الرؤية عندما خاطب منتخبيه فى كلمته الأولى لهم «إنه ما شاعت الفاحشة فى قوم قط إلا ضربهم الله بالذل ...» ..

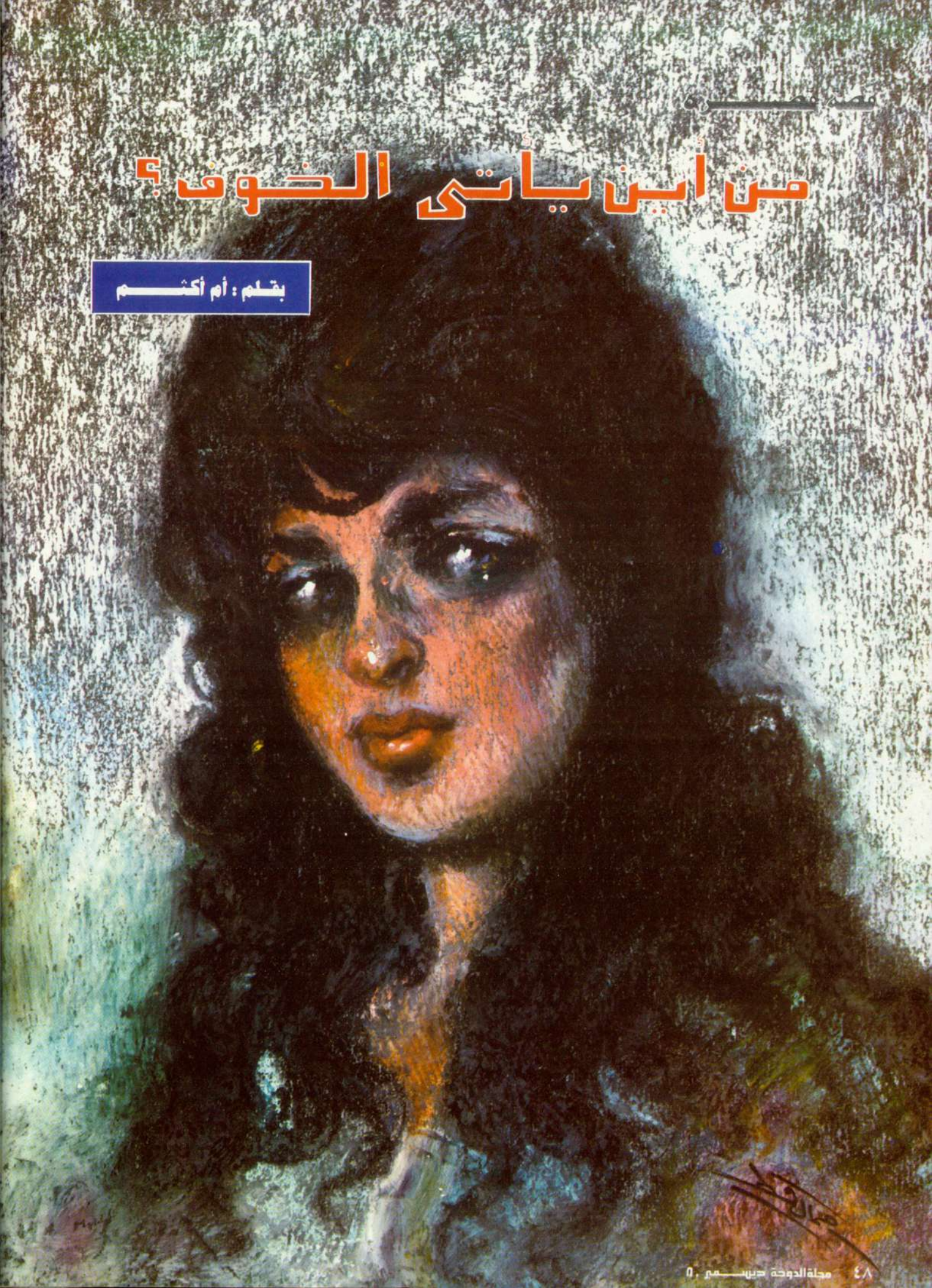
أننا لننظر الى تاريخنا نحن فنرى فى الموقف من الالتزام الأخلاقى مصداق تلك المعادلة ، فحيثما سادت روح الالتزام مجتمعاً اسلامياً ما ، تمكن من حماية وجوده وتعزيز وحدته وضمان ديمومته العقائدية وابداعه الحضارى واتساع ميادين نشاطه فى العالم ..وحيثما افتقد الالتزام الأخلاقى فى مجتمع آخر حيثما تمزقت وحدته وتباطات اندفاعيته واضمحلت منجزاته الحضارية وتقلص دوره فى العالم وال أمره الى التدهور والسقوط .. وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الأمثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة ..

لم يجبنى بشىء ، ولم استطع ان اعرف إن كان قد اقتنع بكلامى أم لا .. ولكنى كنت اشعر بانه قد اخذ يشك فى مسلمته السابقة وبدا يفكر .. فقلت فى نفسى : ها قد وضع خطواته على الطريق ..

د. عماد الدين خليل

من أين يأتي الخوف؟

بقلم : أم أكثم



نسيت أن أحمل مظلتى معى .. كان الجو ممطرا .. رذاذه يصافح وجهى كلثمة حانية .. نسيت أن أخفى جسدى الناحل فى معطفى الصوفى .. كان الجو باردا .. آه نسيت .. نسيت .. بقايا شتاء .. بقايا مطر .. وعيناى غيمتا حزن اجهضت أمطارها .. هواء بارد يصفع وجهى .. وعنقى يتدثر بشعرى المهمل ...آه .. خصلاتك جداول انتشاء .. ويداى تحتميان بجيب البنطال الداكن بلون حبات الزيتون كحمامة بيضاء تلوذ بعشها .. الزمن ما بعد السادسة ..

العربات تهرول .. الوجوه أيضاً تهرول .. تحتمى بمظلات الواجهات .. الأنوار الخافتة ترتعش على جسد الرصيف الندي .. وهواجسى تستل بهجة المساء .. «كلما داهمنى الحزن أتكىء على كتفك .. أشعر بذراعك قوية تضمنى إليك .. فابكى كالصغار» .. أواصل تشردى .. المطر يهمى .. الطريق نفسها .. وستائر الدانتيلا البيضاء تتخايل من خلف النوافذ نفسها .. أصص الزهور .. والوجوه الأليفة نفسها .. جوانا بائعة الزهور .. الرجل الضخم الملتحى الواقف

خلف باره .. وابتسامته الطيبة التى يبادرنى بها كلما مررت به فى طريقى الى منزلى .. الاسيوى المتأنق بائع الحلوى .. و .. صاحب المقهى .. نعم يا سيدى أنا بحاجة لفنجان قهوة دافىء .. أرجوك .. لا تحملق فى بعينيك الزرقاوين .. إنهما سماء وطنى .. وأنا أرغب أن أنسى .. لا .. لا أحتاج حساءك الدافىء .. هذا المساء .. لا أحتاجه .. أرجوك .. سيدى .. ابعد لون عينيك عنى .. إنه البحر الذى يحتضن مدينتى بصدره الواسع .. وأنا أرغب أن أنسى .. أرجوك .. نعم ..



من أيـــن يـــــأتى الخـــــوف ؟

فنجان قهوة دافىء فقط .. «مبروك نجاحك .. إبن عمك أيضاً عاد من أمريكا بعد أن أنهى دراسته .. نحن جميعاً فى انتظارك ليتم زواجكما .. التوقيع .. والدك المحب والعائلة .»

المطر يهمى على نافذة المقهى الزجاجية .. الأشجار العملاقة المبللة .. جليلة فى صمتها .. ودوائر المطر الصغيرة على اسفلت الشارع تستحيل الى بركة عميقة ..رهيبة تدعونى إليها .. فاجفل .. «وانا بجوارك فى إحدى دور السينما حبست صرخة كادت تقفز من صدرى كعصفور فزع وانا ارقب قسوة وجه العراب وبروده وهو ينظر مبتسما الى ضحاياه جثثا ممزقة شوهاء .. احتضنت يدى آنذاك وانت تهمس .. متى ستكبرين تعلمى الا تخافى .» .. بعد لم اتعلم كيف لا اخاف .. آه .. المطر يهمى يا صديقى .. بقايا شتاء .. بقايا مطر .. هنا .. عرفت كيف اخلق الالوان .. انطقها .. كيف اخلق من الشجر شواهد حزن او فرح .. آه .. ما يدرينى من اين ياتى الخوف .. حقيبتى مبللة .. قطعة نقود معدنية .. اضعها مكانها .. ابتاع جريدة المساء .. ما يهمنى من المساء .. ما يهمنى من اخباره .. ودربى قفر .. ينبت القتاد .. المقعد شاغر .. وارفف الكتب قضبان من حديد .. امين المكتبة عجوز اشقر استهلكت الكتب عينيه .. ترى ما ثمن ضوء عينيه .. ما فائدة سنوات عمرى التى نزفتها على هذا المقعد الشاغر .. ما قيمتها وانا بعد لم اتعلم كيف امزق الصمت فى صراخى .. بعد لا اعرف من اين ياتى الخوف .. كتب .. كتب .. عشرات الكتب تخرج السنتها لى .. تسخر منى ((ظهر كل خميس فى مدينتى التى تغفو على ذراع البحر .. انتظر بلهفة وعطش بائع الصحف ياتينى على دراجته محملا باكوام من الصحف والمجلات وبعض الكتب .. ابعثرها .. ابحث عن عزيز مفقود .. لا شىء .. سوى ليلى والذئب .. سندريلا والاقزام السبعة .))

لوحة كبيرة .. عشرات الاوراق ثبتت عليها .. مطلوب مربية .. غرفة للايجار .. مطلوب شقة .. زهور طازجة للبيع ..



مطلوب سكرتيرة .. بيانو اثرى للبيع .. آه .. مزقت ورقة من مفكرتى الصغيرة .. الصقتها .. مطلوب من يعرف مسارب الخوف الى نفسى .

عفوك يا صديقى .. فانا متعبة .. والقمر فى مدينتى طفل يرقبنا بفضول كل ليلة .. وانا اريدك فضولياً هذا المساء .. لعلك تدلنى على منبع الخوف فى نفسى .. لم انس موعدى معك .. لكننى ضعيفة هذا المساء .. وعيناك مشعلا انتظار وقوة .. مازلت تعبث بالبرقية المشئومة بين يديك .. ماذا .. ؟ اتنتظر منها ان تلد كلمات أكثر وضوحاً من سطورها .. وجهك شاحب .. أحبه هكذا .. ما أقساك .. تقول لا أحد يمنحنى القوة على الصراخ سوى نفسى .. لا أحد يحمينى من ترددى سوى نفسى .. آه .. يا صديقى .. لو كنت أملك ذلك كله ما أتيت إليك لترطب حزني .. ما أغرب عينيك هذه الليلة «متى ستكبرين .. تعلمى الا تخافى .» كيف يكبر الصغار يا صديقى .. ما اعظم حزنى .. تركت باب منزلك خلفى مفتوحاً .. لعلك تاتى .. تاخذنى إلى صدرك .. وتدعنى ابكي كالصغار حتى يزول خوفى .. لكنك لم تفعل .. المرة الاولى التى تتركنى فيها وحيدة .. تريدنى كبيرة .. كيف يكبر الصغار .. اواصل تشردى .. السماء تمطر .. يصرخ الباب خلفى .. اطوح بحقيبتى النازفة مطراً على الاريكة .. اشعل المدفاة .. ارتمي على الارض والوسائد الصغيرة مبعثرة عليها .. احتضن إحداها .. وانفجر باكية .. ما اشد وحدتى .. اعود او لا اعود .. وينبت الحزن شوكا فى صدرى ..

كيف يكبر الصغار .. كيف يكبر الصغار .. ؟

امامى حقيبة السفر ... تفتح فمها .. واسعا .. عميقا .. كفوهة بركان .. اقذف بالملابس فى جوفها .. دموعى تهطل .. وخزانة الثياب فاتحة صدرها .. على الرف الثانى .. لا بل الرابع .. بل الاول .. قطعة قماش سوداء .. منزوية .. ممدودة ..الغبار يسكنها .. مددت يدى بحذر .. ما ادرانى ربما تختبىء فيها حشرة .. «تعلمى الا تخافى» .. آه من اين ياتى الخوف .. بحذر مددت يدى .. سحبتها القيت بها ارضا .. عباءتى السوداء .. وضعتها على الرف الاول منذ سنوات .. يوم حضورى لهذه المدينة .. كيف يكبر الصغار يا صديقى .. ما اعظم حزنى .. اعود او لا اعود .. وبقسوة وحدتى القيت بالحقيبة ارضا .. تدفقت الثياب منها جثثا هامدة .. التحفت بالعباءة .. كان الجو بارداً .. تكومت امام المدفاة .. كان وجهى مبللا .. وكانت النافذة مبللة .. والسماء تنزف .

ام اكثم

أضغاث أحلام



الهجرة وحركة الزمان

من النظريات التى يكاد أن يجمع عليها علماء الفلك ، مع اختلافات فى بعض التفصيلات ، أن أصل الأجرام السماوية ، كتلة من مادة ثقيلة جداً ، أتاها أمر الله منذ بلايين الأعوام ، فانفجرت وتمزقت أشلاء بدداً .. ومن تلك الأشلاء والمزق ، تكونت النجوم بأنواعها والتى منها شمسنا . تلك (الدنيا) التى تبعد عن كوكب الأرض بنحو ثلاثة وتسعين مليون ميل ، ويستغرق ضوؤها زهاء ثمانى دقائق للوصول الينا عبر الفضاء ، بسرعة تزيد على (١٨٦) ألف ميل فى الثانية الواحدة !! وحول النجوم (الشموس) خلق الله الكواكب ، وحول الكواكب أقمارها ... ومن مجموعات النظر الشمسية تكونت ، بأمر الله ، المجرات ، وتبلغ المجرة من الاتساع بحيث أنك لو أرسلت برقية (بسرعة الضوء) من طرف الى طرف لجاءك الرد بعد مائة وخمسين ألف سنة من سنين الأرض ، بالكمال والتمام .. ومن المجرات كان الكون ، الذى لا يدرك أبعاده إلا الله وحده ، اذا علمنا أن ما تحصيه أجهزتنا اليوم يتجاوز مائتى بليون (بالباء المنقوطة من أسفلها) مجموعة شمسية فى المجرة الواحدة ، وان ما نعرفه بأحدث أجهزة الرصد (البصرية واللاسلكية) يزيد اليوم عن بليونى (بالباء أيضاً) مجرة وما خفى لا شك أعظم ، فسبحان من أقسم بمواقع النجوم ... ومن حركة المجرات ، ومعها السدم والمذنبات ، والمنافذ السوداء والمادة المضادة ، وحركة النجوم والكواكب والأقمار ، كان الزمان ، فلا زمان بلا حركة ، ولا معنى للمكان بلا زمان ، فالحركة هى الناموس الخالد فى خلق الله ، الكهيربات الصغيرة الدقيقة فى حركة دائبة سرمدية حول نويات الذرات والذرات فى الجزيئات الكيماوية ، ما عظم منها وما صغر ، فى حركة ، والجينات والكروموزمات فى الخلية الحية تعبر عن الحياة بالحركة ، والأقمار فى حركة حول محاورها وحول كواكبها ، والكواكب فى حركة حول شموسها والمجموعات الشمسية فى حركة حول مراكز مجراتها ، والمجرات فى حركة دائمة ، كل يجرى لأجل مسمى ، بتقدير العزيز العليم ، الذى جعل للحركة نواميس ، وقوانين ، وقواعد ، ومعادلات وتقديرات منضبطة ، لولاها لكانت أى حركة نوعاً من الفوضى والجموح والانفلات ، نحو الاضطراب ، والتصادم ، والفناء ولولا الحركة ، لدب فى الكون الجمود ، والتحجر ، والانغلاق ، ولأصبح تاريخ الانسان على هذه الأرض بلا معنى .. ومن مراقبة (حركة) الكواكب والنجوم ، هدى الله الانسان ، عبر القرون ، لمعرفة الثوانى والدقائق والساعات والأيام والشهور والأعوام والقرون ، بعد صراع طويل مرير مع الخرافات ، والأباطيل ، والأوهام ، والجاهليات ، التى بعث الله أنبياءه ورسله ، عليهم جميعاً السلام ، على فترات قدرها بعلمه ، لانتشال الناس منها ، واخراجهم من ظلماتها الى أنوار المعرفة واليقين ... ولئن تساوت وتشابهت ، مقادير الزمان المعبرة عن الحركة فى كل مكونات هذا الكون ، من حيث (الكم) فانها فى تاريخ الانسان تتمايز وتختلف من حيث (الكيف) قرب (يوم) فى تاريخ أمة من الأمم يكون مقداره المعنوى وقدره الكيفى فوق القرون والأحقاب ... ومن تلك الأيام باعتراف كل (العقلاء) من مختلف الملل والنحل ، يوم هجرة الرسول الأعظم من مكة الى المدينة منذ أربعة عشر قرناً خلت ... فبه تعلمت هذه الأمة معنى الحركة فى المكان لتصنع زماناً فى التاريخ تمدن به الناس وترفع لواءها على المعمور من الأرض فى أقل من قرن ثم تظلله بالهداية والمعرفة زهاء قرون ثمانية أو تزيد ، حتى اذا ما نسيت معنى (الحركة) فى الطاقة الفكرية والمكان المادى انصرم القرن الرابع عشر من تاريخها ، وهى فى أسوار الجمود ، لابتعادها عن الناموس المنظم الخالى من (الفوضى والارتجال والدروشة) الذى بنيت عليه (حركة الهجرة) معنوياً وحسياً ، واستكانتها الى الدعة والخمول والاستسلام ، حتى تكالبت عليها حثالات أمم الأرض ، على الرغم من أن تعدادها يصل الى ألف مليون مسلم !!!

فهل سنتخذ من مطلع قرننا هذا الخامس عشر الهجرى ، منطلق عزم جديد (متحرك) نتدارس به ، بعلم صحيح وعقلانية وإيمان صادق (لنهاجر) من واقعنا المرير المحزن ، من الكسل الى النشاط ، ومن التبعية الى الاستقلال الحقيقى ، ومن الجهالات الى العلم ، ومن التنابذ الى الأخوة ، ومن الفرقة المزرية الى الوحدة الشريفة ، ومن الهزل الى الجد ، ومن الكذب على أنفسنا الى الصدق الطاهر معها ، ومن الأنانيات بمختلف صورها وأشكالها ومشتقاتها الى الايثار والتضحية ، ومن مجاملة الظلمة والقتلة واللصوص الى إعلان كلمة الحق بيضاء ناصعة ، وبالجملة نهاجر من كل حال سيئة تخيم علينا الى نقيضها ؟؟ هذا ممكن اذا قررنا أن نصدق مع الله ومع أنفسنا فى العودة الى (محبة) صاحب الهجرة الأعظم الذى عانى ما عاناه ،وتجشم من المشقة والمتاعب ، وبذل من الجهد والفكر والتخطيط كل ما أفاءه الله عليه ، لكى تصلنا عبر أربعة عشر قرناً ، شهادة ألا إله إلا الله وحده ، له كل الحاكمية فى شتى (حركات) هذا الكون ، لعلنا فى هذه الحقبة من تاريخ الناس ، كل الناس ، أن نعيد (حركة) الهجرة لتأخذ من جديد بيد خلق الله بمختلف أقطارهم والوانهم ومعتقداتهم ، نحو عالم أفضل يشيع فيه العلم ، والعدل والمحبة ، والسلام ، ويصل فيه الحق لصاحبه أينما كان ، وتقمع فيه كل الضلالات والأوهام وصور الغش والنفاق؟ لعل الله أن يهدينا سواء السبيل ...

درويش مصطفى الفار

صلاح عبد الصبور

جماعة الضحك القديم



مشارف الخمسين

أول من قدمني إلى عالم الضحك العقلي الصافي هو : إبراهيم السّروجي

لعلي لم أضحك ضحكة صافية منذ أن وهن الحبل بيني وبين مدينة «الزقازيق» مسقط رأسي ، ومغدى صباي ، فلقد عرفت في حياتي بعدها عديداً من لحظات السعادة وفي ظني أن السعادة بمعناها المأثور من حيث احتوائه على هدوء البال وسكون النفس ، ليست إلا رهينة بلحظة ما تلبث أن تنقضي ، وأن هذه اللحظات السعيدة شأنها مثل لحظات الوحي أو العشق تظل تلمع كالجواهر في ملاءة النفس الكابية ، ولكنها جواهر ما تلبث أن تنطفيء ، ويستحيل على الانسان بعدئذ استرجاعها أو استعادة ذكراها بكل ما كان فيها من نار ونور .

لو غبطت نفسي على شيء لغبطتها على بعض لحظات من السعادة كانت هي عزائي عن زمن مغموم ، ولكني في أيامي الأولى كنت أعرف الضحك الصافي الذي لا نسأل الله بعده خيراً ، ، توجساً لحزن قادم ما يلبث أن يفد ليسترد هدية الزمان ، وندماً على أننا انسقنا نكركر وقد نسينا أن الهم لنا بالمرصاد .





نيتشه



شوبنهاور



مرسى جميل عزيز

ولم يكن هذا الضحك ضحكاً ساذجاً أبله ، بل كان ضحكاً عميقاً ينبع من إدراك مفارقات الوجود والاطلال عليها بالعين الساخرة والقلب الدافىء ، وأنا الآن أذكر صحاب الصبا فينهمر علي من شذاهم عطرا يملأ أرجاء الغرفة ، وقد فصلت بيني وبينهم بيداء لا يسرى بها نجم ولا يشقها ضوء ، بيداء شاطئاها الحياة والموت .

السعى لدكانه

كان أول من قدمنى الى عالم الضحك العقلى الصافى هو ابراهيم السروجى عليه ألف رحمة وسلام ، وربما كان لا يعرف السروجى حق المعرفة إلا أنا ، وعديد من الموتى ، وقليل من الأحياء ، كان ابراهيم السروجى أحد أعلام المدينة ، بخفة ظله ، وحياته التى تختلط هزلها بجدها ، أما نحن فقد عرفناه كما كان ينبغى له أن يعرف .

كنت فى الخامسة عشرة من عمرى وكان مسعاى اليه فى دكانه حيث كان يعمل فى صناعة السروج لحمير سادة الريف وأحصنة عربات الحنطور التى كانت هى «تاكسيات» ذلك الزمان ، وكانت النكتة الأثيرة لابراهيم حين يهل عليه أحدنا هى أن يقول له ..

«قم لأخذ مقاسك وأصنع لك جاكتة»

كان ابراهيم السروجى لا يعمل فى دكانه إلا ساعة أو بعض ساعة ثم ما يلبث أن يدركه الملل ، فيمد يده الى كتاب مطوى تحت اداة صناعته من الجلد والخيش ، ويقرأ فيه حتى يهل عليه واحد من أتباعه ، وفى دكان ابراهيم السروجى سمعت لأول مرة أسماء نيتشه وشوبنهار وجون ستيورات ميل ، وفى دكان السروجى ، وعلى مائدته فى مقهاه الأثير عرفت أصدقائى .. وأصدقاء الضحك .

أحزان ما بعد اللقاء

ذهبت أول مرة الى دكان السروجى متعالياً ، فانا طالب فى نهاية المرحلة الثانوية ، ونحن نعلم أنه لم يحصل من الشهادات إلا شهادتى الميلاد والتوحيد ولكنى ما لبثت أن فتنت بهذا السقراط الريفى ، ووجدتنى أناديه بيا أستاذ ، وقد كان حريصاً على هذا اللقب لا يدرى أن الزمان سيجعله أهون على الناس من القش والحصى ، وحين توثقت صداقتنا كنت أغيظه بأن أناديه بأوسطى أو معلم (بكسر الميم) ،فكان يغضب ، وينهال على بنكتة يتألق فيها الذكاء والمرح .

كانت كلمة «أستاذ» حين تطلق فى مجتمعنا الضاحك لا تنصرف إلا اليه ، وكان كتابه الذى كتبه فى شبابه الأول عنوانه «ضياء الفجر» على ما أذكر . يتأسى فيه بكتاب نيتشه العظيم «هكذا تكلم زارادشت» ومن السخرية أن ابراهيم حين شرع فى طبعه تخيل أن المصريين بما لديهم من عادة التغريب أو الاستغراب لن يقرأوا إلا لمؤلف أوروبى فطبعه لا تحت اسمه ، بل تحت اسم مستعار هو «جون برانشمل» .

كان ابراهيم قارىء فلسفة ، سبيله اليها ترجمات عبد الرحمن البدوى المبكرة ، وقد جال بذهنه أن يكون «عقاداً» جديداً ، وكان له ما يؤهله لذلك ، فقد كان طويل القامة شأن العقاد ، جهر الصوت مثله ، وأظنه سعى يوماً الى العقاد فى بيته ليناقشه نقاش الأستاذ للأستاذ ، ولكن العقاد جبهه بالرد الغليظ ، فعاد الى مدينتنا الصغيرة ،كاتماً ما كان فى هذا اللقاء إلا عن الأصحاب الخلص ، وذلك حين يطول الليل ويحلو السمر وتنكشف النفوس عن مكنونها .

البقعة المهملة

وأنا أشهد الله الآن ، أن عقل ابراهيم كان فى لماحية عقل العقاد ، ولكن العقاد قد وهب التنظيم والصرامة فى القراءة والانتاج ، بينما كانت حياة ابراهيم فوضى تختلط بالفوضى ، كان يمشى وقامته الطويلة تتارجح كشراع مركب تدفعها الريح ، وهو موزع بين الدكان والمقهى وسمر الليل ، لا تحتوى يمينه المال إلا ريثما تحرقه دخاناً أزرق .

ما ذكرت ابراهيم الآن إلا وطافت فى ذهنى أبيات توماس جراى المشهورة فى قصيدته «مرثية فى مقبرة ريفية» .

ربما يرقد فى هذه البقعة المهملة . قلب تأججت فيه النار السماوية ذات يوم .
أو إياد كانت تستطيع التلويح بصولجان الملك .
أو بعث النشوة فى أوتار القيثارة الحية .
ولكن المعرفة لم تبسط لهم أبداً . صفحتها العريضة ، الثرية بما غنمت من الزمن .
فالعسر المدقع قد كبت حمية نبلهم . وجمد مجرى العبقرية فى نفوسهم .
واذكر عندئذ منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، حين حدثنى أحد أصحاب الضحك تليفونياً فى بيتى بالقاهرة قائلا إن ابراهيم يرقد الآن فى أحد المستشفيات مريضاً بمرض عضال ، وزرته لأجد أن المرض قد التهم حنجرته ، وأسكت صوته وهو أعظم ما فيه ، ثم ما لبث أن مات ابراهيم ، لقد سكت صوته الذى صدح بالحكمة والفكاهة ، فما جدوى النبض إذن ؟

نفس المرض

زرت ابراهيم أول مرة مع صديقى أحمد هيكل ... الدكتور أحمد هيكل عميد كلية دار العلوم الآن ، أطال الله عمره ، فهو بعض القليل الباقى من الكثير الذاهب ، وقادتنا جلسة القهوة معه لمعرفة مرسى جميل عزيز ، رحمه الله .

كان مرسى عندئذ جملة رجال فى رجل فهو يتجر فى بعض مخلفات الجيش الانجليزى ،وفى الفاكهة ، وعنده هواية تستهلك وقته وبعض ماله وهى التصوير فوتوجرافى ، ثم هو الى ذلك أول من شق منا طريقاً الى القاهرة بأغانيه التى كان يغنيها مطربو ذلك الزمان .

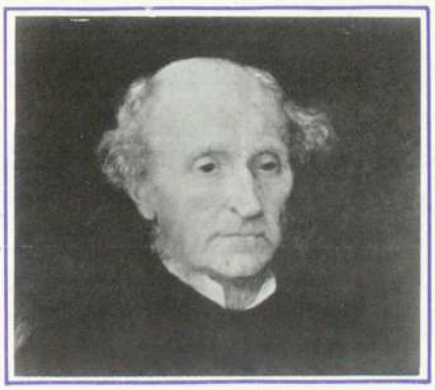
كان مرسى شديد القلق طموحا ، ذكيا ذكاء لايحاول أن يخفيه ، بل هو يستعرضه حين تسنح له الفرصة ، أو يخلقها هو ، ومرت السنوات وانا أعود الى الزقازيق فى كل أجازة صيف ، وأحيانا فى عطلة نهاية الاسبوع ، فاسمع من مرسى ماكتب من أغان لأعلام المطربين ، واسمعه ما كتبت من شعر سينشر فى مجموعة أو يتفرق فى المجلات الأدبية ،فلا أنا راض عن اغانيه كل الرضا ، ولاهو راض عن شعرى كل الرضا وذكاء مرسى مشحوذ دائما لكى يفتش عما لايعجبه ، وملكته الجدلية ناهضة عنه بما يعوزه من حجة ، ولكننا رغم ذلك نضحك حتى التعب مع رفاق الضحك .

وتمر سنوات أخرى ، وإذا «مرسى» فى القاهرة أكثر مما هو فى الزقازيق فلقد غنت له أم كلثوم كما غنى له كبار المطربين ، واذا مرسى يعود الى الشعر الفصيح بين حين وآخر ، واذا بأرائنا تتقارب ، أو يكون لقاؤنا على الاعجاب أكثر من افتراقنا ،ثم يهجر مرسى القاهرة والزقازيق معا الى الاسكندرية ، ومازلت أذكر ليلة منذ سنوات أربع أو خمس ذهبت فيها الى الاسكندرية لأحاضر فى كلية آدابها ، وفى المساء سعيت الى «مرسى» والتقينا فى أحد مقاهى الشاطىء ، وكان معى المحامى المعروف الذى هو قطعة من تاريخنا ابراهيم طلعت والشاعر السكندرى عبد المنعم الأنصارى ، واقنعنا فى تلك الليلة صاحب المقهى أن يترك لنا المقهى فى أخريات المساء ،ويأتى لاستلامه منا فى أول الصباح .

وأصاب نفس المرض الذى صرع ابراهيم أخى وأخاه مرسى ، فى حنجرته وصدره هذه المرة ، وسافر الى أمريكا للعلاج ، فعاد وقد استشرى المرض ، ومالبث أن القى تحية الوداع .

لون من العبث

وأحمد مخيمر العظيم النقى النفس ، أحد أبناء مدرسة أبوللو المحلقين ، ما ذكرته إلا ذكرت ثورة الافلاك بالمصائر لقيته أول مرة عام ١٩٤٦ ، وكنت عندئذ طالباً بالثانوى ، وكان هو شاعراً معروفا ، فلقد وفدت الى الزقازيق ثلة من جمعية أدباء العروبة التى كان يرعاها الدسوقى باشا أباظة لكى تلقى شعرا فى حفل لها ،



ميل جوات ستيورات

وكان من بين هؤلاء الوافدين ابراهيم ناجى ومحمود غنيم وطاهر ابو فاشا والعوضى الوكيل وأحمد مخيمر .

سرى نبأ هذا الحفل فى أوساطنا نحن الطلاب من سداة الشعر ومحاوليه . ثم قيل لنا ان رعاة الحفل سيختارون طالبا أو طالبين لكى يلقوا بقصائدهم فتقدمنا بقصائدنا ، ثم ما لبث رعاة الحفل أن عدلوا عن ذلك كله ، واختاروا من المدينة قصيدة لأحد مدرسى اللغة العربية بها .

وحضرنا الحفل ، وكان من أجمل مافيه قصيدتا مخيمر وأبو فاشا ، وبعد الحفل سعيت أنا وأحد زملائى الطلاب للقاء مخيمر ، فوجدناه على محطة القطار يستعد للسفر الى القاهرة .

كان فى مخيمر لون من العبث الحبيب فهو اذا سألته عن شىء ما يقول لك ما يخطر فى باله ، وقد حلا له عندئذ حين رأى صبيين غريرين يسألانه بلهجة هى أقرب الى الاجلال أن يعبث بهما ... سألناه عن أولاده فقال لنا لديه خمسة وثلاثين ولداً من تسع نساء ، وعن عمله فى القاهرة فقال لنا إنه طيار مدنى ، وكان وجهه حين يلقى بهذه المعابثات ساكناً نقياً كأنه ينطق بالصدق الصادق وحرنا فى أمره ، فتركناه على رصيف المحطة ، ونحن لا ندرى مقطع الجد فى أمره .

وتمضى سنة وبعض شهور وإذا بمخيمر قعيد مجلسنا فى المقهى وسمرنا الليلى الضاحك بعد ذلك ، واذا بى ألفت عبثه وشاهدت منه فنوناً ، تبهج القلب الحزين ، ثم تمضى سنوات أخرى ،

هـــذا شـــاعر لو أنصـــف الزمـــان لتـــألـــق كالجـــوهـــرة اليتـــيمة

ويشق كل منا طريقه فاذا انا أعمل فى الصحافة ، لأنتقل منها هابطاً فوق الرءوس الى عمل سياسى فى وزارة الثقافة ، واذا بمخيمر أحد معاونى ، هذا الشاعر الفحل الذى يكبرنى بعشرين عاماً ، والذى تقدمت اليه منذ بضع سنوات ضارعاً أن يحدثنى بشىء من أمره وشعره .. ألم أقل إنها دورة الأفلاك !!

لكم ضحكنا عندئذ ، وكان أشد ضحكنا حين أرى مخيمر يتلطف فى الحديث إلي أمام الزملاء ، ثم ما يلبث أن يعتذر لي عن احترامه اذا خلا لنا المجلس .

وداهم مرض القلب مخيمر ، ومات وهو حول الستين .. سنة قبلها أو بعدها ... لا أذكر ، وبقيت لنا ذكرى لا تموت وشعر سيتالق وميضه يوماً ما حين تعتدل الموازين .

عندما بكيت

أخذت ذات مرة يد صديق عرفته على مقهى الطلبة بالزقازيق وكان يكبرنى بعامين ، وقد أتم دراسته فى معهد موسيقى ، وأقام ينتظر تعيينه مدرساً للموسيقى ، أخذته من مقهى الطلبة بعد أن توثقت بيننا صلة الصداقة لأقدمه الى مرسى جميل عزيز فى مقهى جماعة الأدباء الضاحكة .

وهكذا عقدت الصلة بين عبد الحليم شبانة الذى سمى نفسه فيما بعد بعبد الحليم حافظ ، وبين مرسى جميل عزيز ، ولكن مرسى تباطأ فى الكتابة لعبد الحليم ، وفى دفعه الى ساحة الشهرة ، ودخل عبد الحليم الغناء معتمداً على كلماتى التى لم أكرر مثلها ، وعلى الحان كمال الطويل ، صديقنا فى ذلك الزمان فى الصعلكة القاهرية .

لا أريد فى هذا المقام أن أتطفل على ذكرى مطرب أحبه الملايين ، ونادم الملوك والأمراء ، وتسنم أوج الشهرة ، ولكنى أذكر أننى فوجئت بنعى عبد الحليم وأنا فى الهند فلم أملك إلا أن أبكى ولم يفد لخاطرى أن العشرين عاماً الأخيرة باعدت بينى وبينه إلا حين نلتقى مصادفة فنتبادل السلام والمجاملة ، ولكن ما وفد لخاطرى كان اننا اتفقنا سنوات ثلاثا او اربعا لا نكاد نفترق إلا على موعد ونشق طريقنا فى الحياة جاهدين مجهدين .

الجوهرة اليتيمة

ماذا ذكرنى برفاق الضحك القديم ... لعله الحنين الى زمن لا يستعاد ، ولعله أن أحدهم ، وأحبهم الى نفسى قد أعطانى ديوانه بالأمس لأقرأ فيه ، وأرى فيه رأياً أو أدفع به الى المطبعة ... حصاد عمر باكمله ، لم ينشر أو يعن بنشر شىء منه .

هذا هو الصديق الحبيب ابراهيم شاهين ، اسم لا يعرفه إلا انا ، وشاعر لو انصف الزمان وانصف هو نفسه من الزمان لتالق كالجوهرة اليتيمة ... سقطت الآن أسنان ابراهيم وتقاعد ... يقول لي أحيانا ضاحكاً .

سارثيك رثاء حاراً كما رثيت مرسى ، فاقول له :

يا ابراهيم .. نحن نمشى بالدور والترتيب .. لقد مضى ابراهيم السروجى اكبرنا سنا وتبعه أحمد مخيمر الذى يليه فى العمر وتبعه مرسى الذى كان أكبر منك بشهور ثم عليك الدور ، وبينى وبينك عشر سنوات . !!

الم أقل لك اننا جماعة الضحك القديم ... نضحك حتى فى الموت !!

صلاح عبد الصبور

المسلمون وصناعة الورق

كان المسلمون حتى أوائل القرن الثالث للهجرة يكتبون على الورق أو البردى ، وقد روى أن بعض الطروس التى نهبت أثناء الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون محيت الكتابة عنها ، وبيعت ثانية لتستعمل من جديد .

وبعد القرن الثالث أخذ الورق الصينى يرد الى العراق ، الا أن صناعة الورق ما لبثت أن أتقنها أهل البلاد أنفسهم ، ولقد أدخل الأسرى الصينيون الى البلاد الاسلامية سنة ٧٥١م فن صناعة الورق من القنب والكتان والياف الحشائش ، ولعل اسم الورق العربى القديم «كاغد» هو لفظ صيني الأصل جاء عن طريق الفارسية .

ومن سمرقند دخلت هذه الصناعة الى العراق ، وكان أول من أدخل صناعة الورق الى بغداد الفضل بن يحي البرمكى الذى كان عامل خراسان سنة ٧٩٤م ثم قام أخوه جعفر فاستعمل الورق بدل الرقاق فى دواوين الحكومة .

وسلكت مدن أخرى سبيل بغداد فأنشأت مصانع الورق على الأصول المتبعة فى سمرقند ، ونشأ معمل فى تهامة لصنع الورق من الياف الحشائش وكان ورق سمرقند فى زمن المقدسى أفخر مايصنع ، ولكن فى القرن التالى ـ الحادى عشر للميلاد ـ ظهرت انواع من الورق الفاخر كانت تصنعها مدن سورية كطرابلس مثلا .

وقد انتقلت هذه الصناعة فى أواخر القرن التاسع من غربى اسيا الى الدلتا فى مصر ، حيث كان بعض مدنها تصدر البردى الى البلدان اليونانية ويستعمل للكتابة باسم «قراطيس» . ولم يأت آخر القرن العاشر حتى حل الورق محل البردى والرقوق فى جميع انحاء العالم الاسلامى .

نظمية حورانى
سوريا



عبد العزيـــز ناصر



اتهامات ظالمة لهذا الفن الجميل!

هؤلاء العلماء المسلمون .. واهتمامهم بالموسيقى

لماذا انحدرت الموسيقى في زماننا إلى هذا الحد ؟

لكل علم من العلوم سلاح ذو حدين

كانت الموسيقى ، عند علماء المسلمين منذ أكثر من ستة قرون ، علماً من العلوم يجرون عليها أبحاثهم وتتناولها أقلامهم وأفكارهم بالدراسة والتحليل ويعقدون علاقة بينها وبين العلوم الأخرى كعلم الرياضيات والطب وعلم الفلك ، فاذا بها في القرن العشرين ، وهذا هو مثار دهشتي ، تصبح عاراً على دارسها والمشتغلين بها .

ستة قرون أو تزيد ومع ذلك فنحن مازلنا متخلفين عن القرن السابع للهجرة تخلفاً لا مبرر له سوى جهلنا بحقيقة الأمة الاسلامية ..

ولنلقي نظرة سريعة حول بعض علماء المسلمين الذين تناولوا الموسيقى كعلم في كتاباتهم وأبحاثهم من القرن السابع الى العاشر الهجرى !

● الخليل بن أحمد (٧١٨ ـ ٧٩١ هـ) : وهو غني عن التعريف خاصة عند المهتمين بشئون اللغة العربية فهو أول من استخرج مسائل النحو العربية وأول من وضع علم العروض ، ولقد اهتم في أبحاثه بالموسيقى فكتب كتابين فيها هما «كتاب النغم» و «كتاب الايقاع» .

● الكندى :

وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى ولد في البصرة (٧٩٠ ـ ٨٧٤ هـ) نال حظوة أيام المأمون والمعتصم ، وفي عهد المتوكل الذى اتسم بطابع العودة الى التمسك بمظاهر الدين وتطبيق الشريعة وحدودها . لقب بفيلسوف العرب لأنه أعار اهتماماً كبيراً لمباحث الظواهر الطبيعية ، ومن بين كتبه في الموسيقى :

ـ كتاب رسالة الخبر في التاليف .
ـ وكتاب رسالة في المدخل الى صناعة الموسيقى .
ـ ورسالة في ترتيب النغم .
ـ ورسالة في الايقاع
ـ ومختصر الموسيقى في تاليف النغم وصناعة العود

● الفارابى :

ـ وهو أبو نصر بن طرخان (٨٧٠ ـ ٩٥٠ هـ) .

ولد بفاراب من أعمال تركستان ـ أجاد العزف على آلة العود وكان له أكبر الأثر على الحضارة الأوروبية وسمي في الغرب الفارابيوس ، وقد كتب الفارابى في المنطق وفي الأخلاق وفي السياسة وفي الرياضيات والكيمياء والفلسفة وكذلك الموسيقى .. ومن كتبه في الموسيقى : «الموسيقي الكبير» و «كلام في الموسيقى» و «كتاب في احصاء الايقاع» .

● الرازى :

ـ وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (توفي سنة ٩٢٣ هـ) .

درس العلوم ـ وكان يعزف على العود في صباه ، أصبح كبيراً لأطباء مارستان ـ بغداد ، وتعتبر كتبه في الطب مرجعاً لأطباء أوروبا لقرون عدة ... ينسب اليه كتاب في جمل الموسيقى .

● ابن الهيثم : وهو أبو العلي الحسن ابن الهيثم (٩٦٥ ـ ١٠٣٩ هـ) ولد في البصرة وهو من المع الرياضيين والأطباء ومن كتبه في الموسيقى : «رسالة في تاثيرات اللحوية الموسيقية في النفوس الحيوانية» .

● ابن سينا :

ـ وهو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ هـ) ولد في أفشنا قرب بخارى نبغ في الطب فالف كتابه الشهير «القانون في الطب» ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً لكل العالم المتمدين . كان مطرباً في صباه . ومن كتبه «الشفاء» ويحتوى على فصل في علم الموسيقى ، وكذلك كتاب «النجاة» الذى أشار في مقدمته عن وجود قسم خاص بالموسيقى داخله .. ورغم ذلك اتضح انه غير موجود في داخل الكتاب ، ونجده مخطوطاً قائماً بذاته في رسالتين بالمكتبة البودلية .

ويقول ابن أصيبعه بان لابن سينا أيضاً كتاب في الموسيقى بعنوان «المدخل الى صناعة الموسيقى» .





هذه نظرة سريعة على بعض علماء المسلمين فى القرن السابع الهجرى الى العاشر الهجرى الذين أولوا الموسيقى اهتماماً بالغاً فى دراساتهم وأبحاثهم وتناولوها كعلم من العلوم بعيداً عن نظرة البعض اليوم للموسيقى على أنها مفسدة للأخلاق والقيم .

فما الذى حدث فى عجلة الزمن لتعود بنا الى ما وراء القرن الأول للهجرة حينما كان الناس فى العصر الجاهلى يتخذون من الموسيقى وسيلة للهو والترفيه فقط لا وسيلة للتعبير والتهذيب والتاثير والتغيير ، ومهما التمست العذر للعلماء اليوم كان أقول أن سبب الانحدار هذا يرجع الى المهتمين بشئون الموسيقى والقائمين عليها الذين استخدموها فى غير موضعها واهانوها بعد أن كانت كريمة ، وفى هذا الكثير من الصح ، أقول مهما كانت الأسباب إلا أنها لا تبيح للبعض لعن الموسيقى وإبعادها عن العلوم الأخرى فى التناول والبحث واعتبارها عاهرة تستحق الرجم والقتل .. مع أن لكل علم من العلوم سلاحاً ذا حدين ، سوء استخدام علم الطب من قبل بعض الأطباء فى الاضرار بالناس مثلا لا يبيح لنا منع الناس من تعلم الطب ولا يجعلنا نصب جميع اللعنات على هذا العلم .. بل الأولى بنا أن ننقذ هذا العلم مما بلي به على يد بعض مستخدميه ..

وهنا تبرز اهمية إدخال مادة التربية الموسيقية فى المراحل الدراسية حيث التوجه السليم لطريقة استخدام هذا السلاح الخطير وحيث الارشاء والموعظة والعلم .

● وتزداد دهشتى حينما أجد التردد من رجال العلم والمعرفة ، ونحن فى القرن العشرين ، فى ادخال مادة التربية الموسيقية كمادة دراسية فى المراحل الدراسية العامة .. إذا لقد ساهم الرجال القائمون على شئون التعليم فى فصل الموسيقى عن بقية العلوم مما ساعد على ظهور الموسيقى بصورة غير مشرفة استغلها المنتفعون بجذب النفوس الانسانية ، الضعيفة والمتعطشة لهذا الفن الجميل الى أماكن الرذيلة ليتعلم الموسيقى هناك من يريد وحيث يقضى الانسان وقته ويقضى على حياته بين الكاس وموائد القمار وما الى ذلك من امور الفساد .

إن من يضع مسئولية استخدام هذا السلاح الخطير فى الشر على عاتق الفنانين الموسيقيين وحدهم مخطىء كالذى يلقى بالمسئولية على عاتق وزارة واحدة دون بقية الوزارات ...

إنها فى اعتقادى مسئولية مشتركة ولا يمكن اصلاح حال الموسيقى إلا عن طريق أن يتحمل كل مسئول تبعات مسئوليته كاملة . إن التشكك فى اهمية مادة التربية الموسيقية فى المراحل الدراسية والتشكيك فى أمرها ، خطا نرتكبه فى حق اجيال لا تعلم الآن عن الموسيقى إلا انها اداة للتسلية والترفيه ناهيك عما يتصوره البعض بانها فى عداد المحرمات ..

اقول هذه الكلمات ومازالت فى ذهنى صورة للفارابى وابن سينا والرازى والكندى وابن الهيثم والخليل بن احمد وغيرهم من الذين الذين آمنوا بالموسيقى كعلم له ارتباط وثيق بالعلوم الاخرى كعلم الرياضيات والطب الخ ... وبحثوا فى تاثيرها على النفوس وقدرتها على التعبير عما يعجز اللسان التعبير عنه ، وما لها من قدرة على تهذيب الوجدان والارتقاء به نحو السمو الانسانى وشعروا واحسوا بسيطرة النغم والايقاع على حياة الانسان وعلى الكون كله فانبهروا بابداع المبدع .. فاذا بهم ينقادون الى عالم فسيح له أسراره الغريبة وتاثيره السحرى العجيب .. الى عالم الجمال الذى يدعو الى التامل والتفكر والتدبر فلم يجدوا انفسهم إلا وتردد :

سبحان الله ، سبحان الله .

عبد العزيز ناصر

اللورد مونتباتن
يتذكر أحداث السويس .. ولكن !

إعداد : بشير محمد صالح



اخفاء الحقائق عن الشعوب وفرض الرقابة بغرض إعطاء صورة وردية زاهية تخفى وراءها الحقائق المرة واستغلال اجهزة الاعلام لاخفاء الحقائق لا لنشرها ، ممارسات عرفت فيها انظمة الحكم فى اغلب بلدان العالم الثالث مستغلة مختلف الشعارات ولكن الشيء الذى لا يعرفه الناس كلهم ان الديموقراطيات الغربية لا تستنكف من اللجوء الى هذا الاسلوب اذا ما تعلق الامر بالعالم الثالث او خدم مصالح بعض جهات الضغط وبخاصة اجهزة الضغط الصهيونى .

ولعل ابرز مثال لذلك ما كشف عنه النقاب كاتب صحيفة التايمز المعروف برنارد ليفن «كاتب يهودى» فى تعليقه على المسلسل الاسبوعى الذى يعرضه هذه الايام تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية بعنوان «مونتباتن يتذكر» وهو برنامج يحكى سيرة حياته كما سجلها عنه المستر جون ترين بعد ان جلس اليه الساعات الطوال ، ثم اعاد تركيبها وصياغتها فى فيلم وثائقى مقسم الى حلقات يمثل دور الراوية فيه المستر لودفيك كندى .

وكان اللورد مونتباتن قد اشترط الا تعرض مادة الفيلم على الجمهور إلا بعد وفاته ، ربما لانه احس انه كان صريحا غاية الصراحة وهو يروى الاحداث ويعلق على الشخصيات ، وما كان يريد وهو الرجل المهذب ان تتسبب بعض تعليقاته فى حرج من عرف من السياسيين والزملاء من الضباط ، او ان

ما حذف من الفيلم هو الجزء الخاص بالعدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى الفاشل على قناة السويس وفيه معارضة اللورد لهذا الاعتداء

تعتبر قدحا فى ذاتهم أواساءة فى حقهم.

ولقد بدأ عرض الحلقة الأولى من الفيلم فى الأسبوع الأخير من شهر اكتوبر الماضى . وبالرغم من إصرار اللورد مونتباتن على منتجى الفيلم على الا تطمس الحقائق باية حجة وتبرير كما تقول مجلة «راديو تايمز» إلا ان هذه الرغبة لم تحقق له بكل اسف . وقد حاول منتجو الفيلم ان يظهروا للصحافة واجهزة الاعلام ان خمسة برامج فقط مدة كل واحد منها ثلاثون دقيقة هو كل ما امكن استخلاصه من المادة المتوفرة لديهم وليس هذا صحيحا ، بل إن هنالك فى الواقع ستة برامج اعدت فعلا ولكن رؤي طمس واحد منها .. وعندما اتضحت هذه الحقيقة اخذ المشرفون على الفيلم يبدون اسبابا واهية ومتناقضة .

فقد ذكر المستر كندى لمجلة «المستمع» ان سبب إلغاء الحلقة يعود الى اعتراض مجلس الوزراء بسبب الاشارة الى بعض الشخصيات السياسية . وكان اصحاب الفيلم قد قبلوا شرطا مسبقا من هيئة امناء «محفوظات برودلاندز» بالا يتم عرض الفيلم إلا بعد موافقة مجلس الوزراء . ولفائدة القارىء العربى لابد أن نوضح هنا ان الجزء الذى حذف هو المتعلق بالاعتداء البريطانى الفرنسى الاسرائيلى الفاشل على قناة السويس فى سنة ١٩٥٦ وفيه يتحدث اللورد منتباتن وقد كان شديد المعارضة لهذا الاعتداء ..

يتحدث عن سلوك بعض السياسيين والعسكريين تجاه تلك العملية الاجرامية . والغريب فى الأمر أن السيد روبرت ارمسترونج سكرتير مجلس الوزراء الذى طلب تاجيل عرض هذا الجزء قد اعطى سببا غير منطقى وغير معقول،فقد احتج بان الموقف فى العالم العربى حرج جدا وهى حجة مرفوضة لأن اللورد مونتباتن فى البرنامج المرفوض قد سجل معارضته الشديدة لحملة السويس التامرية الفاشلة وهو أمر يسر العرب ولا يغضبهم .

وعندما وضحت تفاهة هذا الاعتراض جاء السير روبرت باعتراض آخر مؤداه أن تعليقات اللورد مونتباتن فى هذا البرنامج تعتبر من قبيل «خرق العلاقات السرية» معتمداً فى ذلك على التقرير الذى أعده مجلس شورى الملك حول السيرة الذاتية للشخصيات الوزارية . وهى حجة مرفوضة ايضا لأن كل الاشارات الشخصية التى اعترض عليها السير روبرت قد الغيت فعلا . ومن ناحية اخرى فان التقرير المشار اليه يسقط الحذر من تناول سيرة الأفراد الأحياء بتقادم الزمن وقد حدد لذلك خمسة عشر عاما . وقد كانت تعليقات مونتباتن تنصب فى الغالب على مستر ايدن وكلاهما ـ مونتباتن وإيدن ـ قد توفيا . أما تعليقاته عن ماكميلان وهيلشام فقد اسقط معظمها . وعليه تسقط كل الأسباب التى اعتمد عليها ممثل مجلس الوزراء فى رفض عرض هذا الجزء الهام من الفيلم .

● ●

وربما كان على هيئة الاذاعة البريطانية ان ترفض عرض الفيلم كله اذا استثنى منه هذا الجزء ، لكن هذا القرار كان عسيراً عليها بعد ان صرفت على الفيلم مبالغ طائلة فى وقت تعانى منه ضائقة مالية .

وقد أورد الكاتب برنارد ليفن فى تعليقه الرائع على هذا الموقف بعض الفقرات الماخوذة من الجزء المحذوف من الفيلم .

يقول اللورد مونتباتن عن إيدن :

«لقد انتظر المسكين سنوات وسنوات لكى يخلف الرجل العجوز ونستون تشرشل ولكن الرجل ظل متشبثا بالحياة. ولقد اصابته هذه الرغبة المحمومة بالهوس ، حتى لقد تغير الرجل فى اخلاقه فاصبح حاد المزاج ميالا الى العنف والسطوة وفرض آرائه بصورة مخيفة لزملائه .»

وفى موضع آخر يحكى مونتباتن قصة الاجتماع الذى عقد فى مقر مجلس الوزراء فى داوننج ستريت فى ليلة السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ حيث استدعى إيدن الوزراء ورؤساء الأركان ليحدثهم فى عصبية وانفعال عن تاميم عبد الناصر للقنال ...

يروى مونتباتن :

لقد قال إيدن : هذه هى النهاية ! لا استطيع أن اتحمل اكثر من ذلك،اذا استمر على هذه الوتيرة فسيكون فى وضع يمكنه من تهديدنا وابتزازنا ، يستطيع ان يرفع رسوم عبور القناة ويديرها بصورة رديئة للغاية تؤدى بتجارتنا الى الاختناق الشديد .. وهذا وضع يستحيل قبوله . إن الموقف يتطلب منا عملا حاسما وقويا .. اريد ان استولى على القنال بالقوة واعيده كما كان تحت سيطرتنا .»

وفى ذلك الاجتماع تمت مناقشة الجوانب العسكرية للحملة المزمعة ويواصل اللورد مونتباتن سرد الحكاية :

«اذكر ان احد المستشارين القانونيين للدولة قد واجه إيدن معترضا بقوله : «يا رئيس الوزراء : انت تعلم بان عبد الناصر لم يرتكب اى عمل غير شرعى بتاميمه للقنال» . فكان رد إيدن «انا لا يهمنى اذا كان عمله شرعيا أم لا . لن اسمح له بتاميم القنال ولابد من معاقبته على هذه الفعلة .»

ويصف مونتباتن كيف ان إيدن قد تحول الى انسان شرس جدا مصدراً اوامره لرؤساء الأركان ليواصلوا إجتماعاتهم طول الليل لوضع خطة عسكرية للاستيلاء على قناة السويس . وقد حدد الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى لمواصلة النقاش . ويحدثنا مونتباتن كيف انه التقى باللورد هيلشام فى اليوم الثالث من سبتمبر وكان الأخير قد اصبح لتوه اللورد الأول للبحرية . يقول مونتباتن :

«لقد كان مونكتون قد حذرنى من قبل

اللورد مونتباتن

يتذكر أحداث السويس .. ولكن !

بأن اللورد هيلشام من أولئك الصقور المتطرفين الداعين لاستعمال العنف وتنبأ بأننى ساجد عنتاً فى التعامل معه . ولكننى بعد أن تعرفت عليه وجدت على النقيض من ذلك انه من الرجال الذين يسهل التعامل معهم . وقد قلت له فى ذلك اللقاء هل تعلم ما تنطوى عليه هذه الخطة ؟ ألا تعلم بأن سلاح البحرية سوف يستخدم لضرب الأبرياء من النساء والأطفال وسفك دمائهم فى عملية خاسرة ؟ أهذا شىء تستهل به عملك كرئيس للبحرية ؟» وقد أزعجه كلامى هذا وأصبح يتمتم فى قلق وذهول :

«يا إلهى .. يا إلهى لم أكن أدرك أننا وضعنا أنفسنا فى هذا الوضع» .

ويذكر مونتباتن كيف انه وضح فى الاجتماع المشترك مع رئيس الوزراء «أن النزول على الأرض سيتم فى أرض آهلة بالمبانى والسكان وانه لكى يتم ذلك فى سلام لحماية المهاجمين لابد أن يسبقه قصف مسبق مركز بواسطة مدفعية السفن الثقيلة التى ستنفجر بحكم مداها وسط المدينة. فكروا فى الفوضى والدمار الذى سوف تحدثه هذه القذائف القوية المندفعة من مدفعية السفن والبوارج الفرنسية ، فكروا فى الضحايا والمآسى . سوف يلتقط المصريون صور ضحاياهم وينشرونها فى العالم كله دليلا بأننا سفاكون وقتلة للأطفال والنساء . انها فكرة بشعة » .

● ●

ويصف اللورد مونتباتن لقاءه بلورد مونكتون الذى كان وزيراً للدفاع :

«تحدثنا وحثثته على الاستقالة وتوضيح موقفه للأمة . وقد ذهب بعد ذلك وقابل رئيس الوزراء وقدم استقالته ثم عاد وأخبرنى بذلك . فسألته إذا كان سيتحدث الى الشعب موضحاً أسباب استقالته فقال : «لا أستطيع لأنه أجبرنى على قبول منصب المراقب العام للمالية» فقلت له «لماذا قبلت بحق السماء ؟» فقال:





«إنه لا يريدنى أن أترك الوزارة ، لقد أخبرنى بأننى اذا استقلت الآن فسوف تتصدع الحكومة وتسقط .. إنها حكومة صالحة فيما عدا هذا العبث الذى يدور الآن . وأنا لا أرغب في أن أكون السبب فى انهيارها . اننى أشعر أننى ببقائى فى الحكومة استطيع كبح جماح الرؤوس الساخنة» . فقلت له «أى رؤوس ساخنة وانت تعلم تماماً أنه ما من رأس ساخن مثل رئيس الوزراء نفسه ولن تستطيع إيقافه إلا اذا توجهت الى الأمة ووضحت موقفك بصراحة ووضوح» ، فرد علىَّ بقوله : «لقد قررت وانتهيت، ولقد كان الاختيار صعباً بما فيه الكفاية ، فلا تجعله أكثر صعوبة» .

ويكشف اللورد مونتباتن عن قصة خطاب هام وصله من الأدميرال بور الذى كان مرؤوسه حين كان مونتباتن قائداً لقوات البحر الأبيض المتوسط . يقول مونتباتن : لقد كان واحداً من أعظم ضباط الغواصات شهامة وجسارة . إنه رجل شجاع بمعنى الكلمة، ومحارب عظيم، وقد كتب فى رسالته : «لقد دُرب ملاحونا للحرب وليس للقتل الجماعى العشوائى . إنهم بالطبع سوف يمتثلون للأوامر ويقومون بما يطلب منهم مهما كان ذلك بغيضاً الى أنفسهم . لكنى أود أن أقرر بقوة ووضوح بأننى لا أعتقد أنه من الصواب أو العدل أن يُستغلوا بهذه الطريقة التى لن تجلب لهم سوى كراهية شعبنا واحتقار العالم بأسره .

● ●

تتابعت الأحداث بعد ذلك بسرعة فائقة . وحيكت المؤامرة بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل وأصبح قرار غزو السويس نافذاً بعد أسابيع قليلة . حينئذ بدا لمونتباتن أن الوقت قد حان لمواجهة ايدن بصراحة :

«قلت له : ما هى الحكمة فى الشروع فى عمل لن تستطيع اكماله ؟ اننى أشير لما تفعله الآن بالتضامن مع اسرائيل . أن العالم كله سيعرف الحقيقة ويدرك التآمر . إن العالم كله يشاهدك وأنت تجمع الأساطيل وتستعد للغزو باعداد قوة حربية عظيمة، ولن يصدقك حين تأتى بعد أيام حين يهجم الاسرائيليون لتدعى بأنك إنما تدخل لفصل المتحاربين . إنها خدعة لن تنطلى على أحد . فأرجوك اكراماً لنفسك وللوطن أن تكف عن هذه الخطة المحكوم عليها بالفشل» .

وحين انتهيت شكرنى إيدن بحرارة وقال إنه سعيد أن يكون له صديق ناصح مثلى يبدى وجهة نظره بصراحة .

● لماذا تتابعت الاحداث بسرعة فائقة، حيث حيكت المؤامرة بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ليصبح قرار غزو السويس نافذاً بعد أسبوع ؟

ومع ذلك تمت العملية العسكرية كما هو معروف،وانفجر العالم محتجاً على الدول المتآمرة ، وأوقف الغزو بطريقة مهينة . وهنا يتساءل اللورد مونتباتن ما اذا كان الضغط الأمريكى ، أو احتجاج الأمم المتحدة أو انهيار الجنيه الاسترلينى هو الذى كبح جماح إيدن ؟ ويخلص مونتباتن الى أن إنهيار الجنيه الاسترلينى هو العامل الفعال فى إيقاف الغزو .

ويصف لنا الحوار الذى دار بينه وبين ماكميلان فى الحفل الدبلوماسى السنوى للملكة :

ماكميلان : هل صحيح أنهم سدوا القنال ؟

مونتباتن : نعم هذا صحيح .

ماكميلان : يا إلهى إنه أمر فظيع . كيف يفعلون شيئاً كهذا ؟ إننا لن نتحمل أن تظل القناة مغلقة فى وجه تجارتنا ... ولماذا لم يخبرونى بذلك ؟

مونتباتن : لماذا لم يخبروك ؟ منذ الثلاثين من يوليو وقد بح صوتى وانا اتحدث فى كل مناسبة ممكنة بأن هذا بالضبط ما سيفعلونه فلا يمكن أن تتظاهر بأنك لا تعلم .

ماكميلان : ولماذا لم تتخذ أية خطوات ؟

مونتباتن : لم يطلب إلىّ إتخاذ أية خطوات ، ولكن اتخذتها بنفسى،فقد قمت منذ أن رأيتكم سادرين فى تنفيذ العملية بوضع موارد الانقاذ فى البحرية فى حالة استعداد . وهم جاهزون الآن للابحار فى البحر الأبيض المتوسط ومستعدون لفتح القنال .

ماكميلان : آه .. شكراً لله !

مونتباتن : لا تقلق بالك ! إنهم لن يسمحوا لنا بدخول القنال .

ماكميلان : ماذا تقصد ؟

مونتباتن : إن الأمم المتحدة لن تسمح لنا بدخول القنال بحجة تنظيفها خاصة وقد تسببنا نحن فى ذلك . إنهم سيصرون على القيام بذلك بأنفسهم وهذا سيعطل الأمور .

حادث إخفاء هذا الجزء الهام من الفيلم يؤكد أن قدرة بعض الجهات على إخفاء الحقائق لا حدود لها !





ماكميلان : إننا لن نستطيع تحمل أى تعطيل ولا يمكن أن تظل القناة مغلقة .

مونتباتن : كان عليكم أن تفكروا فى ذلك قبل أن تقدموا على خطتكم . لقد كنت أنت بالذات من الأوائل الذين علموا بالخطة منذ البداية وساندت رئيس الوزراء . ولهذا فانت مذنب مثله . لقد جلبتم هذه المصيبة على انفسكم ولا دخل لرؤساء الأركان بها .

وفيما يتعلق بحقيقة التآمر بين الدول الثلاث المشتركة فى الغزو والتى لا تحتاج الى برهان ، يورد مونتباتن حادثة تؤكدها . يقول :

فى اليوم السابع من شهر يناير عام ١٩٥٧ طلب منى الجنرال كيجتلى أن اطلع على التقرير الذى قدمه الأدميرال ونفورد سليتر . وقد لاحظت أن التواريخ التى أمر فيها بالتحرك متقدمة على التاريخ الذى كان من المفروض أن تقوم فيه اسرائيل بهجومها مما يؤكد حقيقة التآمر . لهذا فقد حملت هذه الصفحات لرئيس البحرية لورد سلكرك وطلبت منه توجيهاً سياسياً بما يجب عمله تجاهها . وبعد التشاور مع زملائه قال لي إن هذه الصفحات يجب أن تعاد صياغتها بحيث تخفى وجود تآمر وأن يحرق الأصل . وهذا ما فعلناه .

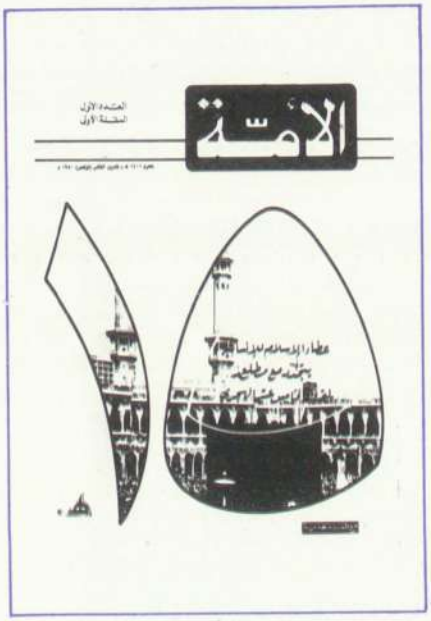
وبعد : إن حادث إخفاء هذا الجزء الهام من الفيلم يؤكد حقيقة خطيرة للغاية وهى أن قدرة بعض الجهات على اخفاء الحقائق هى قدرة لا حدود لها . فالشخص المعنى ليس رجلا سهلا عادياً من عامة الناس يمكن الوقوف بينه وبين الحقيقة،ولكنه كان من أميز الموظفين والقادة العسكريين الذين أنجبتهم بريطانيا،والى جانب إنتمائه الى الأسرة الحاكمة البريطانية ، فقد كان رجلا محبوباً لدى عامة الناس . ومع ذلك تملك قوى الضغط فى بريطانيا قوة حجر أرائه فى أخطر أحداث عصره . واذا كان الأمر كذلك فاية حماية للرجل العادى الذى يقال إن الدولة تتحدث باسمه وتوجد من أجله ؟!

إعداد : بشير محمد صالح

الأمة Al Ummah

إسلامية
شهرية
جامعة

صدر العدد الأول
في غرة المحرم
١٤٠١
مطلع القرن
الخامس عشر
الهجري



إقرأها
في مطلع
كل شهر عربي

- مجلة المسلمين في جميع أنحاء العالم
- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة
- تحقيقات علميّة ، واستطلاعات مصوّرة
- رصد مظاهر النشاط الإسلامي في العالم
- كشف الحركات المعادية ، والنشاطات التنصيرية
- إلقاء الأضواء على أهداف اليهوديّة ومخططاتها
- إلى جانب العديد من الأبواب الثابتة التي تتناول قضايا الشباب والمرأة ، وشؤون المسلمين ، والقصص الهادف.

عاصرت حربين ..

وتزوجت مرتين ..

واختفت بطريقة بوليسية

أجاثا كريستى

السيدة الأولى للجريمة

جمال الكنانى

فى أعقاب الاضراب العام الذى اجتاح انجلترا ، ظهر فى يوم ٢٧ مايو ١٩٢٦ كتاب لأجاثا كريستى بعنوان «مقتل روجر آكرويد» هللت له الصحف وكبرت وأشاد به النقاد ، وأطلق الناس على صاحبته لقب «ملكة الجريمة» أو «السيدة الأولى للجريمة» ... وكان فى الغموض الذى لفت فيه هذه القصة والمهارة التى تمكن بها رجل البوليس السرى «هركيل بوارو» من حل ألغازها ما أمتع القراء والنقاد وأهل الأدب جميعاً ، لأن أجاثا كريستى تمكنت من وضع «الغموض» فى أكفان سوداء فزاد الغموض أثراً وإبهاماً وزادت الألغاز تعقيداً .

وفى هذه الموجة الكاسحة اختفت أجاثا كريستى ، فاذا بربة الغموض تصبح موضوع الغموض ومادته ، واذا بصاحبة الألغاز تصبح هى اللغز الذى حير الشرطة وشغل الصحافة

كان الكولونيل كريستى ، زوج أجاثا الأول ، قد اتخذ لنفسه خليلة ، وقرر أن يقضى معها عطلة نهاية أسبوع .. وضاقت أجاثا صدراً وبرمت بهذا الموقف فركبت سيارتها وتركت دارها .. ولاكت الألسن موضوع اختفائها واكتنفه الغموض لما عثر بعضهم على سيارتها مقلوبة فى مكان مهجور .. وأعلنت الصحف عن جائزة ١٠٠ جنيه لمن يعثر عليها وعرض زوجها ٥٠٠ جنيه لمن يدل على مكانها ... وبدأ العرافون ينشرون على الناس نبوءاتهم عنها وأدلى أحد



أجاثا كريستى

الصيادلة للبوليس بأقواله مؤكداً أن أجاثا كثيراً ما ناقشته فى موضوع السموم ووسائل الانتحار وطرقه وانتهى الأمر بأن صرح الكولونيل كريستى للبوليس بأن زوجته كثيراً ما أكدت له أنها اذا قررت أن تختفى فان الشرطة تعجز تماماً عن العثور عليها .

وانتهت القصة وهدأت العاصفة فجأة بأن أعلن موظفو أحد الفنادق أن أجاثا كريستى واحدة من نزلاء فندقهم ، تنشد الهدوء والراحة ، فلا اختفاء ولا غموض ... الصحف هى التى هولت وجسمت الموضوع وأثارت زوبعة فى فنجان فضللت الشرطة .. فاستحالت الحبة الى قبة ..

وأخذ دعاة السوء والحاقدون ينادون بأن أجاثا لجأت الى الاختفاء كحيلة ووسيلة للدعاية عن كتبها ولو علموا أن العدد الذى بيع من كتب أجاثا يزيد عما بيع من كتب أى مؤلف آخر فيما عدا شكسبير والكتاب المقدس ، ولو علموا أن مؤلفاتها ترجمت الى عدد من اللغات يزيد عما ترجمت اليه أعمال شكسبير ، لما تطاولوا على ربة الجريمة بمثل هذا اللغو .

حياة عامرة بالاثارة

يقال عادة إن كتاب المؤلفات المثيرة قل أن ينعموا بحياة مثيرة .. ولكن يصعب تطبيق هذا القول على كاتبة مثل أجاثا كريستى ، عاشت خمسة وثمانين عاماً ، تخللها حربان عالميتان ، وزيجتان ورحلات الى أقطار الشرق الأوسط وصحاريها .. وحملات تنقيب عن الآثار .. مثل هذه الحياة لابد لها من نصيب من المآسى والكوميديا والرومانس .

ولدت أجاثا ماري كلاريسا ميللر ، التى نعرفها باسم أجاثا كريستى ، فى ١٥ سبتمبر ١٨٩٠ ، بالقرب من مدينة «توركى» بمقاطعة ديفون ، فى جنوب انجلترا ، لأب أمريكى موسر وأم انجليزية مثقفة قامت على أمر تعليم ابنتها أجاثا ، يساعدها فى ذلك عدد من المربيات ومعلمة موسيقى ... فشبت أجاثا مرهفة الحس فى جو يشجع على القراءة والبحث ثم الكتابة ...

ولم يقبل الناشرون على كتب أجاثا كريستى أول الأمر ، وبعد أربع سنوات

أجاثا كريستى

وستة من الناشرين ، ظهرت في ١٩٢٠ أولى رؤياتها البوليسية بعنوان «مشكلة غامضة فى ستايلز» .. ولقيت القصة عند القراء قبولا ولم يتردد الناس فى شرائها .. واحمرت وجوه ستة من الناشرين وعضوا أصابع الندم لأن صيدا ثميناً مثل أجاثا أفلت من فخاخهم .

تطوعت أجاثا كريستى أثناء الحرب الكونية الأولى للعمل كممرضة فى أحد المراكز الطبية وعيادة من عيّادات الصليب الاحمر وفيها درست وعرفت الكثير عن استعمالات السموم وآثارها واهتمت فى تلك الفترة كذلك بدراسة النواحى النفسية من الطبيعة البشرية والدوافع الى الجريمة ونفسية الاجرام والمجرمين .

قوة خارقة على الملاحظة

وتقول أجاثا فى معرض الحديث عن عملها إن أفكار المشاكل التى تنسج منها عقد رواياتها تطوف بخاطرها عادة وهى تقرش التفاح أثناء الاستحمام .. على أن المنبع الأصلى لهذه الأفكار هو ما تملك الكاتبة من قوة خارقة على الملاحظة تبلغ من الحدة درجة غير عادية .

عقد روايات أجاثا . أساسها فى أغلب الأحيان ، حقيقة أو مناسبة بسيطة ، تتولى هى تطويرها ولفها فى نسيج من الغموض ... فعقدة أولى رواياتها «ستايلز» مثلا تقوم على فكرة أن القانون البريطانى يقضى بأنه اذا حكمت المحكمة بعدم إدانة متهم بارتكاب جريمة معينة ، فانه لا تجوز محاكمته على نفس التهمة مرة ثانية اذا ثبت بعد حكم المحكمة أنه مذنب . وفى استغلال هذه الحقيقة البسيطة ، كما استغلتها أجاثا فى «ستايلز» ، ما يمكن مجرماً بالذات من ارتكاب جريمة معينة اذا استطاع أن يرتب لنفسه دليلا مؤقتاً على براءته .. فاذا أخلت المحكمة سبيله وظهرت إدانته بعد ذلك عجزت النيابة عن تقديمه للمحاكمة مرة أخرى .

ولعلنا نذكر فى هذا الصدد أن مجرماً مشهوراً ارتكب فى انجلترا جريمة على غرار ما شرحت أجاثا فى إحدى رواياتها البوليسية ، وذلك بعد نشر الرواية بعشر سنوات .. وحز ذلك فى نفس الكاتبة ولكن الذى خفف من ألمها أن البوليس وجد فى بيت المجرم كتباً عديدة تعالج استعمالات السم الذى استعمله المجرم فى ارتكاب جريمته وبذا عرفت أن روايتها لم تكن المصدر الوحيد الذى استمد المجرم منه معرفته بالسم .

وقلما تستعين أجاثا كريستى بنفس العقدة أو الفكرة فى أكثر من رواية من رواياتها فمؤلفاتها كثيرة التنوع ، تستعين فيها بما تعلمت من زوجها الثانى ، «ماكس مالووان» عالم الآثار ، الذى كان يهتم بصفة خاصة بآثار الآشوريين والمصريين القدماء ، وينقب عنها فى أرض ما بين النهرين ووادى النيل .

مهارة فى ابتكار المواقف

وتعتمد مكانة أجاثا كريستى كمؤلفة فى طليعة كتاب الرواية البوليسية فى العالم ، على أصالة بنائها للعقد والألغاز والظروف الغامضة ، ففى ذلك تكمن مهارتها الفائقة التى تتجلى فى «مقتل روجر آكرويد» ، «أبجدية جرائم القتل» و «عشرة زنوج صغار» .. ويمكن أن نضيف الى هذه فى غير استحياء «جريمة قتل على إكسبريس الشرق» .

وعلى الرغم من هذه المهارة الفائقة فى ابتكار المعضلات والمواقف الغامضة والألغاز وتعقيد كل ذلك بحيث يستعصى على القارىء حلها ، فاننا نجد أن أسلوب الكتابة نفسه ، رغم جمال واتقان ما فيه من حوار ، لا يعتبر أسلوباً من النوع الرصين ، فمفتاح نجاحها هو بساطة أسلوبها فعلى الرغم مما فى عقد الروايات من صعوبة وتعقيد إلا أن طريقة عرضها على القارىء طريقة بسيطة غاية البساطة ، سهلة كل السهولة .. لا تستعمل فيها إلا المألوف من الكلمات تصوغها فى جمل قصيرة تكون منها فقرات غير طويلة .. وفى هذه البساطة ما يسر مهمة ترجمة كتبها الى أكثر لغات العالم .. فكتبها من النوع الذى يقرأه أستاذ المنطق وهو فى طريقه الى الجامعة ، ويسلى المريض فى فراشه ، ويمتع التلميذ فى مدرسته . واذا نحن تصورنا مثلا أن فى مستشفيات أمريكا ٢ مليون مريض فى لحظة معينة وأن فى أمريكا من كبار السن المتقاعدين ٢٠ مليون مثلا ، فيمكن أن نقطع بأن مليوناً من المرضى وعشرة ملايين من كبار السن يصرفون جل وقتهم فى قراءة ما كتبت أجاثا كريستى ، فاذا أتم أحدهم قراءة الثمانين رواية التى كتبتها ، أخذ يعيد قراءة ما أعجبه منها .. والذى يعجب القارىء من كتابات أجاثا كثير وكثير .

صورة المجتمع فى أعمالها

لقد خلقت أجاثا كريستى بأسلوبها السهل فناً شعبياً يتميز بالقدرة على اداء المعانى التى تريد التعبير عنها فى سهولة ويسر وإيناس .. وهى تؤلف كتباً تمتعك قراءتها ، وتحتفظ بهذا الامتاع عاماً بعد عام وفى هذا ما يفسر العدد الضخم الذى يباع من كتبها فى أنحاء العالم .. فالناس على اختلاف نحلهم ومشاربهم يحبون القصص .. وأجاثا كريستى قصاصة بارعة ممتعة بالفطرة والسليقة ... هى ملكة الألغاز وسيدة حلولها .. وكل حل تقدمه لأحد ألغازها رائعة من الروائع ... واذا كانت أجاثا تستعين فى رواياتها بخلفيات انجليزية، فان الدعابة التى تقدمها من النوع الدولى الذى يستسيغه الناس جميعاً .. ولسنا نعنى بذلك أنها كاتبة مضحكة ... فالدعابة التى تستعين بها دعابة هدفها التخفيف من حدة موقف أو شد فى الأعصاب .

أهم من ذلك أنها كاتبة تؤرخ دون تاريخ ، وتعلم دون تعمد الاعلام ... فالذى يحصله القارىء من كتبها من معلومات عن الأحوال الاجتماعية والظروف الاقتصادية فى انجلترا بعد

الحرب العالمية الأولى يزيد كثيراً عن كل ما نشرته جريدة « التايمز» الانجليزية فى هذا الموضوع ، وما تقدم أجاثا للناس من تفاصيل عن الأحوال المحلية يفضل ما يرد فى مجلدات كتبت عن التاريخ الاجتماعى لتلك الحقبة من الزمن .

بوليس سرى فريد

والحديث عن شخصيات أجاثا كريستى لا يكتمل بغير إشارة الى الشخصية الممتعة التى خلقتها لتكون وسيلتها فى حل المعضلات والكشف عن الجرائم ، ونعنى بذلك شخصية البوليس السرى «هركيل بوارو» ... ولن يدهشنا اذا كتب لهذه الشخصية من الخلود ما كتب لشخصيات لير وهاملت وشيلوك وميكوبر وغيرها من الشخصيات الخالدة ... ففى حسابنا أن شخصية «بوارو» ليست كما يقال شخصية بلجيكية أو فرنسية ، ولكنها مخلوق انجليزى تتمثل فيه فكرة الانجليز عن الأوروبيين ، ولذا كان من السهل على القراء أن يتعرفوا عليه ، وأن يحظى عندهم بالقبول فوراً .

وبوارو ، بوصفه شرطياً أو بوليساً سرياً ، يكرس حياته لمقاومة الجريمة وحماية الحقوق والدفاع عن كيان المجتمع .. ولقد راق القراء وسرهم أن رجل البوليس «الجديد» ليس على شاكلة من سبقوه أو عاصروه من رجال الشرطة الذين يتميزون بضخامة الجثة والشدة والصرامة .. فهو فى حجمه الصغير ، ورأسه التى على شكل بيضة الدجاجة ، أشبه ما يكون بالعلماء والفلاسفة ... وتشارك أجاثا جماهيرها فى لهوهم ودعابتهم فتقول ان العلاقات كثيراً ما تفتر بينها وبين بوارو ، ولهذا خلقت له منافساً «المس ماربل» وهى شخصية امرأة عجوز يتراوح عمرها بين الثمانين والمائة .. تعتبر فى مجال الأعمال البوليسية أقل ألمعية من «بوارو» وأقل منه غموضاً وهى على نقيضه تماماً أو تكاد ، فهى جمة التواضع ، تثق فى قدراتهاثقة هادئة ، وهى مثل بوارو تحتفظ بسر حلول المشاكل حتى النهاية ولكنها تختلف عنه فى أنها تتعاون أحياناً مع رجال الشرطة ولا تجد حرجاً ، فى بعض الأحيان ، فى كتابة اسم المجرم على قصاصة من ورق تدسها فى يد مفتش البوليس ...

وفى كتاب أجاثا كريستى بعنوان



«ستار» الذى نشر فى عام ١٩٧٥ مات بوارو ولكنه نجح بموته نجاحاً منقطع النظير إذ نعته الصحف البريطانية والصحف الأمريكية فنشرت عدداً من المراثى الصورية تعدد فيها مناقب تلك الشخصية الخيالية الفذة وتمتدح خالقتها أجاثا كريستى .

من هى مارى وستماكوت ؟

هناك لغز آخر ، وسر غامض ، يعتبر أهلا بملكة الألغاز وسيدة الغامض ، والسر الذى نقصد هو أجاثا كريستى نفسها إذ تتقمص شخصية «مارى وستماكوت » وهو الاسم المستعار الذى اتخذته أجاثا فى عام ١٩٣٠ ، لما أرادت أن تكتب قصة طويلة من نوع لا تكتبه «أجاثا كريستى» ، لأنه نوع عادى غير بوليسى ، لا غموض فيه ولا ألغاز ... وكانت القصة بعنوان «خبز العمالقة» ... فلما نشرت القصة لم تحرك فى الناس ساكناً .. وحاولت «مارى وستماكوت» ثانية بعد أربعة أعوام فكتبت قصة طويلة ثابتة بعنوان «صورة لم تكتمل» كان نصيبها من الفشل نصيب الأولى .

واختفت «مارى وستماكوت» من عالم الكتابة والأدب لمدة عشر سنوات بعد ذلك حتى عام ١٩٤٤ ، واضطرت الى الظهور ثانية لأن قصة كانت تجيش فى صدرها ، تطالب بمن يقصها على الناس ، وكانت من النوع الذى لا تستطيع أجاثا كريستى أن تقصه .. عنوانها «غاب فى الربيع» ، وكانت زبدة هذه المجموعة الصغيرة من الروايات ،، ولكن كان كل ما فى القصة من جمال وعاطفة ، كحليب رائق صب على أرض قاحلة جرداء ، فأتبعت القصة بقصة أخرى بعنوان «الوردة وشجرة الطقسوس» ... وكان نصيبها نصيب ما سبقها .

مضت خمس سنوات أخرى قبل أن تحاول مارى وستماكوت أن تكتب شيئاً .. وفى عام ١٩٥٢ كتبت رواية طويلة بعنوان «الابنة هى الابنة» ونشرت فى عام ١٩٥٦ رواية أخرى بعنوان «الحمل» لم تستقبل بأية حماسة .. وانتهت بذلك حياة مارى وستماكوت الأديبة ، ودفنت فى طيات التاريخ لم يسمع بها إلا قلة من الناس .

ومن حق القارىء أن يسأل عن السبب فى فشل هذه الكتب الستة .. والجواب الذى نرتضيه هو أنها لم تقدم للقراء بطريقة مجدية .. أهمل الناشر واجبه فاهدرت جهود الكاتبة وراحت هباء ولو أن الذى تولى نشرها كان يفهم مهمة الناشر لكان لمارى وستماكوت شأن آخر فى عالم الأدب .

«مصيدة الفئران»

لم تقتصر كتابات أجاثا كريستى على الروايات البوليسية فقط بل تعدتها الى غيرها من مختلف أنواع النثر والشعر .. ولكن الذى يتسع له المقام هنا ، هو كلمة عابرة عن مسرحياتها الرائعة ونشير بالذات الى مسرحيتها «مصيدة الفيران» فلها قصة لا تخلو من طرافة .

كانت الملكة مارى ملكة انجلترا من أشد المعجبات بأجاثا كريستى ، فاستدعتها ذات يوم فى عام ١٩٤٧ وطلبت منها أن تكتب تمثيلية إذاعية .. وطلبات الملوك أوامر مطاعة .. وأعدت أجاثا تمثيلية إذاعية طولها ٤٥ دقيقة ، تم اخراجها واذاعتها وأعجبت بها الملكة .. وقررت أجاثا أن تحيل التمثيلية الاذاعية الى تمثيلية مسرحية .. ونجحت فى ذلك وأسمت المسرحية «مصيدة الفيران» ، وظهرت على المسرح لأول مرة فى عام ١٩٥٢ ، ولعل القارىء يصدق أنها مازالت تعرض على المسرح باستمرار من ذلك التاريخ حتى يومنا هذا .. —

واستمرت حياة أجاثا رتيبة خصبة تنتج فيها كتاباً جديداً يصدر قبيل عيد الميلاد من كل عام وتزوجت ابنتها «روزالند» ورزقت غلاماً وأصبحت أجاثا جدة .. وتزوج الغلام وأعقب خلفاً فكان لها أولاد حفيد .. ووافتها المنية يوم ١٢ يناير ١٩٧٦ .. وماتت بموتها سيدة انجليزية أصيلة .. والسيدة الأولى لأدب الجريمة وملكة تبوأت عرش القصة البوليسية .

جمال الكنانى

فنـــون من الغـــرب

كاميل بيسارو
الفنـــان والأب

محـــمد أبو طـــالب

● .. أما حيـــن تتوقف حيـــاة الفنـــان العـــربى .. فإنه يـــسقط من ذاكرة الحيـــاة والأحياء !

● البحث الـدائـــم عن المـــوضـــوع الجـــديـــد والأسلوب الحديث المبتكـــر

● الفـــلاحون الشـــاحبـــون .. تعبيـــرا عن ضيـــاع الـوقـــار الانسانى بين الطبقات

يجب علينا أن نعترف بأن الفنان العربى محاصر بالسدود الكثيرة التى تلازمه طوال رحلة حياته فى محاولة غير مفهومة للقضاء عليه . لكن الله سبحانه وتعالى وهب الفنان قدرات قد لا تتوفر لغيره من الناس ، تؤهله لاداء رسالته السامية ، مثلما تمكنه من مقاومة تلك السدود ، كي يظل قادراً على التعبير ، واستشراف المستقبل ، فى إطار رسالته ، وطالما بقى به شريان ينبض . أما حين تتوقف حياة الفنان العربى .. حين تموت معه مقاومته .. فان السدود تنجح فى الاجهاز عليه وعلى أعماله وتاريخه وكأنه حكم عليه بالزوال . فلا معرض يقام له تكريماً . ولا كتاب يصدر عنه تعريفاً . وهكذا يسقط من ذاكرة الحياة والأحياء !!

ليس هذا هو موضوع حديثنا هذا الشهر ، ولكنها الحقيقة المؤلمة التى لم أستطع تجاهلها أثناء متابعتى للمعارض المتوالية التى تقام فى الغرب لفنانيه الذين رحلوا منذ عشرات السنين تتكرر المعارض وتتجدد الرؤيا مع اكتشافات جديدة وتحليلات مستحدثة فى إطار دراسات جادة ومستمرة لحياة وأعمال هؤلاء الفنانين العظام الذين يزيد من عظمتهم اهتمام أممهم وشعوبهم بتراثهم لانه جزء حى من نبض الأمة

العرض الحالى

من أبرز هذه المعارض الكثيرة معرض الفنان الفرنسى «كاميل بيسارو» (١٨٣٠ ـ ١٩٠٣) المقام حالياً وحتى ١١ يناير القادم فى بريطانيا .

ورغم مرور أكثر من ثلاثة أرباع القرن على وفاة الفنان إلا أن النقاد كتبوا الكثير بخصوص هذا المعرض واحتل حيزاً كبيراً فى الصحافة الفنية خلال الشهر الماضى . وقد كان هذا المعرض مناسبة طيبة استغلها النقاد فى تحليل أعمال «بيسارو» فى ضوء علاقته غير المنتهية برواد المدرسة التأثيرية فى القرن الماضى ، موضحين نقاط التشابه والاختلاف بين أعماله وأعمال هؤلاء الفنانين وعلى وجه الخصوص ، سيزان، جوجان ، رينوار ، سوراه وسيناك ، مما أعطى هذا المعرض أهمية خاصة وإهتماماً بالغاً لمعرفة من أخذ ومن أعطى خلال تلك المرحلة الهامة ذات الانعطافة الهائلة فى مسيرة الفن التشكيلى التى مازال تأثيرها واضحاً ومستمراً حتى اليوم .

ومن الواضح إهتمام المسئولين عن هذا المعرض حيث إحتـــوى أعمـــالا مثلت معظم مراحله الفنية المتعددة وأساليبه المختلفة ، فلم يكن «بيسارو» من ذلك النوع القانع الساكن بل اتخذ لنفسه طريقاً فنياً طويلا من أجل البحث عن الخلود ، ولم يكن مكتفياً بأسلوب معين ، بل كانت تحركه طاقته الهائلة للعمل والبحث الدائم عن الموضوع الجديد والأسلوب الحديث المبتكر فكان انتاجه غزيراً متنوع الأساليب .

أعماله والآخرين

وفضلا عن رهافة الحس التى يدركها المشاهد لأعماله ، فانه يلمس بوضوح وجه التقارب الشديد فى بعض الأعمال بينه وبين «كورو» الذى وقع تحت تأثيره لفترة طويلة فى بداية حياته الفنية واعتبر نفسه فى تلك المرحلة تلميذاً مخلصاً لذلك الفنان الفرنسى الذى اعتمد فى أسلوبه على الملاحظة الدقيقة للاشكال والنظر اليها بعين محددة لمساحات الظل والنور مستخدماً ألواناً سميكة تتراوح درجاتها بين الفاتح والداكن من خلال الضوء ، يتضح ذلك جلياً فى منظر «بونتوان» حيث استخدم «بيسارو» مجموعة الأخضر الفضى مثلما كان يفعل كورو .

أما سقوف القرية فهى التى نجدها فى



أعلى منظر من «بونتواز» رسمه «بيسارو» بجانب «سيزان» الذى رسم اللوحة على اليسار ، لاحظ التشابه والاختلاف بين اللوحتين .



فلاحة رسمها «بيسارو» عام ١٨٨١ .



كاميل بيسارو
الفنان والأب

أعمال سيزان . وهذا طبيعي حيث أصبح سيزان تلميذاً لبيسارو عندما بدأ الرسم فى «بونتوان» ولم ينكر ذلك بل وقع فى آخر عام من حياته «بول سيزان تلميذ بيسارو» .

ومن خلال مجموعة التأثيريين كان «بيسارو» هو الشخص الوحيد الذى شعر «سيزان» بأنه يستطيع أن يكون أميناً مخلصاً فى مساعدته للبحث عن طريق يرشده الى رسم المناظر الطبيعية. ولم يكن «بيسارو» فقط أكبر منه سناً بحوالى ٩ سنوات وأكثر خبرة ، وإنما ولد مدرساً ذا حاسة نقدية ثاقبة ، كل ذلك جعل «سيزان» يعتبره بمثابة الأب كما جاء على لسانه فى الحديث عنه .

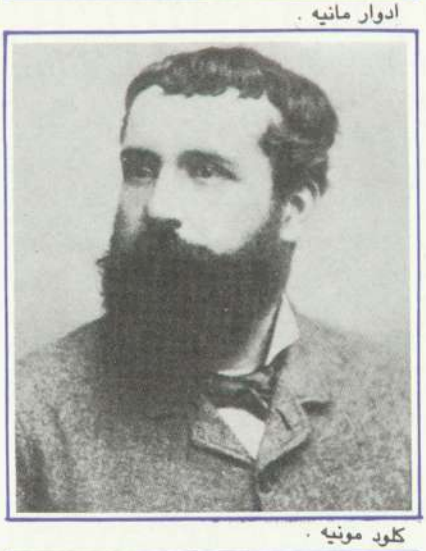
عمل «سيزان» مع «بيسارو» منذ عام ١٨٧٢ ولمدة عامين ونصف محاولا الاستفادة من «بيسارو» بقدر ما يستطيع كما حاول «بيسارو» أن يساعده بكل طاقاته الانسانية والفنية . وقد رسم سيزان في هذه الفترة بالألوان الزيتية والمائية والباستيل كما نسخ رسوماً لبيسارو ليتعرف ويفهم جيداً أسلوب وألوان ذلك الفنان الذى يكبره ولديه الخبرة التى كان يفتقدها «سيزان» ذاك الحين .

وحول العلاقة بين أعماله وأعمال «سيزان» قال «بيسارو» :

«لقد كنا دوماً متلازمين وكنا نختار نفس المنظر ولكن كل منا يرسم باحساسه الشخصى » ، ويبدو ذلك واضحاً بمقارنة لوحتين لسيزان وبيسارو لنفس المنظر فى «بونتوان» ، فبينما نجد الجاذبية فى لوحة بيسارو نجد القوة عند سيزان . أما أوجه التشابه والاختلاف بين العملين فتتضح بالمقارنة حيث نجد فى كلا اللوحتين اللمسات اللونية القوية تبرز فى جرأة أوضح من الخطوط المحددة لأشكال الأشجار والزهور وشبابيك المنازل ، كما أن الظلال المختلفة على أسطح وحوائط المنازل استخدم فى إبرازها اللون الأزرق الصريح .



ادوار مانيه .



كلود مونيه .



بيراوجست رينوار .

هذا من ناحية التشابه أما الاختلاف فيبدو بوضوح فى اهتمام سيزان بالعناصر المعمارية فى المنظر أكثر من بيسارو حيث أعاد صياغة الطبيعة فى كتل معمارية محددة بخطوط قوية .

● الشخوص والمناظر

وعند مقارنة قطار بيسارو من خلال محطة «لورد شب» عام ١٨٧١ مع لوحة الفنان الانجليزى «تيرنر» أو مع لوحة «محطة سانت لازار» للفنان الفرنسى «كلود مونيه» نجد أن «بيسارو» قد تجنب هيبة وغموض «تيرنر» كما تجنب أيضاً الأجواء الخاصة بمونيه وجاء قطاره ليشق طريقه بين منحدرين ، ويبدو كما لو كان لن يكمل أبداً رحلته الى مقدمة اللوحة . وتجدر بنا الاشارة الى تأثر بيسارو بفنانى المناظر الانجليز وعلى وجه الخصوص «كونستابل» و «تيرنر» وذلك عندما لجأ الى انجلترا هو و «كلود مونيه» أثناء الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ .

أما رسومه الأولى التى عرضت فى هذا المعرض فقد أوضحت للنقاد السبب فى أن شخوصه لم تصل أبداً الى مستوى مناظره ، فرغم أن شخوصه بها حيوية المناظر إلا أن الفنان عندما وجد نفسه بين أذرع الراقصين الطويلة فى فنزويلا حيث عمل فى كاراكاس لم يتمكن من متابعة حركات أقدامهم فجاءت خطوطه عنيفة فاشلة فى تحديد الحركة بينما ظهرت الوجوه وعليها ذلك العبوس الذى يستخدمه كثيراً لابراز التعبير .

وفى محاولة لاعطاء شخوصه ثقلا أو تعبيراً مثيراً للمشاعر تنقل بيسارو من كوربيه الى رينوار ، ومن سواره الى ميليه.

وبالنظرة الأولى للفلاحين الشاحبين أثناء العمل ، أولئك الذين ظل يرسمهم حتى نهاية الثمانينات من القرن الماضى ،

● شخصيات كالأرض والحجارة والماء والمبانى .. صلبة وجامدة

● فى عام ١٨٩٢ : مائة لوحة ومعرض لرجل واحد !

نجد فيهم ذلك الخلود الذى كان يبحث عنه الفنان ذاته . وكان ذلك صدى لتأثره بالفنان «ميليه» الذى شاركه عميق الحب للأرض والاقتناع بضياع الوقار الانسانى بين الطبقات الاجتماعية ولولا حبه وايمانه بهذا الموضوع لما ظل متمسكاً برسم هؤلاء الفلاحين رغم الصعوبات التى كانت تواجهه أثناء محاولة التعبير عن الاجهاد والتى لاحظ النقاد أنه كان يبذل جهوداً مضنية للوصول الى الحركة المعبرة عن الموضوع . ولكن النقاد من خلال هذا العرض أيضاً عادوا الى مناظرة حيث أنها أساس تميزه ، ومن خلالها تتضح قدراته على العطاء والتعبير لأن شخوصه بأى مقياس تظل دون مستوى مناظره شانه فى ذلك شأن «كورو» الذى تاثر به فى بداية حياته الفنية حيث أنه أيضاً أثناء بحثه عن أسلوب جديد تحول الى رسم الأشخاص وعالجها بنفس الطريقة التى كان يرسم بها الأرض والحجارة والماء والمبانى فجاءت شخوصه صلبة جامدة .

«بيسارو» الأب

ويتزامن هذا العرض مع صدور الطبعة الجديدة من رسائل «بيسارو» الى ابنه «لوشيان» وهو فنان أيضاً استقر فى انجلترا حتى مات عام ١٩٤٤ .

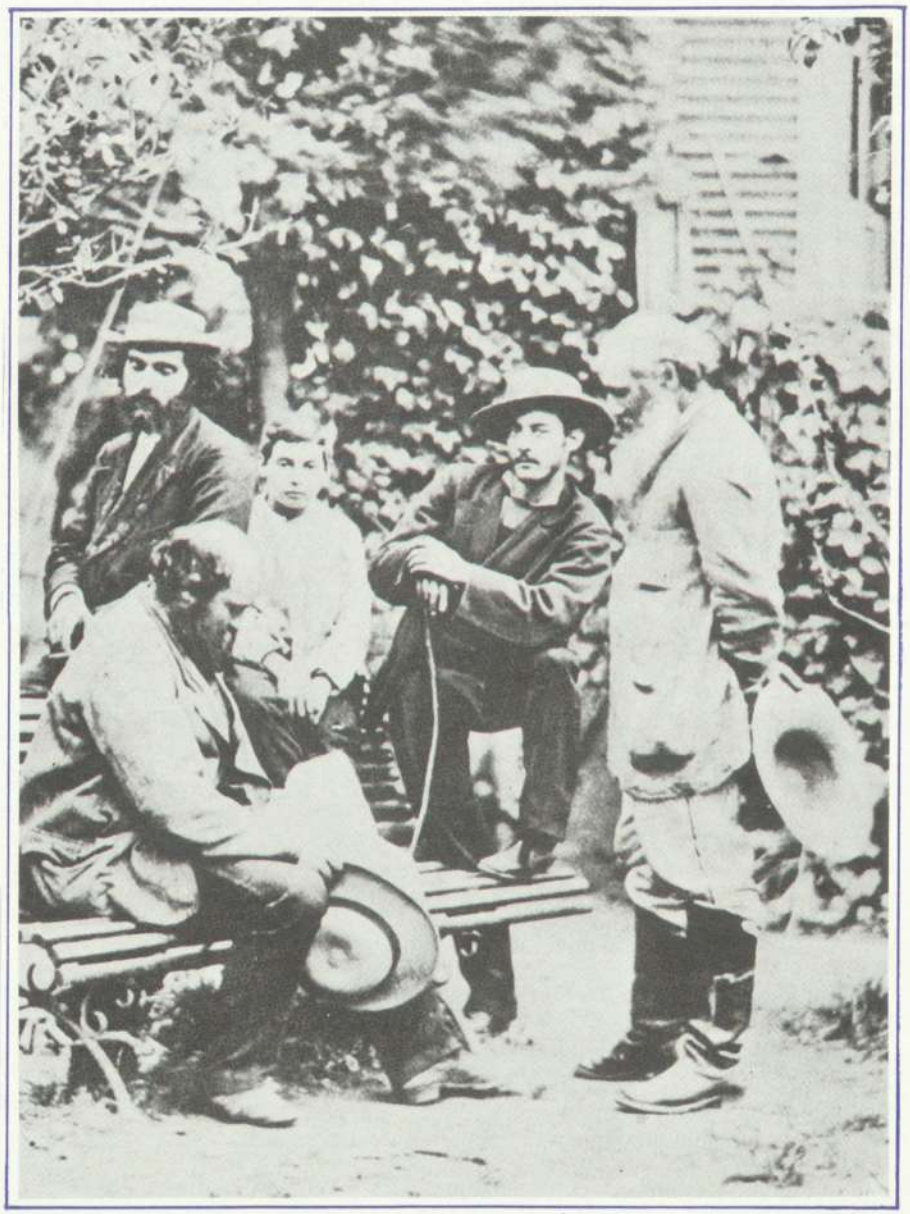
وأهمية هذه الرسائل تأتى من كونها مرآة حقيقية تعكس صورة فاتنة لذلك الأب الحكيم الذى احتل عن جدارة مكانة الأب فى الفن الفرنسى وكان انساناً الى أبعد الحدود ، ومعلماً حنوناً لكل فنانى المرحلة التأثيرية مما جعل له تأثيراً غير متوقع عادة حتى بالنسبة للفنانين الذين امتلكوا مقدرة أكبر منه .

وعندما يقول سيزان انه كان بمثابة أب له فهو محق لما لاقاه من أبوة ورعاية خالية من الأنانية والأحقاد تصل الى الدرجة التى يوبخ فيها بيسارو الناقد الفنى «هويسمانز» عندما أعد كتابه عن الفنانين المعاصرين عام ١٨٨٣ لأنه كان مقصراً فى ذكر «سيزان» الذى اعتبره «بيسارو» ذا تأثير عظيم على الفن الحديث .

لقد قال «جوجان» فى نهاية حياته انه كان واحداً من أساتذته ولايستطيع انكاره وهذا حق فقد كان صديقاً له كما أنه هو الذى قدمه الى الجماعة التأثيرية .

أما الفنانة الأمريكية «مارى كاسات» تلميذة «ديجا» فقالت انه كان بمثابة المدرس لدرجة أنه كان يستطيع أن يعلم الحجر الرسم السليم .

وبالتعرف على حياته نجد أن هذا



«بيسارو» واقفاً على اليمين و «سيزان» جالساً ويرى بينهما ابنه «لوشيان» .

المصور الفرنسى ولد عام ١٨٣٠ فى جزيرة «سان توماس» من جزر الهند الغربية ، ودخل مدرسة الفنون الجميلة فى باريس عام ١٨٥٥ حيث وقع تحت تأثير «كورو» ، ثم التقى فى الأكاديمية السويسرية بالفنان «كلود مونيه» الذى صحبه حينذاك الى مقهى «جيربوا» حيث كان يتجمع عدد كبير من الفنانين المتمردين تحت قيادة «مانيه» رغم أن «بيسارو» كان أكبر منه بعامين لكنه لم يبدأ الرسم بجدية حتى العشرينات من عمره . وأصبح عضواً فى جماعة التأثيريين وعرض فى معارضهم الثمانية من عام ١٨٧٤ حتى عام ١٨٨٦ .

وقبلت له أول لوحة فى صالون باريس عام ١٨٥٩ حيث واظب على العرض بعد ذلك سنوياً ما عدا عام ١٨٦٧ ، كما عرض ثلاث مناظر فى صالون المرفوضين عام ١٨٦٣ .

عندما أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا عام ١٨٧٠ لجأ الى انجلترا مع «كلود مونيه» حيث وجدا الهاماً فى ضباب وأمطار شمال أوربا كما تعرفا على مدرسة المناظر الانجليزية وخصوصاً أعمال «كونستابل» «وتيرنر» .

عاد عام ١٨٧٢ الى فرنسا ليستقر فى «بونتواز» حيث عمل مع «سيزان» .

ومنذ عام ١٨٨٤ عاش فى «إرانى» حيث قابل «سينياك» وتعرف على «سواره» وأعجب بأسلوبه المعتمد على النقط اللونية واتبع هذا الاتجاه لعدة سنوات خلال الثمانينات ولكنه عاد الى أسلوبه الأصلى بعد ذلك عندما شعر برغبة فى التجديد ، وكتب « .. اننى أحاول دائماً البحث عن وسيلة أخرى للرسم بغير تلك النقط .» ولقد كان ارتباطه بالفنان «سواره» أكثر من أى فنان آخر من المدرسة التنقيطية حيث شارك الفنان الأصغر طموحه فى الوصول الى وسيلة لاحتواء وتثبيت السطح التأثيرى .

عرض عام ١٨٩٢ مائة لوحة من أعماله من خلال معرض نظمه تاجر اللوحات «ديوراند رول» تحت اسم «معرض رجل واحد» كان واحداً من أحسن عرضين خلال ذاك العام .

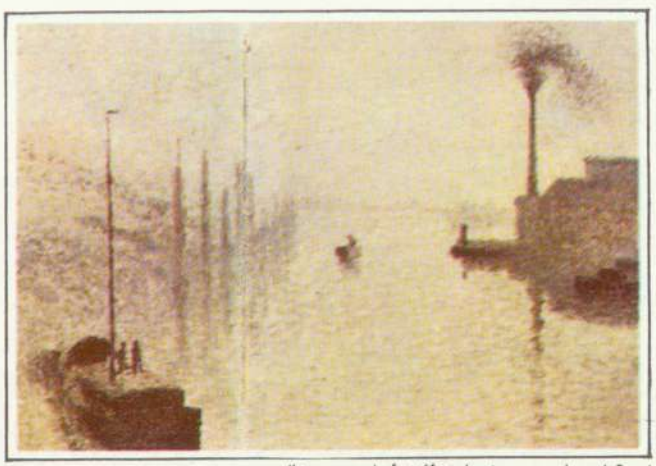
مثل بثمانية لوحات فى المعرض العالمى الكبير عام ١٩٠٠ .

وعندما بدأ بصره فى الزوال عام ١٨٩٦ أصبح مجبراً على الرسم داخل جدران منزله ، حتى أن آخر أعماله ، كانت لوحة رسمها من خلال النظر الى الطريق عبر النافذة عام ١٩٠٣ .

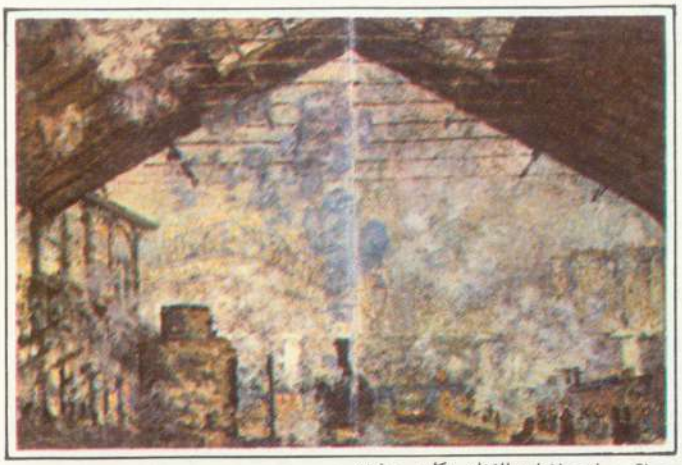
محمد أبو طالب



لوحة لماري كاسات ١٨٨٥



لوحة لبيسارو يبدو فيها متأثرا بأسلوب «سينياك» .



محطة «سانت لازار» للفنان «كلود مونيه» .



منظر للفنان «بول سينياك»



«المطر والبخار والسرعة» للفنان تيرنر .



منظر من أعمال بيسارو .



«بعد ظهر يوم الأحد» من أعمال «جورج سواره»

حسنى شحادة

أبو سلمى

الجذع الذى نبتت عليه أغانينا

مع مأساة فلسطين ، انسكبت شكوى الانسان العربى ، ونزف جرحه باستمرار مأساوى مرعب ، سيولا من الكلمات المتمردة ، وكان ماضيه الذى يمتزج بشبح الأرض العذراء ، يموسق اغنية للأرض الأم ، لينسج ملحمة ، يتفتح من خلالها ، إيقاع التشكل المصيرى العربى.

فى هذا الجو انطلق الشاعر عبد الكريم الكرمى «ابو سلمى» ـ كظمان تجذبه ظلال الشوق ، فى البيد سراب ، والصمت والاشباح والقلق ، يطاردونه فى مفاوز السهوب ، انطلق «ابو سلمى» كشراع يرف عرض اليموم ، يحكى لنا حكاية الضياع فى بحر العدم ، فاختار لنفسه شعار : «شاعر الامة المشرد» ، ومنذ هتف بالشعر ، اتخذ القافية المجنحة اداة للنضال الحر ، ووسيلة للتحرير والعودة ، فنادى بالكفاح المسلح طريقا للعودة ، يقول فى اول ديوان له «المشرد» المطبوع سنة ١٩٤٩ :

هل تسالين النجم عن دارى
واين احبابى وسمارى
جار عليها مدع بالهوى
جور عدو فى الحمى ضارى
فان فى الكون شظايا ، على
هام الذرى ، تدعو الى الثار
كيف يلوح الفجر بعد الدجى
إن تلح رايات ثوار



صب المغتصب الغشوم ، من صنوف الترويع والتفجيع ، فغلى مرجل حقده وفاضت شاعريته حمما ، يقول :

يا اخى انت معى فى كل درب
فاحمل الجرح وسر جنبا الى جنب
الوشاحات تعرى زهرها
بعد ما كانت موشاة بسحب
وشيوخ حملوا اعوامهم
مثقلات بشظايا كل خطب
هم ضحايا الظلم ، هل تعرفهم
إنهم اهلى على الدهر وصحبى
نحن إن لم نحترق ، كيف السنى ؟
يملأ الدنيا ، ويهدى كل ركب ؟

مغنى فلسطين فى كل مناخ

زادت كارثة انشاء اسرائيل ، واقتلاع الجذور الاصيلة من التربة العربية فى فلسطين ، ابا سلمى مضاء ، وتصميما على شجب العدوان والتشهير بالطغيان وشرح قضية شعبه العادلة فاقبل على الشعر فواحا بزفرات الانين ، وسرحات الحنين ، يصور هول المأساة ، ويروى ما

أغنيات من بلادى

لم يتجه ايقاع الغربة فى هذا الديوان نحو الحنين المنكمش كالحنين الى حقول البرتقال الكئيبة ومزارع البنفسج الباكى وأطلال القدس ، ولكنه اتجه الى تحد ، وصيرورة فعالية ايجابية شاملة ، الى دعوة جديدة للوقوف من خلال التمزق والضياع .

لنسمعه وهو ينشد :

فلسطين الحبيبة كيف أغفو
وفى عينى أطياف العذاب
ويسالنى الصحاب الا لقاء ؟
وهل من عودة بعد الغياب
اجل ستعود آلاف الضحايا
ضحايا الظلم ، تفتح كل باب
ونحن الثائرون بكل أرض
سنصهر باللظى نير الرقاب

من فلسطين ريشتى

كتب مقدمة هذا الديوان الشاعر «بدوى الجبل» بكلمة منها :

«لا أريد ان اتحدث عن شعرك ، إن شعرك كالعطر ، أرجه يثنى عليه ، ويهدى اليه ، ولكنى أريد ان اتحدث عن حزن شعرك على فلسطين ، إنه حزن هادىء ووجيع ، فجمال شعرك فى حزنه ، إنه لا يلطم الصدور ، ولا يبالغ فى الصراخ ، بل هو حزن هادىء ، لأنه نابع من ضمير .. سلمت العبقرية التى ينبع منها شعرك ، ولا اقول سلمت الأحزان التى يعبق فيها سحرك» .

ويعتبر ابو سلمى من اقدر شعراء فلسطين على إثارة القوة فى عزائم الناس ، بشعر رقيق عذب ، سلس ناعم . تمتلىء به القلوب ، وتستجيب له النفوس ، يمثل الطموح الوطنى ، وفى ديوانه هذا تعبير عن هذه المعانى ببناء تصويرى رائع فيقول :

من فلسطين ريشتى وبيانى
فعلى الخلد والهوى يدرجان

ريشتى فى مدادها الدم والدمع
وراء السطور يمتزجان

شاعر ذو تلاوين

أبو سلمى شاعر ذو تلاوين ، نضعه فى مصاف أبرز المجددين وتجد فى كل لون من تلاوينه ، أنك أمام صنيع فنى بديع،ولئن كانت ريشة أبى سلمى من فلسطين ، فمن فلسطين أحب ، وعشق وغنى ، ولئن سموه الشاعر المشرد فانى اسميه العاشق المشرد كما سماه الشاعر «محمود درويش» ، لأن العشق أولا والشعر ثانياً ومن لا يعشق لا يحسن الغناء ، ومن لا يعشق لا يحسن القتال ، إن للشاعر قصائد غنائية ، ذات ألفاظ موسيقية منتقاه ، فقد غنت له «فيروز» قصيدة «ابنة بلادى» التى منها :

أين الشذى والحلم المزهر
اهكذا حبك يا أسمر

• • •

وتظهر لأبى سلمى شخصية فنية أخرى فى قصائده الغزلية ، التى تضم باقة متناسقة من الألوان والظلال ، والطيب والعطور ، والأزهار والورود ، يديرها فى شعره ، ويوشى بها أبيات قصائده ، فيحلق القارىء او السامع مع الشاعر فى اجواء بيانه .

فهذه الكلمات الراقصة : الضياء والسنى والشعاع ، والشذى والطيب والعبق والعبير ، والزنبق والياسمين والسوسن والأقاحى ، والنسيم والفجر والغسق ، والشاطىء والسفح والوهاد والتلال والمروج .. وغيرها .. وغيرها ... يرددها الشاعر بموسيقى لفظية خلابة ، تضفى على القصيدة اجواء جمالية بديعة .

• • •

أغانى الأطفال

المكتبة العربية فى حاجة ماسة الى أغانى الاطفال ، تكون عذبة الألفاظ ، خفيفة الأوزان ، موسيقية الأداء ، تحمل الأفكار الوطنية ، وتخدم الأهداف التربوية ، فخاض الشاعر هذا الميدان ، لتكون الرؤية الشعرية باعثة لهم ، مثيرة أشواقهم الى اكتناه الحقائق ، ومنمية فى صميم ذواتهم عاطفة الحب الكبير ، الذى يمتد عبر الحياة وما فى الكون ليبلغوا الرقى الانسانى الذى تطمح اليه النفوس ، وتسعى سعياً دءوباً لنيل سعادة الظفر به . لتغرس حب الوطن .

العندليب ينادى
هذا ربيع بلادى
يا مرحباً بالربيع
على طريق الشهدا
ترفرف البنود
نسمعها على المدى
أنشودة الخلود

• • •

المسرح الشعرى

نظم أبو سلمى إبان الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ ، مسرحية شعرية بعنوان «الثورة» ، وقد بعث بها الى صديقه الاستاذ الأديب ابراهيم المازنى ، ليتبين رأيه فيها ، فارسل اليه المازنى رسالة مؤرخة بتاريخ ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٣٧ م أشار فيها الى بعض آرائه النقدية فى شعر أبى سلمى عامة والمسرحية خاصة ، وقد نشر الدكتور ناصر الدين الأسد فى كتابه «محاضرات فى الشعر الحديث فى فلسطين والأردن» اجزاء من الرسالة ، نورد بعضها :

«لا أطيل عليك ، فما ينقصك الثناء ، ولا العلم ، بأنك شاعر هذه البلاد العربية غير مدافع» . .

.. «لقد شكرت لك أنك امتعت اخاك بهذه النفحة الطيبة ، وسرنى وغرنى ـ أيضا والله ـ انك جعلتنى احد اثنين اختصصتهما بذلك ـ والثانى هو الأستاذ خير الدين الزركلى» .

إن هذا يدل على امرين :

اولهما : ما كان بين أبى سلمى وكبار الأدباء من علاقات الود ، وصلات الأدب .

وثانيهما : شهرة الشاعر ورأى كبار الأدباء فى شعره وشاعريته .

من آثار الشاعر

شارك أبو سلمى فى حركة النقد الأدبى ، فكتب عن شعر أحمد شوقى وعرض لناحية الحياة الطبيعية والمرأة .

كما أصدر كتاب «كفاح عرب فلسطين» الذى طبع عام ١٩٦٤ ، تعرض فيه لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية كشاهد وممارس .

كما كتب سيرة والده الشيخ سعيد الكرمى الذى كان معتمداً لحزب اللامركزية فى قضاء بنى صعب ، وحكم عليه الأتراك بالسجن المؤبد ، وعند انتهاء الحرب عاد الى بلده طولكرم ، وعين سنة ١٩٢٢ قاضياً للقضاة ووكيلا للشئون الشرعية فى شرق الأردن .

كما أرخ سيرة أخيه أحمد شاكر سعيد الكرمى الأديب الناقد ونشر كتابه هذا عام ١٩٦٤ .

مكانته الأدبية

أبو سلمى شاعر فلسطين ، ورفيق جرحها القديم ، لم يكف عن التغريد ، فهو مرة يحن ، ومرة يحرض ، ومرة يؤرخ وأبداً تمطر غمائم شعره الدافىء جسد أرضنا المغتربة ، حتى أمطر البياض رأسه ، وقضى شهيداً فى سبيل الله .

وكان يوم العاشر من كانون الأول ١٩٧٨ قد شهد مهرجاناً أدبياً فى قاعة جمال عبد الناصر بجامعة بيروت العربية ، بناء على دعوة الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لتكريم أبى سلمى ، وكان التكريم رائعاً ومؤثراً عندما وقف رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام يلقى كلمته متوجها الى أبى سلمى يقول له :

«أخى وأستاذى ومعلمى : ... لقد تزاوجت فى الثورة الفلسطينية الكلمة والبندقية لأننا ندرك أن البندقية بلا كلمة وفكر هى قاطعة طريق .. وانت يا أبا سلمى الكلمة والفكر» .

وكانت بادرة التكريم الثانية عندما انتخب ابو سلمى رئيساً عاماً لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالاجماع .

لقد كرمت أبا سلمى عدد من الدول العربية ، وحصل أخيراً على جائزة اللوتس لاتحاد كتاب آسيا وأفريقيا ، التى عبر بها أحرار العالم عن تقديرهم للشاعر الفلسطينى الراحل .

حسنى شحادة

عبد الله على إبراهيم
رسوم : جمال قطب

الحبّوبة

غروب شمس مؤسسة ثقافية

لا مناص من التقدم . وهذه حقيقة مزعجة نوعا ما . وربما كان افتتان الناس بالطيب صالح راجعاً الى تجويده بناء شخوصه الروائية اجادة تجعلهم بمثابة التحفظات المتماسكة على مطلق التقدم .

كنا نحضر حفل ختان ، وتشعب الحديث لينتهى عند مبلغ استهانة اللصوص بالأمن والناس بدليل اعتداء احدهم على امرأة عند أول الحى أول المساء . وتساءل أحدهم : كان يمكن أن تصرخ . فقال الطهار :

– من يغيث وأهل المروءة فى شغل بالمسلسلات . صيحة فى واد !

استرجعت بكلمات «الطهار» بعض ما ترتب على صدور كتاب ومسلسل «الجذور» للأمريكى أليكس هيلى . فقد قيل وقتئذ ان «الجذور» تذكرة بمركز الحبوبة فى حياتنا بعامة وحياة النشء خاصة . فقد بدأ مبحثه الفذ عن منشأ أسرته بنذر اخبار سمعها عن حبوبته . ولم يكد «هيلى» يبدأ المبحث حتى اخرجت مستودعات التاريخ ذخائرها .. جداول حركة السفن .. مانفيستات الشحن .. مكتبة الكونغرس .. لتقود «كونتا كنتى» على قدمى حفيده المؤلف الى مرابع الصبا وحمى الأسلاف فى أفريقيا وقد تاخر عن الموعد المضروب قرابة القرنين . وكأن تلك الذخائر كانت بانتظار دفع «هيلى» وشغفه لتنتظم أوراقها المتكادسة فى معنى قديم تشتاقه . ربما لم تأت «جذور» هيلى بجديدفى قصة الصبا الافريقى الرائق





بين الطقوس الحفيلة . ومؤكد انه لم يضف جديداً الى قصة شقاء الزنوج الامريكيين .

مأثرة «هيلى» أنه ألحم شجرة نسب عائلته بين قارتين وعبر قرنين فأفرج بضربة واحدة عن احتمالات التاريخ المثيرة .

ولا يخفى على الناظر تضعضع مركز الحبوبة فى الاسرة السودانية الدينية وفى طبقاتها المتوسطة والمتعلمة . فقد تضافرت «الدادات» «والتلفزيون» على

الحبّوبة

اقتسام مساهمتها المخصوصة ليبقى لها ـ ويتسع تبعا لذلك ـ دور التسخط والازعاج .

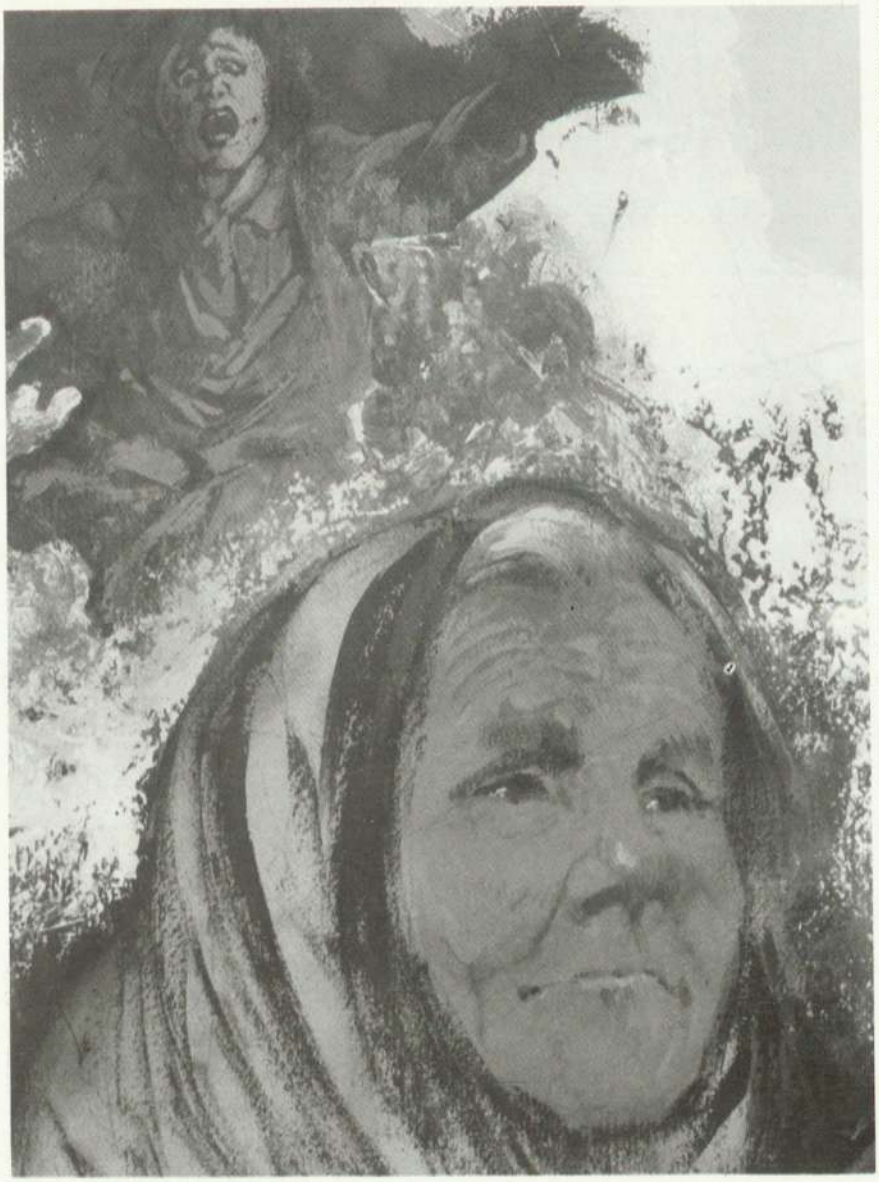
وهذا الدور هو بعض مادة الكوميديين عندنا . فالحبوبة فى فكاهات جعفر عز الدين وفى ثياب «بت قضيم» للفاضل سعيد مخزفة خرفا هو مزيج من الشره والبلة والتطفل والادعاء .

والتخلص بالهزء من الحبوبة قرين بالتخلص بالفعل . فالاصل فى خطتنا الاسكانية وتوزيع منازل الحكومة والمؤسسات هو الأسرة الحديثة (فى مقابل التقليدية) وهى المكونة من الأب والأم وذريتهما . فالخطة الاسكانية تعطى خمس درجات لكل من الأم والطفل الاول بينما تعطى الكفالات ـ وهى خانة الحبوبة ـ درجة واحدة . وليس ينظر فى توزيع منازل الحكومة والمؤسسات فى الذى أعرف عن جامعة الخرطوم الى كفالة الأم أو غيرها-خططنا الاسكانية ـ بما فى ذلك التصور المعمارى ـ تنظر الى العائلة الاوربية بوصفها الكلمة النهائية فى الذى ستكون عليه العائلة باطلاق . والمعلوم أن العائلة الاوربية بنت ظروف وملابسات لا يصح علمياً تعميمها ، علاوة على أن كارثة تلك العائلة الآن موضوع مباحث مختلفة تحاول استدراك العناصر التى فقدتها فى صراع البقاء فى شرط الرأسمالية القح . والحال كهذا فنحن فى الامم الاخرى بحاجة الى قدر صحيح من ريبة العباسى فى حضارة الغرب التى «لم تك يوما والحوادث جمة حمى لضعيف» والحبوبات قبيل فى الضعفاء .

راج اعتقاد بأن أحاجى الحبوبات خرافات . وترافق هذا الاعتقاد مع استعادتنا لارادتنا الوطنية بالاستقلال الشىء الذى جعل لمانعتقده خطرا .

قال القائل إن سعالى الأحاجى وغولها وسحاحيرها مما ينشىء النشء على الخوف ويطبعهم عليه . وأصبح الانقطاع عن أحاجى الحبوبات دليلا على التربية الحديثة. وأصابت الاطفال مسغبة روحية . فمكتبة الطفل العربى والسودانى معا لم تزهر على ركامها المتراكم كلمة مسلية منذ كامل كيلانى ودار النشر التربوى فى طورها الاول . وأصبح الطفل السودانى والعربى غرضا يرمى وصيداً لصائد . فهو يقرأ ويتفرج على اشياء أيسر ما يقال فى رداءتها انها تخطتنا كلنا ـ آباء ومربين ووطنا ـ وخاطبت طفلنا مباشرة . وخرج على أطفالنا جبابرة مثل «استيف أوستن» وعالم غرائبه الذى يقعد به التقعر دون بلوغ.عالم غرائب الاحاجى ، الذى تكون الرغبة فيه صنوا للفعل . كما خرجت على أطفالنا حيوانات مثل «كنج كونج» التى شيدتها خبرة طويلة فى الرعب المحض .

لقد أردنا باطراحنا الأحاجى التحضر . وأملنا أن يزين التحضر عقل أطفالنا باستنارته ويطبعهم بعقلانيته . ولم يكن العالم المتحضر عند حسن الظن كما رأينا . ووجدنا بضاعتنا (موضوعات احاجينا) ترد الينا وقد أعادت انتاجها مؤسسات غربية انتاجا لا يخلو من الميل والزيغ . وصح القول اننا باستعجالنا التحضر بلا هدى اسقطنا الفن العالمى المؤكد الذى بيدنا .. الاحاجى . فاحاجى العالم قاطبة تقوم فى تجريدها على موضوعات مرصودة مثل «الذئب والصغار» و «الحصان المعاون» و «قاتل الاخطبوط» و «الاكول» . وهى موضوعات تتفرع بها القوميات والجماعات وتطلق فيها خصوصية خيالها وتبتكر فيها ما شاءت وقد اذاع الدكتور سيد حامد حريز فى كتابه «قصص الجعليين الشعبى» فرضية حسنة التاسيس فى علم



الفولكلور مؤداها أن الحكاية الشعبية عند الجعليين ابداع بلغ الغاية فى التوفيق بين عناصر قصصية عربية وإسلامية وعناصر قصصية افريقية وهذه ابداعية منضبطة فى استجابتها للمعطيات من حولها وحرفيتها متقنة . وهى مما يعتد به فى أهلية أية جماعة للتطور السديد .

وهكذا فتخلينا عن الاحاجى شاهد آخر على بؤس مسعانا الراهن للتحضر الذى نلهث فيه للحاق العالم ونقدس «سنة التطور» ونخلع ذاتنا على عتباتها المقدسة .

ليس يخفى التشرد الروحى المخيم على شبابنا . انظر اليهم عند دسكو أركان العمارات الركينة يظهرون طرباً كالادمان . يستحثهم الطلب والاستهلاك لبضاعة الاشرطة لا التذوق المدروس . يعلنون على قمصانهم عن أشياء مذهلة مثل أساطير البحار الأمريكية المنوط بها تاديب كل منا فى الوقت المناسب . إن حاجتنا الى عجائز المنعطفات فى الاحاجى ماسة . أعطت العجوز للشاب شوكة سدر وشوكة طلح ودرابة وطينة . وقالت له اذا انتزعت فتاتك من الغول .. لاحقك . فارم بهذه الاشياء واحدة اثر واحدة . وفعل . رمى شوكة السدر . فانشقت الأرض عن غابة السدر . رمى شوكة الطلح . فانشقت الارض عن غابة طلح . واستحالت الدرابة غابة جدران . واستحالت الطينة بحراً . وما يكاد الغول يجتاز عقبة حتى تنهض بوجهه عقبة . فاذا بلغ البحر شرب ليجففه فانقد . وهذا من أمن العناصر . وهو تحديداً ما نحتاجه لدرء الأشباح التى تمسك بخناقنا .

قال محمد المهدى مجذوب ظن جوهر شعره انعقد من مرويات جدتيه ، الحافظة المعلمة السيدة الحاجة مريم والسيدة البرة أم الأضياف الوهابية بنت وهب والحال ، فانت لن تجد مبحثا عميقا فى الروح فى مقام شعر المجذوب خلواً من بصمة الحبوبة : خازنة الغور ومستودع سفرة المعارف الاساسية . وامتنان المجذوب لجدتيه مما يرد الاعتبار للحبوبة فى زمن كاد ان يلغيها بمزاعم شتى .

عبد الله على ابراهيم

رسالة غيـــــر عادية

إلى قنبلة النيوتـــــرون

بقلم : معـــروف رفيق





سيدتى .. بل سيدة الموقف .. وكم أود الا انطق باسمك يا قنبلة النيوترون .. فاننى اذوب خجلا واتلاشى الما .. لاننى اناديك بلقب السيدة .. ولكن اصطلاح السيادة الحقيقى .. لا ياتى فى هذا المجال من اعتبارات المجاملة والتادب .. لانه مفروض على الكاتب ، من اعتبار السيادة والقهر .. وهل فى أدوات الدمار ، ما هو اشد منك فتكا وتدميراً ؟ ...

لماذا يا سيدتى هذا التسلط اللاانسانى ضد الانسانية ؟ لماذا يا سيدتى تحملين الف الف جناح للموت القسرى ، لمئات الآلاف من البشر الابرياء ؟ .

ولكن مهلا يا سيدتى .. فلابد ان اشكر لك هذا اللطف المتناهى فى ترك عجلات المصانع تدور ، وثمرات الأشجار بلا ويل ولا ثبور ...

اشكر لك انك تمنعين الاذى والدمار ، عن الآلات والعمارات والاشجار ... وفقط .. تقتلين الانسان .

لماذا هذه الرحمة الزائدة ؟ .. لماذا تقتلين البشر .. وتبقين على العمائر والشجر ؟ .. افلست اكبر لص عرفته البشرية .. تقبضين الارواح ، وتتخنين الجراح ، وتقيمين مادب الاتراح أيتها الوقاح ..

من هو ذلك العالم الذى تفنن فى صناعتك ؟ لماذا نسى اخلاق العلماء وتلبس باطمار المجرمين والاشقياء ؟

مداد العلماء .. يعد عند الله دماء الشهداء .. اجل .. فهم علماء الاخلاق والانسانية .. لا اشقياء الجهالة والانانية ..

افلا يتذكر ذلك العالم .. انه قوى بالله ضعيف بدون الله ؟ .. اوليس عندما تتخلى عنه العناية الالهية ، أوهن من خيوط العنكبوت .. واضعف من جناح البعوضة .. والموت اقرب من حبل الوريد ومع ذلك ، يصنع أدوات الموت .. يصنع قنبلة النيوترون .. ولا يدرى هل سيكون من ضمن ضحاياها .. هو ، او زوجته .. او ولده او اقرباؤه .. ؟ ..

من قبل اليوم ، عجب المتنبى من الانسان فقال :

كلمـــا انبت الزمـــان قنـــاة
ركـــب المـــرء فى القناة سنانـــا

سيدتى ...

انت ظالمة .. وصانعوك ظلمة .. وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ...

معروف رفيق

الحزن والضباب

أقصوصة بقلم : لولوة المسند



لم أكن أتوقع أن أشعر بالبرد .. في الدوحة ! .. في سبتمبر ؟!

صحيح أن الغرفة خالية من أي شيء سوى هذا الصندوق الذي تبرعت أمي بلم حاجاتي ورميها في جوفه .. ولكن خلو الغرفة لا يبرر هذا الصقيع الذي يدب في أطرافي . إنها قشعريرة خوف .. بل جوع .. لا بل مزيج من هذا وذاك .. ترى بعد كل ما حدث هل وجدت ذاتي التي أبحث عنها إن كان لي بقايا من ذات فقد جمدت وأصبحت كهذا الجدار المتآكل .. أنا اليوم انسانة أخرى .. زوجة هذا الرجل .. بل أم لطفله الذي سيرى النور بعد أشهر .

ويدخل وهو يحمل رغيفين من الخبز ، وكيساً بني اللون شفت زواياه بسبب الزيت المتقاطر منه ويضع تحت إبطه زجاجة مياه غازية ـ هذا هو زوجي .. غريب كل ما حدث كان كالحلم .. كان خاطفاً كالحلم .. وكان غريباً كالحلم .. في عصر ذات يوم أفتح باب غرفتي في بيتنا الكبير وأسير عبر الحوش وأتسلل عبر كوة الباب ، وأشير لهذا الرجل الذي يبيع في دكان مقابل .. ثم أدخل هذه الغرفة وأفرغ رغباتي كلها بين هذه الجدران . شيء غريب فعلا أن يزوجني أهلي هذا الرجل متناسين بذلك شروط العرف .. توقعت أن أقتل بعدها وينتهي كل شيء بسعادة بعد ذلك . فتاة تجلب العار لأسرتها فتقتل ويحفظ شرف العائلة وأحصل أنا على النهاية السريعة التي كنت أتمناها دوماً ، ولكن لا أجرؤ على تنفيذها . أما أن يزوجوني هذا الرجل فهذه هي المشكلة التي لا حل لها .. ماذا أفعل الآن ؟

ـ هه ماذا تريد ؟ .. لا أريد أن آكل شيئاً أرجوك .. مسكين أنت لقد كنت بطل مخططي .. قلت لك لا أريد .. كل أنت .. والآن ماذا سنفعل يا هذا ؟؟ ... ماذا تقول زوجتك في بلادك ؟ ستنحرك بالسكين لو عرفت أنك تزوجت .. أيها المعتوه وهل تحسب أنك سترى بلادك ثانية ؟ لقد أخذ أبي جواز سفرك وجواز سفري حيث سنظل دائماً تحت رقابة هؤلاء الناس وسنظل دائماً لا ننتمي اليهم سنظل نكرة ، كنت دائماً أقول عن نفسي نكرة . أما اليوم فليس لي في هذا المجتمع محل من الاعراب ... لو أن الآخرين تركوني لحالي لو أنهم لم يقولوا نعم أو لا في حياتي لو أن سلطة القرار كانت لي وحدي ..

لأحببت كل الناس لتمنيت أن أرشق الورد فى وجه كل انسان وأرسل قبلة لكل وليد ولما فكرت أن أخنق حياتى وهى سجينة الآخرين .

عندما أنهيت دراستى الابتدائية كان على أبى أن يقول نعم لاكمال دراستى وأن تقول أمى نعم وخالى وعمى وأخى .. قال أخى عندها : «عندما تتعلم الفتاة تصبح إنساناً والفتاة هنا أنثى وأنثى فقط ... »

قال يومها : «هذا جهاز تلفاز وفيديو سأجلب لك كل يوم المزيد من الأفلام .. تستطيعين بهذا أن تشغلى فراغك مادمت تشكين الفراغ» . ولكنك تحمل لي مخدراً جديداً ينعش غرائزى ويوقظ الأنثى فى داخلى كل يوم . وأخرجت زفيراً حاراً ثم أغمضت عينيها .. تقفز فى الهواء تجرى .. تجرى والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها في الهواء . إنه يزيل الحزن الضبابى فى داخلها ويلقيه خلفها .. هذا الحلم .. إنه يأتيها لحظات الانقباض ثم يختفى ثم يأتى حتى لتحس أنه نفحة ربانية تخمد كل ضجيج الواقع .

فتحت عينيها على الرجل الجالس أمامها .. يفرك عينيه المحمرتين ويسوى ربطة إزاره ويشير لها كالأبكم مغادراً المكان

فتيات ... ! من أنتن .. «إنهن جاراتك جئن يزرنك» تقول العجوز المصاحبة لهن .

ـ «جارات أنا لا أعرفكن .. اخرجن من هنا هل جئتن للفرجة يا أيتها الدمى .. أنا أفضل كثيراً لقد أصبحت لي سلطة القرار أخيراً لقد بادرت أخيراً بالفعل وكان على الآخرين أن يقوموا بردود الأفعال هل تملك أيكن أن تفعل هذا ؟»

«أنت» .. «زوجة المسئول الكبير سئمت تملقك .. وأنت تصبحين كالبالون يكاد ينفجر كلما رأيتك» وأدارت ظهرها تسحب دراعتها الواسعة وتشير بيديها تكلم نفسها بهدوء «أمى دائماً تصر على أن الآخرين شىء كبير . تصر على أن يكون كلامى معهم على نحو آخر ، وجلستى معهم على نحو آخر ، لم تكن أمى تخاف على إحساسى بقدر ما خافت على أحاسيس الآخرين أو خافت منهم» ...

والتفتت بصرخة نحو أخرى تقول :

«وأنت أتيتنا من آخر الدنيا بشهادتك ترددين لنا انتصاراتك فى آخر الدنيا وكيف أن للمرأة حقوقاً هناك وما كان منك إلا أن تجترى الذكريات .. وكيف أن للمرأة حقوقاً هناك وكيف أنك قلت فى أحد المحافل لابد أن تقوم المرأة بدور طليعى لتحرير العالم الثالث .هه إن شهادتك لا تساوى شيئاً . أنت لم تحركى ساكناً من أجل إنقاذ المرأة بل لم تحركى ساكناً من أجل إنقاذى ، واضطررت بعد كل المعارك الكلامية التى خضتيها أن تكونى أنثى خوفاً من أن تكونى شيئاً آخر يلفظه المجتمع وتسحب منه كل حقوق العضوية ..»

«وأنت ... وأنت .. أخرجن أيتها الدمى» .

كن يتراكضن مندفعات نحو الباب خوفاً من حقيقة تغافلنها .. وصفقت الباب خلفهن عادت تجر دراعتها الواسعة .. نحو البلاط .. تقفز فى الهواء كفرس هائج تجرى .. تجرى والهواء يصفق خديها .. كم تحب اندفاعتها فى الهواء انه يزيل الحزن الضبابى من داخلها ويلقيه خلفها .

ثلاثية الاستفهام

شعر : تيراب الشريف أحمد



(١)

مابال هذى اللغة القديمة
تسقط مفرداتها
واحدة فواحدة ؟
ماذا ـ ترى ـ يلزمها
كى تستعيد القاعدة ؟

(٢)

أى طيف تراءى لنا فنحار ؟
غسق فى انحسار ،
أم بقايا نهار ؟
هل ترى غيمة مدبرة ،
أم ترى نجمة تتأهب للانفجار ؟
صخرة تتشبث بالقمة
تأبى التدحرج والانحدار ؟
علة . ربما حزمة من شعاع
تفضل الموت على الانكسار .

(٣)

أو ما تزال تبحر فى
محاريب الخطر
أو ما تزال ،
عينك البرق
وفوداك المطر ؟

مواقف وأراء



رينيه ماريا ريلكه

«١٨٧٥-١٩٢٦»

شاعـر غربى صنعـــه الشـــرق

فى الرابع من هذا الشهر ولد ، وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر مات . فليكن ما نقوله عنه هنا مقدمة تذكير بشاعر كونى عظيم غنى الحب والموت والفقر والوجود الأبقى للسر اليقينى الأكبر ، وصور الأشياء ومكنونات النفس فى عذوبة وعمق لم يبلغهما فى الشعر الرومانتيكى سوى قلة .

لم يحدث فى تاريخ الأدب الالمانى أن استقبل شاعر بمثل ما استقبل به ريلكه من تهليل وعدم فهم فى ذات الوقت . فقد اتهم ، ومازال ، بانه منعزل جمالياً ، وغريب فى اشاراته وخلقه الشعرى . وفسر ذلك لكونه ولد فى عزلة ثقافية ألمانية فى مدينة براغ .

ولم يتخلص سوى عدد قليل من النقاد من حرج الاشارة الى أنه وهو الكاثوليكى قد تاثر بعمق بالمفاهيم والصور الشرقية وهو يبنى عالمه الشعرى الأكثر نضجاً ، وان محركه الفكرى الأكبر هو الاسلام وشخصية وحيوية عالمه ورسوله

لقد حرص النقد الغربى ـ وشايعه العربى فى ذلك ـ على ابراز أشعار جوته الشرقية الغربية ، واشاراته الى الاسلام ، كما حرص على تاثر كثيرين غير جوته بأجواء الخيال الشرقى كما تعرف عليه الغرب فى «ألف ليلة وليلة» . ولكن ريلكه انتقل من عتبة ولوج عالم الشرق بالنسبة للغرب ـ ألف ليلة وليلة ـ التى كان قد قرأها عام ١٩٠٦ ـ الى الاهتمام العميق بالفكرة الاسلامية فى جذورها . ويرجع ذلك الاهتمام الى واحدة من أروع قصائده وهى «رسالة محمد» التى كتبها عام ١٩٠٧ .. معبراً فيها عن اعجابه بالأسلوب البسيط المباشر الذى تميز به مفهوم الدعوة الاسلامية ـ وهو يؤكد ذلك فى رسائله التى بعث بها من قرطبة فيما بعد .

من ثمة يمكننا القول أن عمق اهتمام ريلكه بالعالم العربى ، عالم محمد الرسول الكريم ، هو الذى شده أكثر الى عالم ألف ليلة وليلة وسحر فارس بكل رتوش صورته المثالية فى المانيا ، والذى انعكس فى مجموعة سوناتات الى اورفيوس ..

تميزت حياة ريلكه القصيرة بكثرة أسفاره ورحلاته . ولعل رحلته الى روسيا فى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث التقى بتولستوى وعدد كبير من خيرة أدباء وفنانى ذلك البلد ، هى أعمق تجربة مر بها ، إذ تركت عنده شعوراً قوياً بأنها أرض الصابرين القانتين المتواضعين ، لأن شعارها لم يكن مثل شعار الألمان (الموت أفضل من العبودية) ، وإنما (العبودية خير من الخطيئة) .. وبذا كانت تجربة عمقت فيه أفكار الأخاء والورع الشرقى ، ودفعته الى محاولة تقمص راهب شرقى تدور أفكاره وأغانيه وصلواته حول الله . وقد سجل كل ذلك فى «كتاب الساعات» (١٨٩٩ ـ ١٩٠٣) . ويحس المرء فى تلك الأشعار بأنه أمام صوفى استشعر وخبر الوجود المطلق لله . وهذا التوحيد ـ والاحساس بوحدة الوجود ـ هو الذى جعله يفطن الى التفكير المحمدى لكن هذا التفكير الاسلامى ضمنى فى هذه الأشعار ، وليس واضحاً كما فى أشعاره بعد عام ١٩٢٠ . حيث صار عنده بمثابة شعور أصيل وخصوصى تبلورت به نزعته الدينية .

بعد هذه التجربة الشرقية القوية والغائمة فى نفس الوقت مر ريلكه بتجارب غربية مختلفة ، لعل أهمها وأقواها إقامته فى باريس واتصاله العميق بالمثال الفرنسى رودان ، واطلاعه على وجودية كير كجارد وفكرة الموت عنده . وكان ريلكه قبل علاقته برودان يحلم بلحظات الالهام حيث يهبط عليه الوحى فيخلق . ولكنه بعد رودان صار ينحت الأشياء يستلهمها الجمال والحركة .

ولئن كان ريلكه فى «كتاب الساعات» قد عرف السكينة وصفاء النفس العابدة بانسحاب شبه كامل عن الحياة فى أديرة الرهبان فى روسيا ، وتشبع بأفكار كير كجارد عن الموت فهو قد استيقظ على تنوع الحياة وروعة التاريخ حين زار شمال افريقيا المسلم ومصر واسبانيا ـ الأندلس

وفى مدينة قيروان تكشفت له عظمة الاسلام وعصريته فى آن واحد .. فقال : «ان المرء يحس هنا بروعة ما فى هذا الدين من بساطة وحيوية وكأنما النبى (ص) كان هنا بالأمس .. وهذه المدينة مملكته . أما زيارته لجامع قرطبة بالأندلس فقد باتت واحدة من أكبر انطباعاته ، كما تدل رسالة ضافية بعث بها عام ١٩١٢ الى أحد أصدقائه . وقد ثارت نفسه واشتد غضبه لمرأى هذا الجامع العظيم بعد أن حول بناؤه الى كنيسة . ومرة أخرى فتنه فى الاسلام استقامته واتجاهه المباشر ، كما كان قد افتتن به فى قيروان .. وذلك على العكس من الورع السطحى الذى رآه فى اسبانيا وظل ينفره ـ وهو الكاثوليكى ـ من المسيحية . وفى ذلك يقول : «منذ قرطبة غمرنى شعور حاد ضد المسيحية . وإنى لأقرأ القرآن ، فيصبح صوتى فى بعض مقاطعه حين يتملك على كافة أحاسيسى وقواى كالريح فى الأرغل . وقد كان محمد (ص) فى كل الظروف أقرب الناس الي .. كنهر عبر جبالا وعرة يتخذ طريقه الى الله الواحد الأحد ..

إن الاشارات المتكررة فى رسائل ريلكه الى أصدقائه الى الاسلام ، ورسوله ، والى ما أحرزه من تقدم سريع فى قراءة العربية ، والشعر العربى ، ومحاولاته ترجمة بعض المقطوعات ونقده لما ترجم من مقطوعات ، كل ذلك لا يمكن إلا استثماره كدليل على حرصه على توجيه خلصائه الى أخذ تجربته الشرقية بعين الاعتبار الكامل فيما هم ينظرون فى أعماله الشعرية .. وخاصة تلك التى كتبها بعد ١٩١٢ كمراثى دوينو وسوناتات الى أورفيوس .. وربما استطاع النقاد ، إن جعلوا هذا مدخلهم الى نقد وتقويم أشعاره ، أن يتفهموا المعنى العميق لعزلته الثقافية وأغراب اشاراته ومعانيه فى إطار المألوف الغربى .

الصـــدق والبســاطة والأصـالـــة

فى معرض الفنـــان محـــمد على عبـــدالله

إنه أحد البراعم المتفتحة فى خمائل الفن التشكيلى القطرى الحديث ...

محمد علي عبد الله .. فنان يترك بصماته الابداعية على الطابع المحلى والتراث والقيم البيئية بصدق وانفعال !

يستحث الخطى نحو أسلوب مميز يحاول اكتسابه من منطلق واقعه الخليجى ، ويجاهد لصقل موهبته واستعدادته بالعلم والدراسة الأكاديمية الواعية ، لم تبهره أضواء (التحديث) تمسحاً فى أساليب المذاهب والمتاهات المعاصرة التى تعبث باسم الفن فى عالم اليوم ، وتجعل من هياكل البناء الشكلى – دون الغايات والأهداف – جوهر قضية الابداع المعاصر .

عرف الشاب الفنان قدر نفسه ، وقيمة إشعاعاته التراثية ، وغاص فى أعماق واقعه البيئى الأصيل ، وجسد المنظورات فى غير شطط أو تعالي ، وبغير (تطاول) على عقلية مواطنيه الذين يربطه وإياهم هذا الواقع المحلى بكل تقاليده وعاداته الضاربة فى أعماق التاريخ ، فبينما يرى أقرانه من ذوى المواهب يتطلعون بأقصى سرعة الى الشهرة والتألق ، غير عابئين بالتريث والجدية فى بناء شخصيتهم الفنية وترسيخ القيم التراثية فى وجدانهم ، يرنو فناننا الى واقع أمته مستلهماً من أصالتها ملامح رسالته الفنية بوجه عام ، لذلك فقد حدد منهجه ليخوض التجربة مؤهلا بالعلم والممارسة بوعى وتمهل دون خشية الزلل فى خضم التيارات والمتاهات الفنية الحديثة . تلك التيارات اللاهثة المتصارعة التى سادت مجتمع الغرب الصناعى منذ أواخر القرن الماضى وازدادت حدة فى الثلث الأول من هذا القرن العشرين بما يشبه المعارك المحتدمة فى نفوس مجتمع يهرب من واقعه بدافع العقد النفسية والتراكمات المأساوية التى خلقتها له الحروب والويلات وإشاعة (الايدلوجيات) والنظريات الفلسفية الجامحة !

التعبير الهادىء

لذلك رأينا محمد علي – وهو فى مطلع حياته الفنية – ينفعل دون افتعال ويخرج فنه كتعبير تلقائى من خلال نظرته الصادقة للمحسوسات البيئية من حوله ، ويجسدها بأساليب واقعية فى مجملها تحركها العاطفة والتلقائية دون أن يخضع لسيطرة العقل الباطن أو الأحلام المعلقة فى عالم التعالي والخيال أو أجواء الذاتية والأنانية ! ولذلك كان أسلوب الفنان هادئاً ومنطقياً مع سلوكه ومنهجه .

ومما لا شك فيه أن هذا النوع من النتاج الابداعى يعتمد على المهارة فى الصياغة والتجسيد من هذه المرئيات المباشرة ، كما هو مرحلى بكل المقاييس ، فلكل مرحلة طابعها الادراكى ، ولكل تجربة يعيشها الفنان عطاؤها ومذاقها الخاص ، وقد يصل – تبعاً لاستمرارية الدراسة والثقافة والممارسة ومناهل المعرفة – الى مراحل أخرى بمزيد من النضوج ، ولكنها رهن بتحول ذاتى من داخل أعماقه دون افتعال أو محاكاة للآخرين . وهنا يكون العطاء صادقاً مهما كانت صورته ، ومهما تعددت طرق الأداء والمعالجة ... وتلك هى قضية الفن فى كل زمان ومكان !

الحديث والقديم

ويخطىء من يتصور أن أسلوب الأداء أو (التكنيك) هو الذى يحدد قيمة العمل الفنى وانتمائه الى المذاهب الحديثة أو القديمة : فالحداثة فى الفن تنطلق من رؤية الفنان ذاته الى ما هو كائن ، والمطلوب منه أن يعبر عن المرئيات والمحسوسات من خلال بصيرته لا من خلال بصره المجرد ، وأن يكون هذا التعبير عن الأشياء صادقاً وتلقائياً وكأنه يراها لأول مرة فى حياته . ومن هذا المنطلق تتوقف قيمة عمله على نظرته ومدى تفاعله وانفعاله بمدى ما يحس من خلالها .

ولسنا بحاجة الى أن نذكر أن الرسوم التى نقشها الانسان البدائى منذ أكثر من عشرين ألف سنة على جدران كهوف (لاسكو) بجنوب فرنسا مثلا تعتبر فناً حديثاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وفى نفس الوقت ، فان الآلاف من شباب الفنون المعاصرين من الذين يجرون وراء الأساليب التجريدية والسيريالية ، ويقلدونها تقليداً أعمى تمسحاً فى ركب المعاصرة والحداثة ، دون اقتناع أو ثقافة عميقة أو إضافة ذاتية ، لا شك أن عملهم فى هذه الحالة يعتبر فناً (قديماً) ولا يمت للحداثة بصلة !

وعلى ذلك ، فعامل الزمن فى القدم أو الحداثة لا ينطبق على حركة الابداع . وهذه قضية تشغل بال شباب الفنون اليوم ، ونجد أنهم ضائعون بين (التخلف) أو الجرى وراء ما يسمى بالفن الحديث ! ومن الغريب أن كثيراً من الأفكار الساذجة تسيطر على الكثيرين منهم ، بحيث صارت متاهات التجريد المعاصر هى الفن ... ولا شىء غيرها !

ولذلك ، نستطيع بكل تجرد أن نضع فناننا القطرى محمد علي فى مكان الفنان الصادق

فى معرضه الخاص الذى أقيم فى الدوحة (من ٧ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٨٠) نقرأ فى تقدمته لهذا المعرض كلماته التى تتسم بالواقعية والبساطة :

«إن نافذتى على العالم هى عينى ، ومن خلالهما تنعكس البيئة والتراث على عواطفى وجوارحى ، ولأن لكل فعل رد فعل فلابد لهذا الانعكاس من رد فعل ، يراه المشاهد فى هذه اللوحات ، واننا فى حاجة الى بعض التأمل فيها حتى نستشف من هذا الكل المعقد بعض القيم الانسانية التى ظلت تتوارث قرونا طويلة ... لتكرر فى حياة الانسان مع تعاقب الأجيال ... وحتى اليوم !»

لم (يتفلسف) الفنان ويقودنا الى سفسطة لفظية ليقول مثلا : (إننى أعبر عن عالم الحس اللامنظور ذى الأبعاد الغيبية) ، أو (أجسد واقع المفاهيم العقلانية فيما وراء الطبيعة أو ما وراء الحياة اللانهائية) أو (أسبح بفنى فى أطياف الذاتية واللاشعورية ...) الى آخر هذه الكلمات المبتذلة التى مللناها ومججناها ، وأصبحت لا تعنى إلا مزايدات ساذجة فيها من الاستخفاف بعقول الناس أكثر مما فيها من الصدق والجدية ، بل إن بعضها أو كثيراً منها ليس فيه جدية على الاطلاق !

وندخل المعرض لنرى أنه مرآة مصقولة تعكس اجتهادات الفنان الشاب كما تعكس خلقه كذلك . وأقول للذين لا يعرفون محمد علي عن قرب ، إنه شاب وسيم مهذب دمث الأخلاق ، يكاد يذوب رقة وأدباً وتواضعاً !

وجاءت لوحاته تحمل كل هذه الصفات .

لقد احتضن سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام هذه المواهب المتفتحة وتعهدها بالعناية والرعاية ، وكان فناننا محمد علي ضمن هذه البراعم الصاعدة . وأخلص ناصر العثمان ـ مديرادارة الثقافة والفنون ـ فى تكوين شخصيته الفنية وأغدق عليه فى التوجيه والتشجيع سواء فى الدوحة أو فى العاصمة البريطانية حيث يتلقى الفنان دراسته الأكاديمية ، وهنا يأتى دور القائد ذى الوعى الفكرى الثاقب من موقع المسئولية الفنية ، وهذا ما يتمتع به ناصر العثمان من سعة فى الأفق الثقافى وإدراك فى الاحساس بالتذوق الفنى بوجه خاص ، وهذا ما جعل من الفنون التشكيلية أبرز سمات النهضة الفكرية القطرية ، ولذلك ـ وعرفاناً منه بالجميل نحو ادارة الثقافة والفنون ـ أقام محمد علي هذا المعرض ، وهو بصدد سفره لأستئناف دراسته الفنية العالية . والأمل معقود عليه وعلى زملائه من الذين سبقوه فى الخارج ، لأن يكونوا رعيل الرواد للمسيرة الفنية القطرية الحديثة .



عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام .



ناصر العثمان مدير ادارة الثقافة .



الفنان محمد علي .





الطابع والمعالجة

تفاوتت معالجة الفنان (التكنيكية) بين الالوان الزيتية والمائية وألوان الباستيل ، واتسم أسلوبه بالواقعية المتحررة التى هى خلط بين الطبيعية والتأثيرية فى بعض جوانبها ، والرمزية فى تأكيد الوحدات فى بعض أجزاء لوحاته الأخرى . ولم يلجأ الى (التنعيم) أو التسطيح الأملس ، ولكن لمساته كانت حرة جريئة كتعبير مباشر دون تكلف ، أو افتعال أو الوقوع فى شرك الابهارات الشكلية للمرئيات الجمالية .

والتجريد اللونى هنا فى بعض الجزئيات ضرورة لجأ اليها الفنان لابراز الكتل وتأكيد الموضوع الشعبى الذى يرمى اليه . وبجنوحه الى هذه المعالجات الحديثة داخل إطار الشكل العام ، نأى بلوحاته عن (الفوتغرافية) أو الحرفية التقليدية التى لا تعنى إلا بالبصريات الشكلية دون المضمون .

ونراه فى بعض المناظر البيئية يلجأ الى التعبير السريع (الاسكتش) ليحتوى مضموناتها مباشرة وباقل رتابة ممكنة ولذلك جاءت فى معظمها ساخنة ذات تأثير عاطفى فورى ، وهذه علامة مميزة لأسلوبه الدافىء الحى .

وإن كانت قيود النسب والمنظور قد أفلتت فى بعض أجزاء نادرة ، إلا أن هذا لا يعنى شيئا ذا أثر بالنسبة الى تعبيراته الحركية النابضة .

ومن المعروف أن الألوان المائية هى أصعب أدوات التعبير وأكثرها حساسية وفورية فى مجال الرسم . ولكن محمد على ، طرق هذا المجال بشكل جيد ، ولا شك أن دراساته القادمة ستصقل أسلوبه الى درجة أكثر كفاءة واقتداراً .

أما أعمال الفنان بألوان الباستيل – وهو فن له أصوله وقواعده وجمعياته المزدهرة فى عالم الابداع – فقد عرض منها ثلاث لوحات هى : طبيعة صامتة – بائس – الافطار . وهى فى مجملها ذات تأثير تلقائى مباشر من الطبيعة ، نفذت بتحرر وحيوية جعلتها فى مصاف أحسن لوحاته المعروضة .

واذا كانت ست وثلاثون لوحة هى مكونات المعرض (ثلاث منها بالباستيل وسبع بالألوان المائية وباقى اللوحات بالالوان الزيتية) فانها تمثل خواطره وافعالاته دون أى مغالاة أو افتعال ..

وهى فى الوقت نفسه تعبير عن صدق الفنان مع نفسه ومع بيئته ومع مواطنيه ، فقد خاطبهم بلغتهم الشعبية البسيطة ... العميقة الأصيلة .. وهى سمات التقليد العربية ذاتها فى بساطتها وعمقها وأصالتها !

جمال قطب



اشراف خديجة الصدر



كيف تنعم ببهجة الحياة ؟

يبدو أن أسلوب الحياة العصرية ليس هو أفضل ما يوفر لنا عافية الذهن والبدن ، لأن أنماط الحياة المعاصرة حافلة بما يورث النفس كدراً ، ويسبب لنا الاجهاد الحاد .. ويحفزنا على الاكثار من الأطعمة التى أفقدت عناصرها الغذائية بفضل طرق اعدادها ، كما أننا نميل بحكم بيئة العمل والمهن الى عدم مزاولة الرياضة بشكل كاف .

وبالرغم من أن الحياة قد أصبحت أكثر سهولة وإمتاعاً من أى وقت مضى ، فان ذلك لا يعنى تلقائياً إطالة العمر ، بل ان الملاحظ أن أجسامنا آخذة فى التدهور السريع بفضل هذه الفوائد نفسها .. مما يفرض على كل واحد منا أن يراجع أسلوب حياته .

ولقد قصدنا بهذه المقالات التى سنوالى نشرها بانتظام أن نساعد على تحسين نوعية حياة كل فرد منا لينعم بعافية النفس والجسم . وهى موجهة لمن يعانى من مرض مزمن مثلما هى لخدمة الانسان العادى أو الرياضى الممتاز ، أو ذاك الذى تقدم به العمر .

وهى لم تقتصر على التغذية أو اللياقة البدنية فحسب ، بل انها تبصرنا بالكيفية التى يعمل بها جسمنا ، وأجهزته المختلفة ، وذهننا وأغواره القصية ، وما يمكن أن ينتفع به الجسم والعقل ، وما يصيبهما من أضرار إن جانبنا التوفيق فى حسن استخدامهما .

أخطار الحياة العصرية

قلنا إن أسلوب الحياة فى هذا العصر غير صحى لأنه يسبب الاجهاد النفسى والذهنى ، ولأننا نميل الى الاكثار من الأكل ، وخاصة الأطعمة التى تتم تنقيتها قبل أو أثناء عملية تجهيزها ، وتفقد بذلك كثيراً من موادها الغذائية ، كما اننا نقعد عن الرياضة .

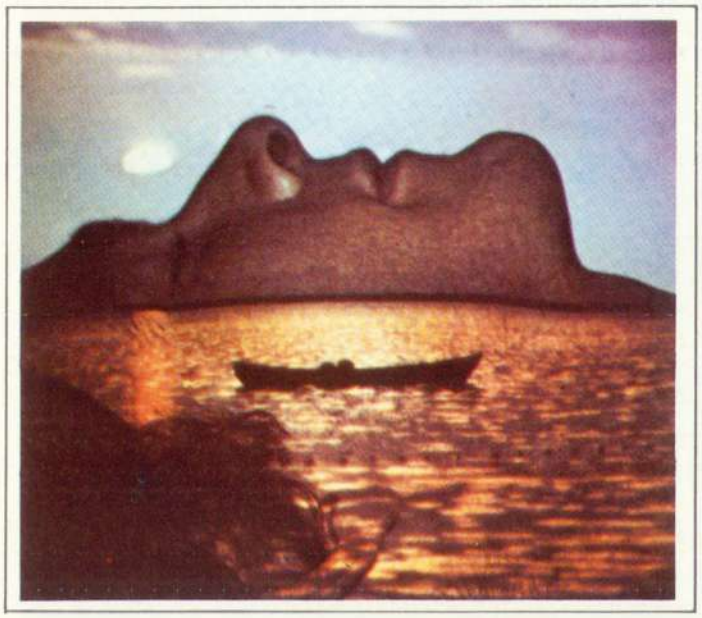
ولهذه العوامل الثلاثة فان ثلث الوفيات فى الولايات المتحدة هو بسبب التجلط وانسداد الشرايين . ولم يعد ذلك وقفاً على أمريكا وحدها ، إذ أن العالم يسرع فى اللحاق بها .

إن طول العمر يتبع كنتيجة حتمية لحسن العيش ، ولذا فان هذه المقالات تعنى بنوعية الحياة وأسلوبها ، ولأن الاحصائيات تطالع الناس بانهم أصبحوا يتمتعون بالعمر الطويل ، فان بعضنا قد يعتبر أمراض المدنية أسطورة لا مادة لها . ولكن الحقيقة هى أن تلك الأمراض العصرية المدنية هى واقع .. وآخذة فى الازدياد . وكان من الممكن لنا أن نعيش أطول لولا الأكل غير الصحى وركوننا الى المهن التى لا تستوجب الحركة ، وعدم خروجنا للتريض بانتظام .

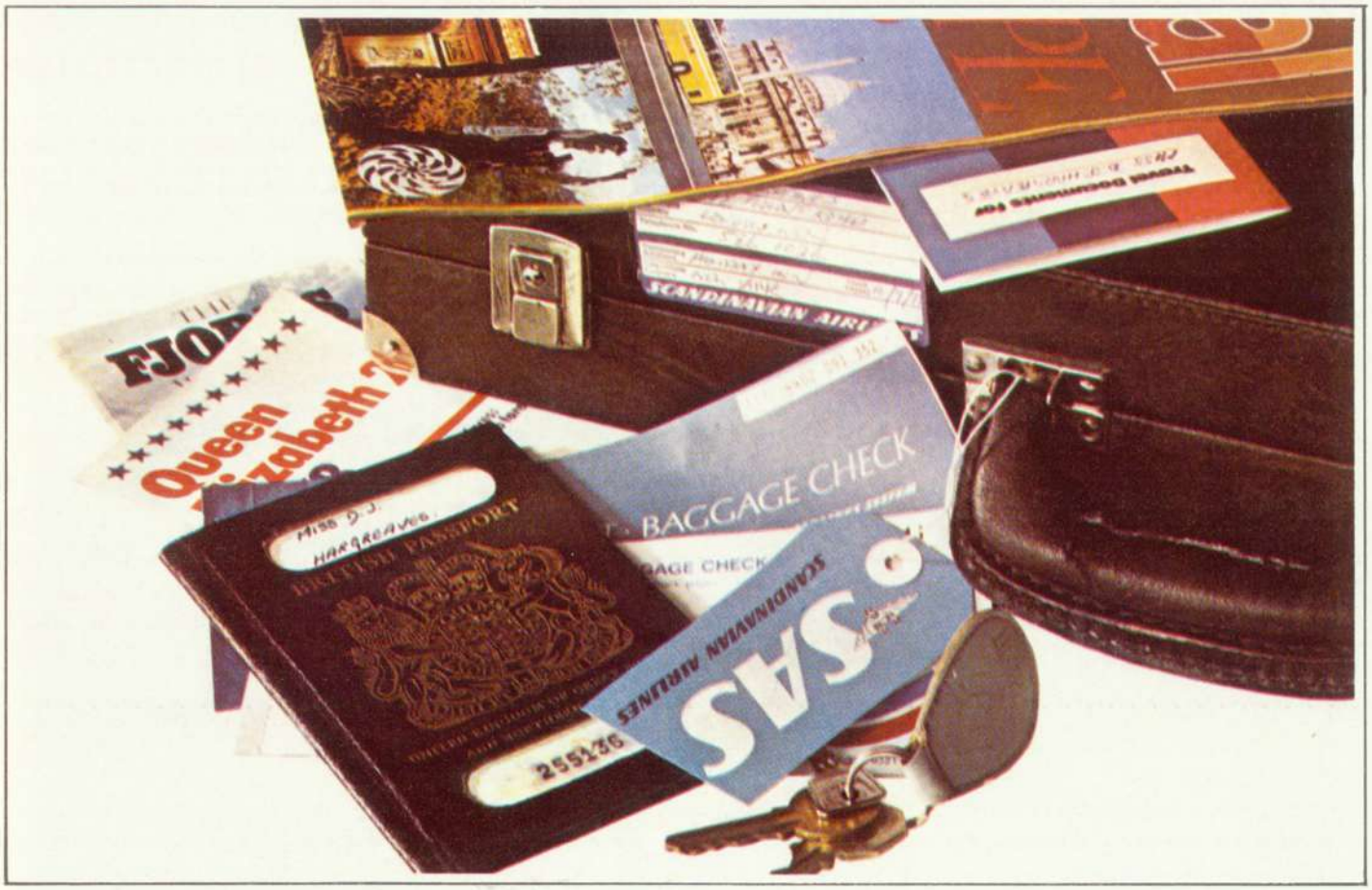
لقد تمكن الانسان من التخلص من أمراض كثيرة كانت تفتك بنا قبل عشرين عاماً . وبفضل براعة الجراحة الحديثة والعقاقير الطبية وغيرها يستطيع الطب اليوم أن يعالج كل الأمراض المعروفة تقريباً . وقد تطور الطب بشكل رائع يبشر بامكانية توقع العيش لعمر طويل بالرغم من عاداتنا غير الصحية .

إن همنا الأساسى هو نوعية الحياة . فالمدنية لن تزول .. ومن ثمة لابد من معالجة أخطارها على صحتنا الذهنية والنفسية والجسدية فى عصر ورثنا فيه الصواريخ الموجهة والغواصات الذرية والكونكورد والتضخم العالمى ..







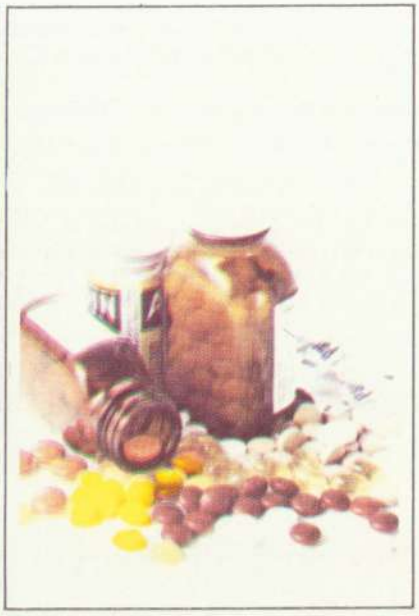


والبطالة والضوضاء وتلوث البيئة ، وإزدحام الشوارع بالحركة ، وناطحات السحاب والارهاب الدولى المتطرف .

ولا فرار لنا مما تحقق إنجازه فى عالم اليوم . فهل نطلب المزيد من المدنية ؟ ربما وجب علينا أن نحسن الاستماع الى دعاة المحافظة على البيئة .. فالفوائد التى نجنيها من المدنية قد تلازمها سلبيات ترجح الخسران على الفائدة .

لقد أصبح ساسة الدول أكثر برغماتية فى تعاملهم مع الأمور ، وهم يهتمون عادة بما هو قصير أجل . لذا يقع علينا كأفراد واجب الانتباه لما يمكن أن يكون ضاراً من مستحدثات المدنية .. وأن نرفع صوت الاحتجاج .. كل حسب ما





لا غبار على الأشياء
التى تجعل حياتنا النزلية أكثر راحة
وتبعد بعض الملل من حياتنا



يمليه ضميره .

إن حياة الدعة ليست شرا فى ذاتها . فاذاتوفرت لنا فرصة استخدام التكنولوجيا الحديثة فالأجدر بنا ألا نحجم عن ذلك . هناك مثلا زراعة الشعر لمن يعيبه صلعه . ولا ضير فى الاستفادة من قدرات جراح قدير . وهناك طب الأسنان الحديث لمن يريد تغيير شكل وجهه . لكن ذلك ينبغى ألا يعمينا عن البحث عن سبب المرض .. وهو سوء التغذية . ليقم جراح الأسنان باصلاح التلف ، ولكن علينا أن نوفر مالنا ووقتنا بالابتعاد عن تناول السكر .

وهناك جراحة التجميل لتنقذنا من أذنى الخفاش أو تعيرنا وجها أنضر ، أو

تشد ما ترهل منا .

كل هذه الأساليب المبتدعة قيمة وذات فائدة لمن يعانون فعلا من مشكلة أو أخرى . ولكنها ليست ولا يمكن أن تكون الحل النهائى الكامل . بها نستطيع أن نعالج اعوجاجاً ما ، ولكن اللياقة المتكاملة شىء ينطق به الوجه والحركة النشطة للجسم والذهن . وهذا هو الأهم.

إن سبل المواصلات الحديثة تضع فى متناول يدنا خضروات وفاكهة طازجة من أى مكان فى العالم .. وفى ذلك فائدة لنا ، ويحسن بنا أن نقترفها . ولا غبار على الأشياء التى تجعل حياتنا المنزلية أكثر راحة ، وتبعد بعض ملل العيش .

ويفيدنا كثيراً أن نسافر ونحيا بعض الوقت فى وسط حضارى ثقافى مغاير .. لأن ذلك يوسع آفاقنا الفكرية ويزيد تفهمنا وفهمنا للعالم والانسان .

ويعنى اقتناء أسباب الراحة المنزلية الحديثة والقدرة على مشاهدة العالم النجاح المادى . فكم يكلفنا ذلك ؟ هناك اتجاه هذه الأيام بين الشباب من ذوى المهن يضع الحياة بأكملها ونوعيتها موضع تساؤل ، وينتهون الى إدارة ظهورهم للطموح ، والاكتفاء بمستوى متوسط من المسئوليات .. وبهم إحساس بان الحياة أفضل من العمل . ولكن بالانسان غريزة تدفعنا الى طلب النجاح من أجل النجاح نفسه . ولذا فان ربط الطموح بتحقيق ما ينشده المرء لنفسه أمر متروك للاختيار الشخصى ، والذى يعتمد على عوامل كثيرة . ولكن مهما تفانينا فى بلوغ قمة المهنة ، يجب علينا أن نجد الوقت لممارسة ضرب من الرياضة ، وأن نطعم الغذاء الصحيح ، وناخذ حظنا من الراحة ، لاننا دون ذلك لن نستطيع أن نحقق كل قدراتنا مهما تفانينا فى العمل ، ومهما كنا أذكياء .

كما يجب أن نتذكر دائماً أننا نختلف فى تكويننا من ناحية جينية وراثية ، وبنا إمكانيات متغايرة ، وان كل واحد منا يستطيع أن ينمى خصلة أو أخرى تبرز



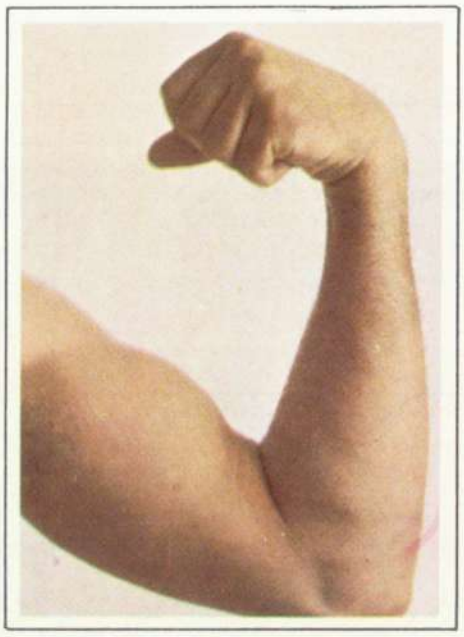




شخصيته ، وأن يتخلص من عيب به .
إن الدعوة الأساسية لهذه المقالات هى : أن نحقق امكانياتنا .

لياقتك البدنية

يفتحنا القسم الأول من هذه المقالات على الوعى بقدراتنا الجسمانية . وسترى أنه من الممكن أن تكون عالى اللياقة ان أردت ذلك . والنصح الذى نقدمه قائم على حقيقة علمية واسعة القبول ، رغم أن المعرفة البشرية لا تخلو بطبيعة الحال ، من فجوات .
لقد حقق الطب معرفة شاملة







للأمراض ، وفهم تلك التى قد تصيب وتؤثر على ٥٪ منا فى نفس الوقت . وهناك أيضاً ثروة هائلة من المعرفة المتعلقة باللياقة ، وبتطوير وتنمية الرياضى الخارق ، البطل .. الذى يقف فى جملة الـ ٥٪ على الطرف الآخر من الصورة . ولكننا نهتم فى الأساس بالـ ٩٠٪ .

وقد شق الطب الوقائى لنفسه مكاناً فى الوعى العام ، وباستحقاق كامل . إننا نريد أن نعزل أكبر قدر من الأمراض نستطيع عزله قبل أن تصيبنا ليتمكن الرجل العادى والمرأة العادية أن يتحركا الى مدارج اللياقة الخارقة اذا شعرا بميل لذلك .

هناك مجال واسع لضروب مختلفة من الرياضة تجعل من الممكن لأى واحد منا أن يبرز فى واحد منها .. والمسألة كلها متعلقة بالدافع والارادة الراغبة فى النجاح . ولسنا جميعاً نتملكنا غريزة التنافس التى تغلب على رياضيى الطراز الأول أو الميل لقضاء الساعات الطويلة كل يوم فى التمارين والتدريب . وربما كنا نفضل أن نقضى أوقاتنا فى مباهج أخرى تتيحها الحياة . ولم لا ؟ ومع ذلك فان مجرد الشعور باننا نريد ذلك هو فى حد ذاته مما يسر ويبهج .

مظهرك

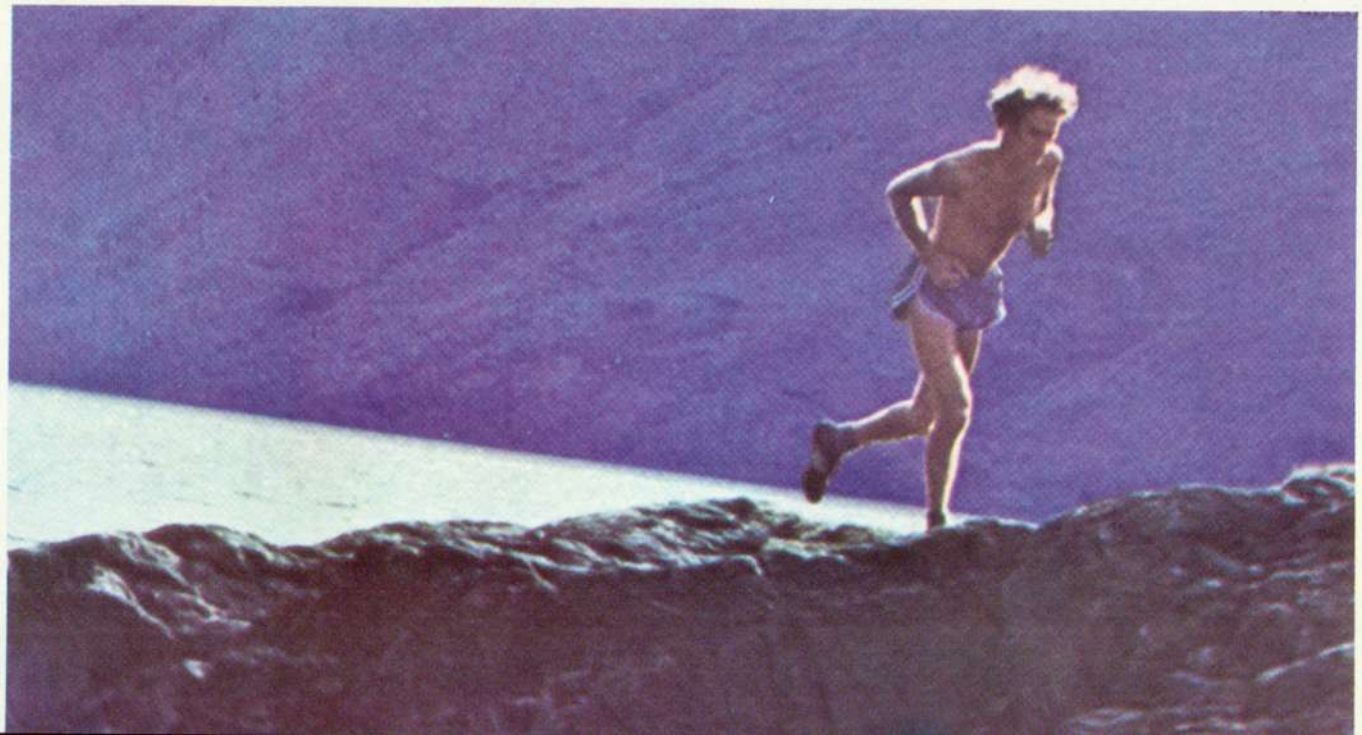
إن خروجنا بمظهر جيد يمنحنا شعوراً طيباً ، ولذا فاننا نفسح حيزاً فى هذه المقالات للبشرة والجلد والعناية بهما .. وما يمكن أن يصيبهما من أدواء . ويذكرنا الدكتور د. جون وايت الذى أعد تلك المادة أن الجلد والبشرة خليقان بالعناية لأنهما أول ما تقع العين عليه منا .

إن المستحضرات الغالية للعناية بالبشرة ليست بالضرورة أفضل ما نوفره لها . فالأهم هو اتباع الارشادات الأساسية للعناية بالجلد . وهى ليست صعبة التطبيق .

ولنذكر دائماً أن الجلد يعكس الحالة الصحية العامة ، نفسياً وبدنياً ، فاذا اعتنينا بالصحة عامة ، فان البشرة تحافظ على جمالها وصحتها .

والأسنان السليمة المعافاة مظهر آخر له أهميته الكبرى ، بل هى أكثر أهمية من





البذلة أو آخر صيحة فى الفساتين . وكما بالنسبةللبشرة ، فان الطبيب قد يساعد أحياناً فى علاج المشاكل التى تحدث رغم العناية الصحية الفائقة . ولذا تشمل هذه المقالات جزءاً خاصاً بالأسنان .. وكيفية العناية بها .. وما يمكن لطب وجراحة الأسنان أن يقوما به بسبيل تذليل مشاكلهما مهما استعصت .

لياقتك النفسية

هناك قسم خصصناه لمعالجة مشكلة العصر النفسية الأولى .. وهى الاجهاد .. والذى يمكن تعريفه ببساطة بأنه أثر سيكولوجى لسرعة الحياة ، وبذا فهو يؤثر على صحتك العامة .

ولقد كان الاجهاد على مر العصور جزءاً من حياة البشر ، لكنه اليوم يتخذ أشكالا مختلفة فأصبح مثلا ناتجاً عن الضوضاء والهموم المالية بعد أن كان قديماً مرتبطاً بالهم بالدفاع عن النفس أمام الحيوانا ت الأخرى . ولكن الأثر السيكولوجى ظل كما هو . فالشحم أو الدهن يصب فى مجرى الدم لكى يوفر مصدراً للطاقة للقلب والعضلات . ويشار الى هذه العملية بميكانيزم الهروب أو القتال . فاذا لم يستخدم ذلك الدهن بواسطة عضلات الجسم فانه يترسب فى الشرايين ، ويعوق قدرتها على حمل خلايا الدم الحمراء التى تحمل الأوكسجين . وغالباً ما يقع هذا التأثير الضار على شرايين التاج ، ومن ثمة يؤدى الى التجلط .. وهو مميت فى الغالب لأن جزءاً من القلب والعضلات يكون قد حرم من الأوكسجين نتيجة لقلة الدم السارى .

وهنا يأتى دور الرياضة .. وهى المعادل الحديث للقتال أو الهروب إذ أن الدهون الموجودة فى الدم تتحول الى طاقة ، وبذا تحول دون ترسبها فى مجرى الدم .

ماذا تأكل ؟

إن القول بأن المرء هو ما يأكله .. يطرح المسألة فى شىء من المبالغة . ولكن لا يمكننا أن ننكر أن الغذاء الصحى هو حجر الزاوية للحياة الصحية والكاملة التحقق . وسنشرح فى مكان آخر التكوين



الكيميائى البيولوجى للغذاء .

ويجب أن يكون همنا الأساسى دائماً هو الابتعاد عن الأطعمة التى تمت تنقيتها بشدة . فقد اتضح أن الأطعمة المنقحة عامل مساهم فى مرض القلب ، وذلك من دراسات حضارات أخرى . ويعود الفضل فى ذلك الى ما قام به رجلان هما دنيس بيركيث وكابتن كليف وقد لاحظا أن أمراض المدنية غير موجودة فى أجزاء كبيرة من أفريقيا البدائية .. فهى خالية من أمراض توسع الأوردة والنزيف الداخلى والزائدة الدودية وسرطان المعدة .. والقرحة . ولكن الأفارقة الذين هاجروا الى امريكا وأوروبا قد بدأوا يلتقطون هذه الأمراض

والواضح أن الغذاء هو المسئو ل الأول عن كل ذلك . فالغذاء الأفريقى هو أساساً من الغلال والحبوب غير المقشورة ، وهذه الملاحظة قد أكدتها أبحاث علمية كثيرة .

ويبدو أن الغذاء المنقى المنقح يبطىء الزمن الذى يستغرقه مرور الطعام من الفم الى أن يتم افراز بقاياه . فهو أقل من ٣٠ ساعة بالنسبة للأفريقى ، بينما هو حوالى ٨٠ ساعة بالنسبة لمن يأكل طعاماً منقحاً . وكلما كان الزمن الذى يستغرقه الطعام فى المعدة قصيراً كلما قل الامتصاص وبالتالى تقل فرص البدانة .

ويبدو أن بعض المنتجات النهاية فى عملية الهضم هى مواد محدثة للسرطان . وكلما كان الزمن الذى تلامس فيه هذه الفضلات جدران المعدة قصيراً كلما قلت فرص الاصابة بسرطان المعدة . كما أن بطء مرور الطعام يعنى زيادة الضغط فى المصارين .. مما يعوق حركة الدم فى الأوردة الدموية ويسبب توسيعها .. كما يسبب النزيف .

إن الكاربوهايدرات المنقاة ـ السكر والدقيق الطحين ـ سريعة الامتصاص . وهى تستهلك بكميات تفوق حاجتنا اليها لاستخدامها طاقة للجسم . ولذا فهى تختزن فى الجسم فى شكل شحم . أما الكاربوهايدرات غير المنقاة وفى شكل ألياف فان امتصاصها أقل ، وبالتالى تخرج بسرعة عبر الأمعاء .

وهناك عوامل غذائية أخرى مهمة . فالحيوانات العليا غير الانسان نباتية فى معظمها . وهناك دليل على أن حامض الاسكوربيك (فيتامين ج) الموجود بمقادير كبيرة فى الخضروات الطازجة والفاكهة يوفر حماية ضد البرد ونزلاته وضد الانفلونزا . لا نريدك أن تصبح نباتياً ، ولكن يجب زيادة الكميات المستهلكة من الفاكهة والخضروات ، وتقليل مدة طبخ الخضروات ، ففى ذلك فائدة غذائية ونكهة أفضل .

إن تناول الوجبات الصغيرة على دفعات كثيرة متباعدة يقلل من فرص اكتناز الجسم بالشحم والسمنة . فنحن عادة نأكل وجبة واحدة كبرى فى اليوم ، وهى عادة غير صحية ، وخاصة اذا كانت فى المساء . فالتمشى بعد الأكل ، وهو عادة غريزية عند البعض ، مفيد للغاية .

إن عادة الأكل مرة واحدة فى اليوم تفرض على الجسم أن يختزن الطعام ليستخدمه كطاقة فى وقت لاحق . ولا يمكن اختزانه إلا فى شكل شحم .. واذا رسخت هذه العادة ، فان عملية التغيير والتبديل الطبيعية تبرمج نفسها على ذلك ، مما يزيد من اكتناز الجسم بالشحم وبدانته .

وما قلناه هنا مهم جداً بالنسبة للأطفال تحت الخامسة .. وإن كانوا لا يقرأون . ولذا فان على الآباء والأمهات أن يفكروا بمستقبل أبنائهم الصحى ، وأن يعرفوا أن الطفل البدين ينمو ويبلغ ويظل محتفظاً ببدانته . فالطفل البدين الذى يزداد سمنة قبل بلوغ سن الخامسة يزيد من خلايا الشحم فى جسمه ، ويبقى العدد الكلى لخلايا الشحم فى جسمه ثابتاً بعد ذلك . وبالرغم من امكانية تقليل كمية الشحم فى كل خلية ، فان عدد خلايا الشحم نفسها لا يمكن تخفيضه .. الأمر الذى يجعل مسألة التخلص من الوزن الزائد معقدة للغاية .

الغذاء الصحى

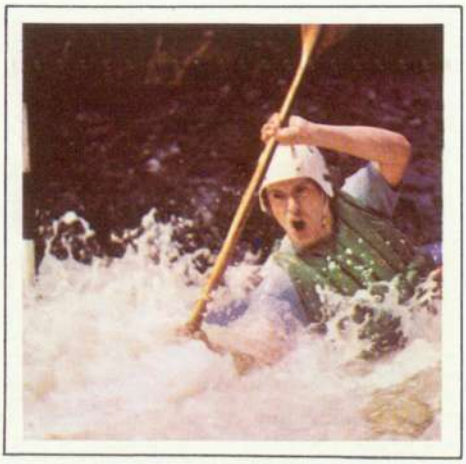
يجب أن يشتمل الغذاء الصحيح على قمح غير مقشور وغلال وخبز وفاكهة طازجة وخضروات .. وأن يخلو من الدقيق الأبيض الصافى ، ومن منتجات السكر .

إننا لكى نحصل على ملعقة شاى واحدة من السكر نحتاج الى رطلين من البنجر . والبنجر فى حد ذاته لذيذ ومغذى ، ويعطى المعدةحاجتها من السكر الذى تقدر على معالجته . ولذا ينبغى أن نحاول الكف عن تناول السكر . واذا شق ذلك علينا فلنأكل الخبز الكامل والغلال حتى يتم تحليل السكر وتخفيفه .

إن تناول السكر نوع من الادمان ، وقد درجنا على تقديمه للاطفال كرشوة ، وبذلك فاننا نغرس فيهم هذه العادة التى يصعب التخلص منها .

وهناك من يستعمل بدائل للسكر ، ولا نشجع على ذلك . فالولايات المتحدة مثلا قد حظرت استعمال بدائل السكر لأنه يخشى أن تكون محدثة لسرطان المثانة .

وأهم من ذلك كله علينا أن نحاول



الابتعاد عن الحلوى والكعك . ان علينا أن نعيد تعليم أنفسنا لتتقبل أنواعاً من الطعام صحية بشكل أفضل ، ومغذية ، وفى مصلحتنا .

هناك من يحرصون بشعور غريزى على تناول وجبة ساخنة مرة فى اليوم . ولا ضرورة لذلك ، لأن الخضروات الطازجة غير المطبوخة أفضل .

وبالاضافة الى مشكلة نوعية الغذاء فان على زائدى الوزن أن يهتموا بكمية الأكل أيضاً . وفى أغلب الأحوال يكون الكف عن تناول السكر كافياً . فاذا لم يساعدك ذلك ، تخلص من الأطعمة ذات الحراريات العالية كالبطاطا مثلا .

وتذكر إن كان وزنك زائداً أن اتباع نظام فى الأكل لأسابيع قليلة لا يكفى ، إذ يجب أن تحدث تعديلاً دائماً فى عاداتك الغذائية .

ونقترح عليك تناول الفاكهة الطازجة والصلطة ، والخبز الكامل ـ أى ذلك المصنوع من قمح غير مقشور ـ والزبادى وذلك فى الفطور ، والصلطة والخبز الكامل فى الغداء . أما العشاء فيمكن أن يكون لحماً وخضروات وصلطة إن أمكن .

ويمكن أن تكون هذه الوجبات الأساسية متنوعة بشكل كبير ، كما يمكن أن تبتدع نظاماً لغذائك على ضوء هذه النصيحة البسيطة ، مستعيناً بجدول يبين قيم المواد الحرارية .

وهناك بعض المواد التى يحجم عنها بعضنا لاعتبارات اجتماعية ، أو بسبب أوهام نسجت حولها ، نعالج منها ما يلى:

أولا : الثوم

إنه مفيد للصحة لأنه يخفض من ضغط الدم . فاذا كنت تعانى من فرط ضغط الدم ، تجاهل مسألة الرائحة ، وكل وجبات بها ثوم .. كما يفعل أهالى البحر الأبيض المتوسط . وللبصل أيضاً نفس الفائدة ، وإن كان ذلك بدرجة أقل . وكما تفيدك أية صورة لسكان البحر الأبيض المتوسط فان العافية وافرة لديهم ، وأمراض المدنية بينهم أقل مما هى عليه فى أوروبا . ولذا فان الطعام المغذى لا يعنى بالضرورة أن يكون بلا طعم .

ثانياً : إن ما يضاف الى الأطعمة المحفوظة من مواد لا تجعلها قاتلة . ورغم ما يدور من جدل حولها ، فان الأدلة على ضررها ليست مقنعة . والشك قائم .. وبالطبع ننصح بأكل المواد الطبيعية .

ثالثاً : القهوة

يقال ان القهوة تسبب أمراض الشرايين ولكن الدليل لا يقنع أحداً . فتناول فنجان قهوتك بعد الأكل إن كنت



ممن يحبون ذلك .

وأخيراً .. مسألة الكولستيرول التى أصبحت مثار جدل واسع فى الدوائر الطبية . إن الأدلة على ارتباطه بمسببات أمراض شرايين القلب ليست مقنعة وسنناقش هذا الموضوع لاحقاً .

كيف تسترخى ؟

بعد التمرين العنيف ، يأتى الاسترخاء ولكنه ليس مهماً فى ذاته ، وإنما كموقف نتخذه . ولا يعنى ذلك بالضرورة ان عليك أن تعمد الى اللعب أو الجرى كلما ثقل عليك ضغط العمل أو مشاكل العلاقات الشخصية . وبعضنا يسترخى بمجرد أن يستلقى . ولكن آخرين يمارسون ضروباً مختلفة من رياضات التأمل .. أو يذهبون الى العيادات النفسية .

إن أهمية الاسترخاء هى فى كونه أثر سلبى وكنقيض للاجهاد . ولكنه ليس ايجابياً كالتمرين . وسنخصه بقسم خاص من هذه المقالات .

وعلى العموم .. فان كل ما يجعلك سعيداً وهادىء النفس هو مفيد بالنسبة للاسترخاء . فالمجتمعات الحديثة التى خلقت الاجهاد قد وفرت له الكثير من الأمور التى تلغيه أو تخففه .. ومنها التلفزيون . وعلينا ألا نحيل ما جعل لتخليصنا من الاجهاد فى حياتنا مصدر اجهاد لنا . وتجنب اغراء الهرولة الاجتماعية وراء المكانة والصيت . كن نفسك .. وافعل كل ما يدخل عليك البهجة

الرياضة

وبعد ان حددنا نوع الغذاء الكامل وبينا قيمة الاسترخاء ، بقى لنا أن نقوم بالتريض . ومع أننا نستخدم طاقة الحراريات فى التريض ، فانه يصعب التخلص من الوزن الزائد بشكل ملحوظ بالتريض وحده . ولكن برنامجاً جيداً للتريض يساهم كثيراً فى اعادة توزيع ذلك الوزن .. ويجعلنا نحس ونشعر بشكل أفضل . وسنخص هذا الموضوع بمقالين .

إن التمارين المعقدة التى لا تغيير فيها قد تصيبنا بالملل ، وبذا نقعد عن التريض . ولهذا علينا أن نختار لعبة أو رياضة تدخل البهجة فى النفس ، وتعطى اكتفاء شخصياً واجتماعياً .

فالرياضة يجب أن تكون تسلية ومتعة .

ويفضل أن تدعم رياضتك أو لعبتك المفضلة بنوع أو آخر من التمرين كالجرى أو الركض . وبعد أن تبنى هذه العادة للتريض بانتظام ، يحسن بك أن تخرج من المدينة فى الأوقات التى يصحو الجو فيها

وقد يستدعى ذلك نوعاً من الانضباط النفسى وخاصة بعد يوم عمل شاق . ولكن الفائدة تربو كلما التزمنا . فالشعور بالاسترخاء بعد الحمام بعد التريض سحرى المتعة ، وكأن هموم اليوم كله قد غسلت .

وعليك أن تلزم الحذر اذا كنت فى بداية برنامج للياقة . لا تغالى . ابدأ فى بطء وتدرج . وان كنت ممن يعانون من مرض فى القلب ، ينبغى أن تراجع طبيبك لاجراء فحص طبى كامل قبل أن تشرع فى برنامج للياقة .

إن التمرين ضرورى جداً لمرضى القلب أنفسهم .. ولكنه يتم تحت الاشراف الطبى . وقد أصبح شيئاً روتينياً أن يقوم مرضى القلب بتمارين رياضية .. طبعاً بعد تخفيف الوزن ، وضمن رقابة طبية ونصح طبى .



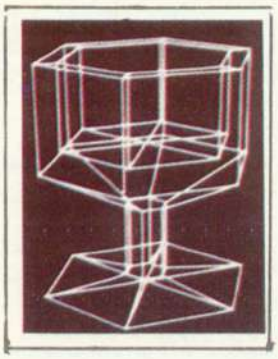
العقل الالكتروني فنانا

تذكرنا هذه اللوحات باعمال الفنانين السورياليين وتبدو وكانها تصوير للعالم والأشياء . ولكن ما هو اكثر سوريالية فى هذه اللوحات المرسامة لاشياء ساكنة هو ان الفنان الذى قام برسمها وتلوينها هو العقل الالكترونى .

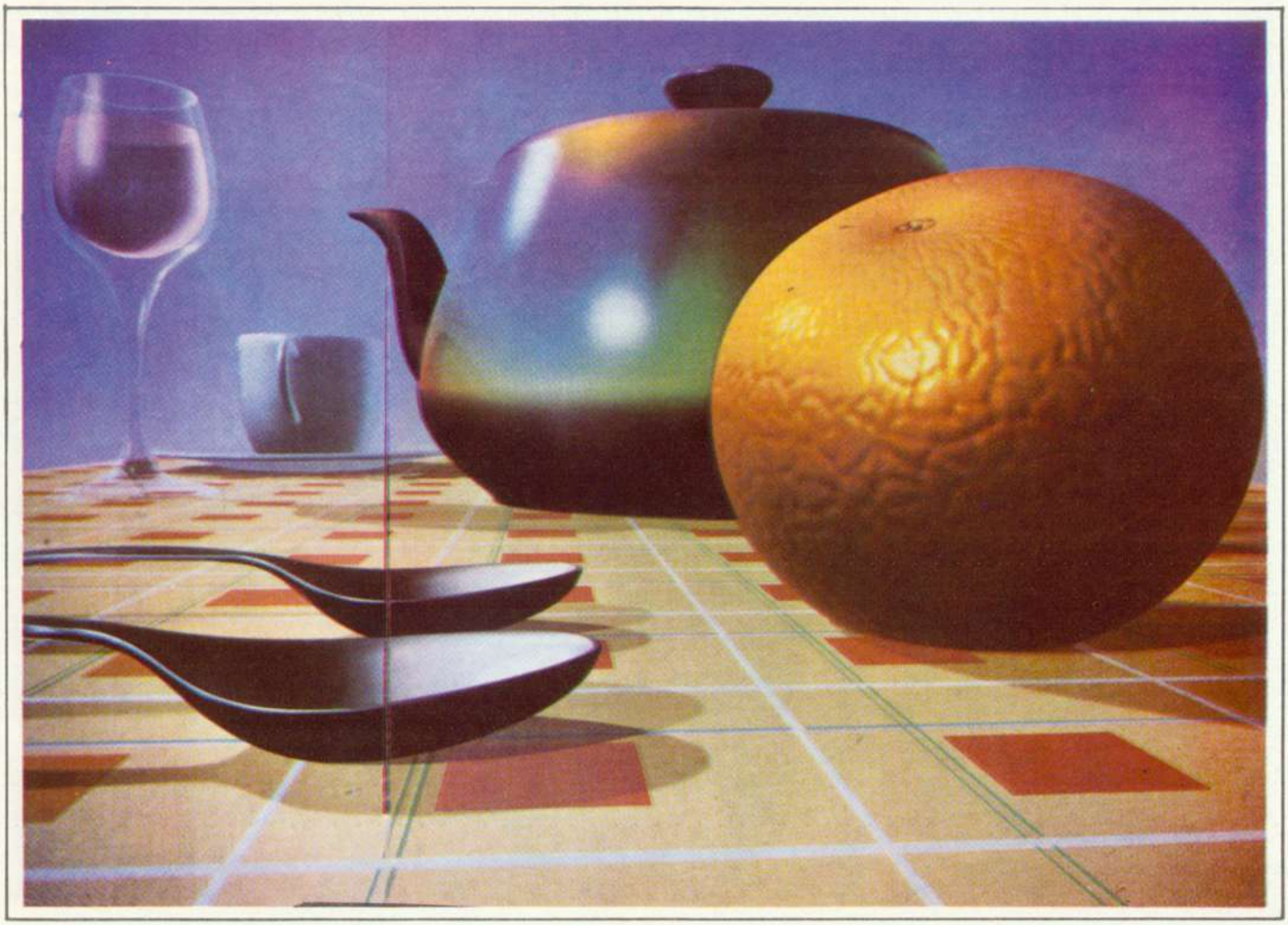
إن برمجة العقل الالكترونى لرسم اللوحات ليس بالأمر اليسير ، إذ يبدو أن هذه العقول الجبارة تميل الى الأرقام وتفضيلها على ريشة وظلال الوان بيكاسو . ويحتاج تطويعها للرسم الى ذهن رياضى خارق وعين فنان بصير .







تبين هذه الصور تطور رسم الكاس بالعقل الالكترونى . رسم أولا فى عام ١٩٦٢ (١٠٠) شكلا مضلعا فى عدد من النظائر ، ثم ازال الخطوط الخلفية فى عام ١٩٦٧ . وفى عام ١٩٦٩ قام بتلوين كل شكل مضلع حسب الضوء الذى يعكسه . ثم قام فى عام ١٩٧٥ وعلى ضوء لوغريتمات جديدة برسم الكاس سطحا مستديراً . وبعد التأمل فى تصميم رسم على لوحة الكترونية ، قام الكمبيوتر باضفاء ملمس الخزف الذى نراه فى صورة الكاس الخامسة ، والتى رسمها فى عام ١٩٨٠ .



ويطلق على رجال النهضة الفنية هذه فى دنيا العقول الالكترونية اسم التشكيليين ويقع عليهم عبء تحويل الصفات التى تجعل موضوع الرسم يبدو طبيعياً وواقعياً الى معادلات جبرية وهندسية يستطيع العقل الالكترونى ان يفهمها ويترجمها الى صور . ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلا الى تحديد الاطار الخارجى لتلك الصور ، والنقطة الأفضل لزاوية النظر اليها .. ومصدراً خيالياً للاضاءة .. ثم يقوم العقل الالكترونى بكل شىء، فيحسب درجة الكثافة ، وقيمة الألوان بالنسبة لكل واحدة من النقاط التى تملأ الشاشة والتى تربو عن مليون نقطة .

ومع ذلك .. يبقى امام هؤلاء العلماء الفنانين الكثير مما يجب تعلمه واخالته الى معادلات . لقد علموا العقول الالكترونية كيفية تقليد صفحات مواد كالخزف والمعادن . ومازالوا يحاولون تذليل مشاكل سطح مواد اخرى كالشعر والفراء والدخان لادخالها فى معادلات منتظمة .

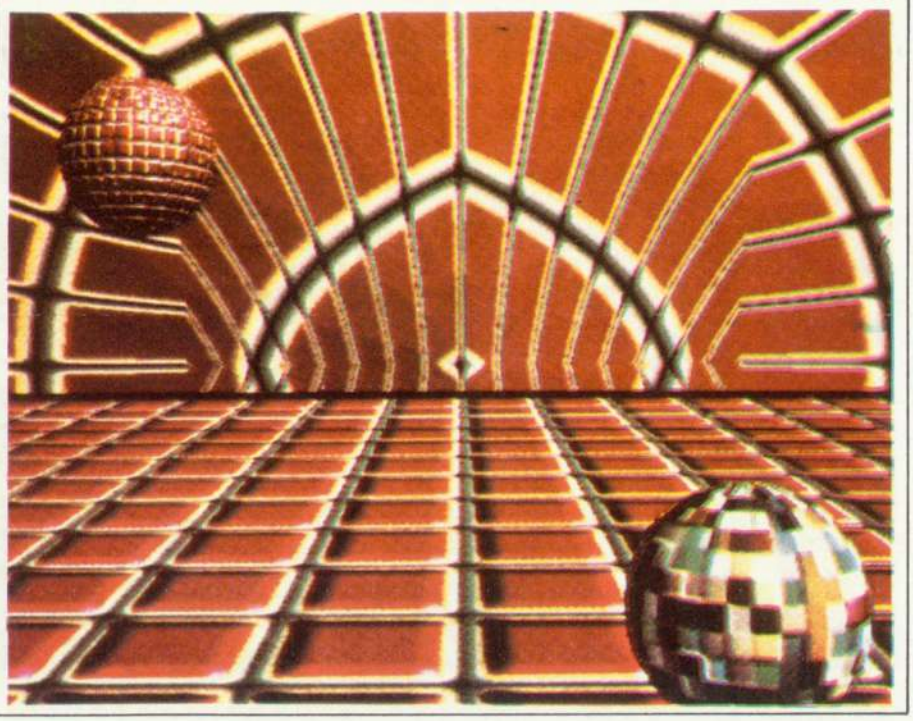
وبالرغم من الدقة الرياضية فى الاضاءة والتظليل فى اللوحات التى ترسمها العقول الالكترونية ، فان الجزء الأكبر من فن الكمبيوتر لا يعتبر فى مجال التصوير الفوتغرافى ذا نوعية مثالية فى جودته ، وربما كان ذلك لأن الكمبيوتر دقيق للغاية وحرفى اكثر مما ينبغى .

ولحل هذه المشاكل اخذ تشكيليو العقول الالكترونية يغوصون فى علم النفس وفيزيولوجية الرؤية وذلك فى محاولة للتعرف على تلك الصفات والعوامل التى تجعل الفنان المبدع عظيما ، حتى يمكن اضفاؤها على العقل الالكترونى .



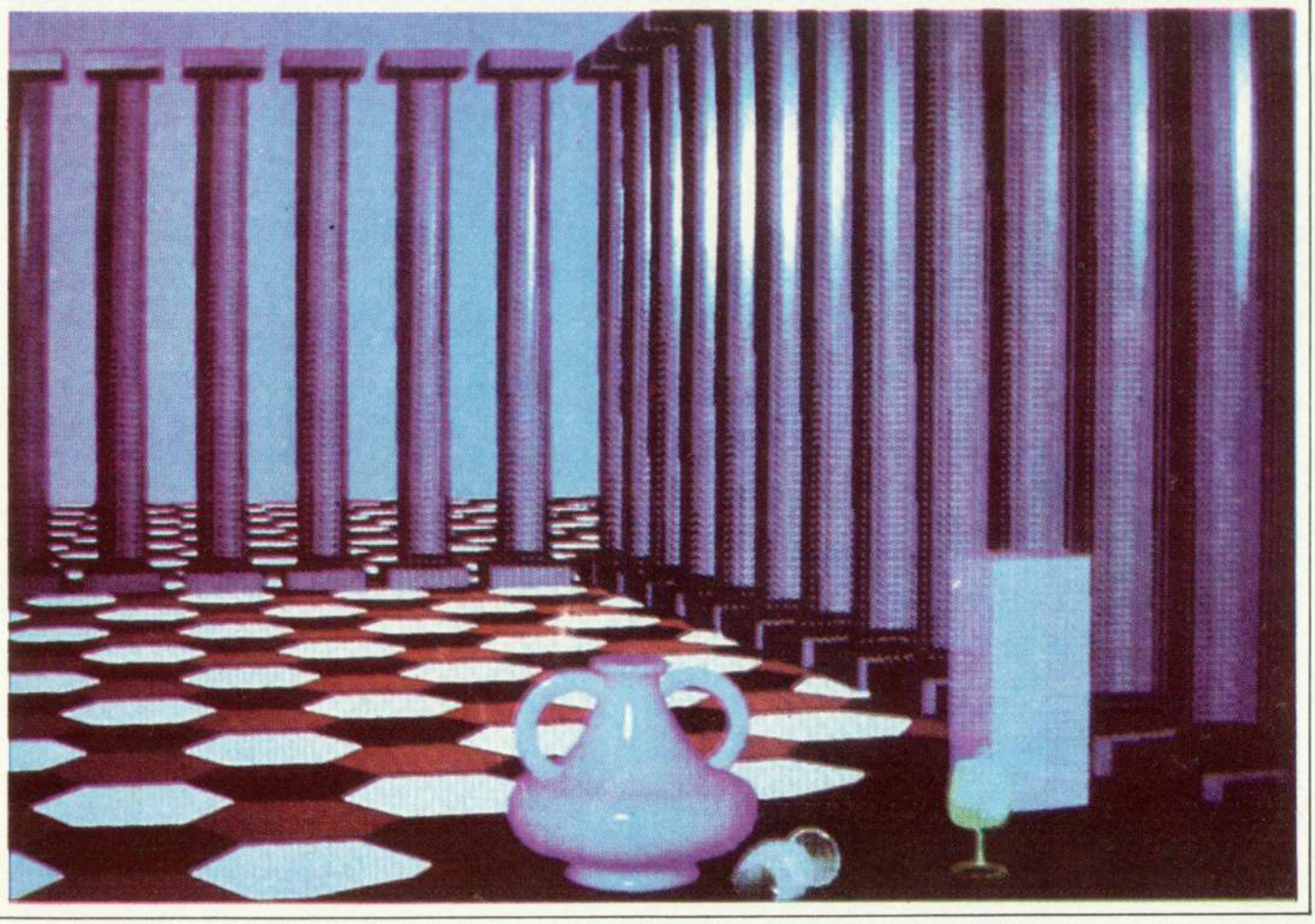
.. تتكون هذه اللوحة من ٧٢ مليون وحدة حسابية . وقد كبدت الكمبيوتر كثيراً . ولكن شركة العقول الالكترونية للمعلومات العالمية تأمل كثيراً فى اقناع صناعة السينما فى هوليود بأن الكمبيوتر يمكن ان يوفر لها المناظر الثابتة الخلفية وبشكل افضل .

هذه اللوحة من رسم فنان من لحم ودم ، وقد تعاون مع العالم جيم بلين لانتاج أشكال كروية ذات أوجه متعددة فى خلفية تذكرنا بتاج محل .



يبقى أمام العلماء الفنانين الكثير مما يجب تعلمه وإحالته إلى معادلات فى العلم والفن

اما هذا المنظر فقد صممه فرانك كراو من جامعة أوهايو ، وقصد أن يكون معقداً وهو حانق على العقل الالكترونى لأنه استغرق عشرين دقيقة فى رسمه ، ويرى أن ذلك الوقت أطول مما يشرف الكمبيوتر !

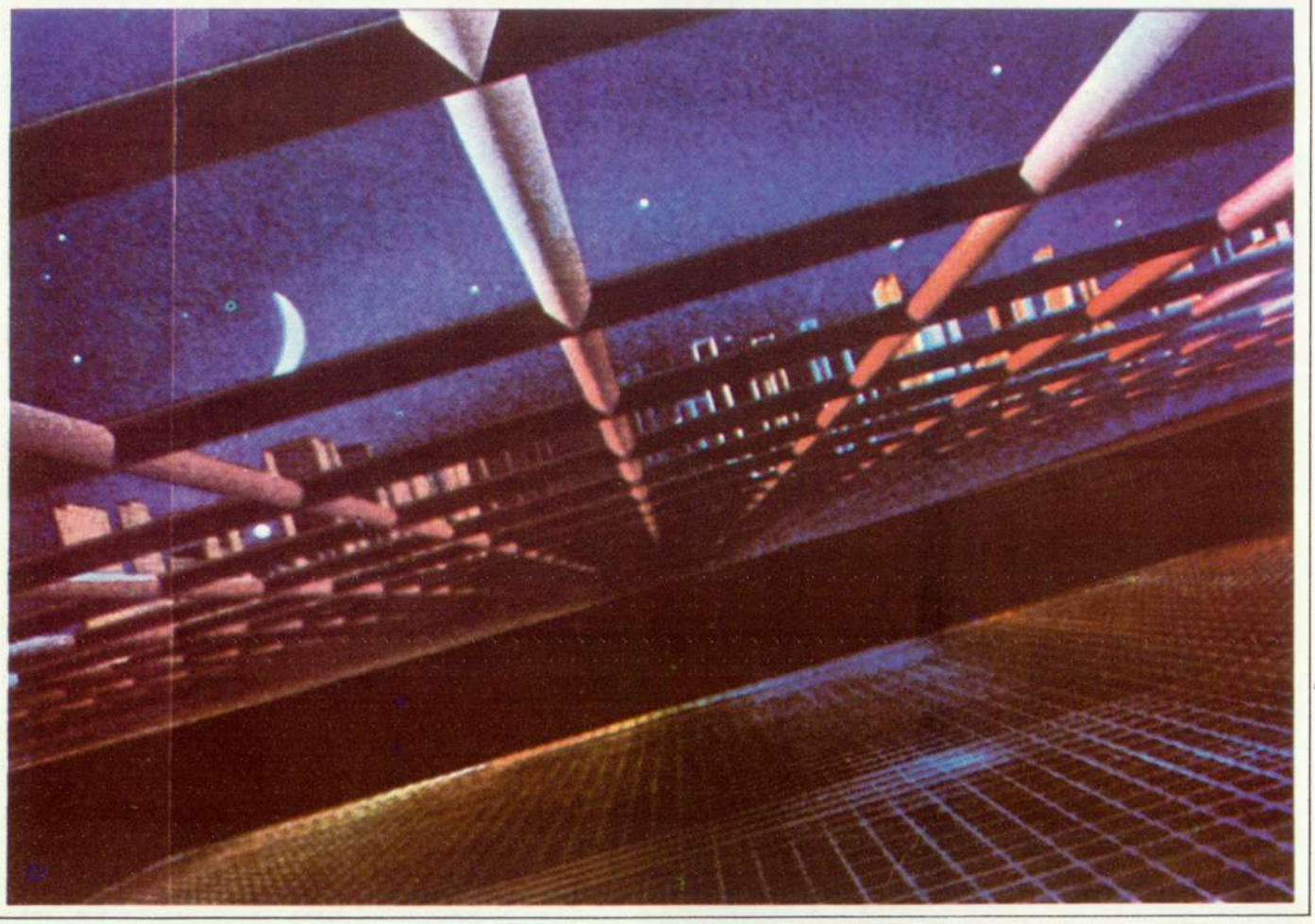


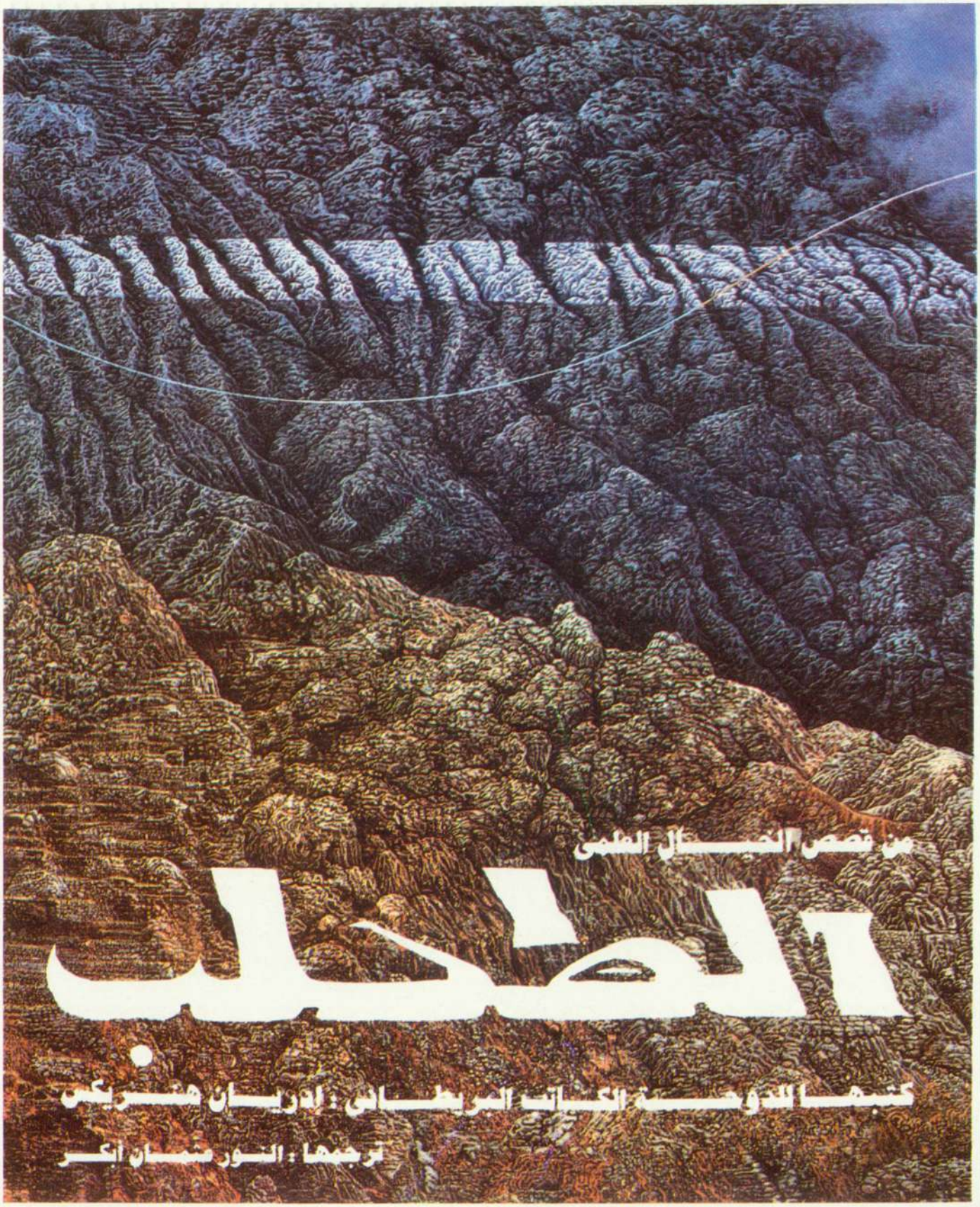


هذه اللوحة عمل مشترك بين فنان كاريكاتيرى وعقل الكترونى . فالفنان هو الذى رسم المرآة المسجاة ، ثم قام العقل الالكترونى باضافة هذا الجبار الآلي الذى يحملها بين ذراعيه .. كما انه اضاف العينين الجاحظتين فى الخلفية .

الجزء الأكبر من فن الكمبيوتر لا يعتبر فى مجال التصوير الفوتوغرافى ذا نوعية مثالية فى جودته نظراً لحرفيته

هذا تقليد لما يعرف بالمناظر الرقمية قام به العقل الالكترونى لمركز المعلومات العالمى ... وهو يصور منظراً للقمر فوق مدينة منهاتن كما يرى من قاع مجارى تصريف المياه بالمدينة .




من قصص الخيال العلمي
الصحلب
كتبها للدوحة الكاتب البريطاني : إدريان هنريكس
ترجمها : النور عثمان أكر

كان ديزموند ممتلئاً بغبطة نفسه ، سعيداً بوظيفته رغم الملل الطفيف الذى يشوبها . فكر وهو يريح قدميه فوق الكونصول أمامه بأنه لم يبق سوى ثلاثة أرباع الساعة ويخرج لتناول غدائه .. وأن الحياة سهلة ، مطواعة .. وأن المكان كان سيزدحم بالناس لولا ايقاف برنامج الفضاء . لكن احساساً خفياً بالوحدة والوحشة لم يفارقه .

ولقد أوقف برنامج الفضاء لأن أحداً لم يعد يرغب فى رحلاته . واضحت الرحلات المحدودة داخل النظام الشمسى تفرضها ضرورة صيانة المصانع الهائلة التى اقيمت فى كوكبى الزهرة والمريخ . وهى ذاتية التسيير .. لأن البشر اثروا البقاء فى الأرض . ولم يبرحونها ؟ فالكواكب الأخرى عديمة الهواء ، أو قارصة البرد ، أو ذات تضاريس خطرة على الانسان . أما السفر بين النجوم فقد اعتبر فكرة غير مجدية وعبثاً لا طائل تحته منذ أيام أينشتين .. خاصة لأنه يستغرق مئات السنوات الضوئية ، ولا قدرة لأحد للسفر بتلك السرعة .

وقد أصبح كل ما يتذكره الناس فى القرن الثانى والعشرين هو السلام . فقد عم الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى ودام مئات السنين . وصرف أهل الأرض النظر عن إشباع ذلك النهم العجيب للنمو والتوسع ، والذى كان يبهظهم بتكلف وتكبد المزيد من النمو والتوسع الذى يجرف العالم الى الفوضى . فاذا كان استكشاف الفضاء قد توقف فان ذلك قد أتاح لديزموند أن يفكر بعمله فى برنامج الفضاء كمثال يظهر حكمة الوضع القائم . وهكذا أحس براحة نفسية .. وأغفى ذهنه.

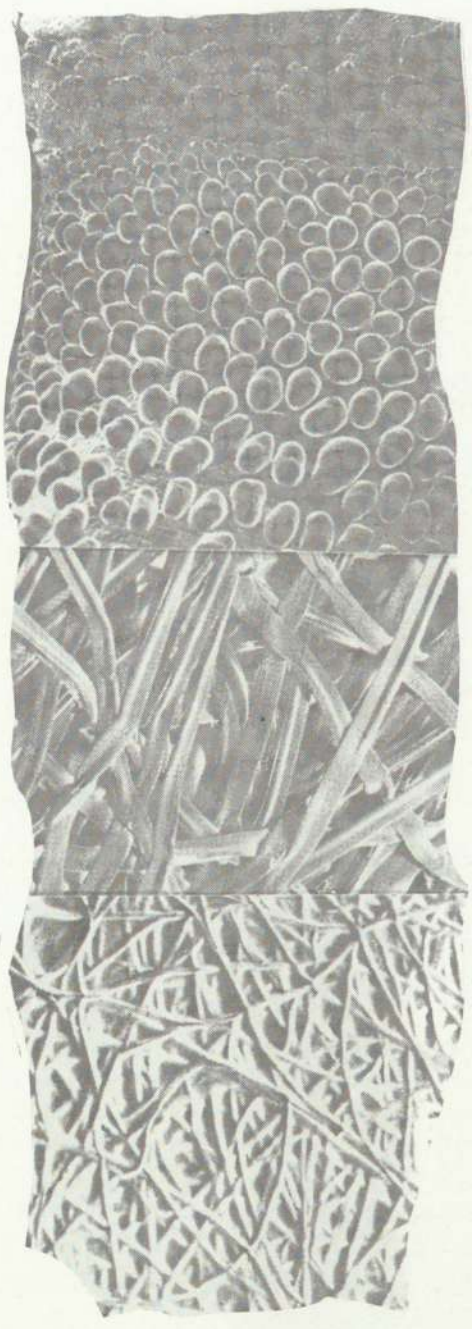
هب ديزموند من اغفاءته وفتح عينيه على الضوء الأخضر الذى أغشاهما وهو ينبعث فى تقطع . بليب !

وسارع الى مكتب رئيسه .

إنه لم يضىء مرة واحدة فى عامين قضاهما ديزموند فى وظيفته هذه . وهو لم ينبعث فى واقع الأمر مرة واحدة فى المائة عام منذ انشاء تلك الوظيفة . يا لله : هل راجع أجهزة التسجيل الاوتوماتيكية قبل أن يخرج الى مكتب لوك ، رئيسه ؟ لم يكن واثقاً .. لذا كر مندفعاً الى حجرة الكونصول . وضغط زراً .. ثم أسرع الى مكتب لوك الذى استغرب مجيئه ، ولم يجد ثمة ما يقوله

ولوك هو منسق البرنامج ، والمشرف على عشرين شخصاً يعملون تحته ، ومنهم ديزموند وهو مفعم بالاحساس بعدم كفاية ذلك العدد فحتى لو كان الفضاء غير ذى أهمية ، فذلك لا يعنى بالضرورة أنه غير مهم . وعندما دخل عليه ديزموند ، كان لوك منهمكاً فى مسائل ادارية تخص المركز . وهو يستعذب ذلك العمل لأنه يذكره بما يقع تحت سيطرته ، ويؤكدها .

أراك تستعجل الخروج لفترة الغداء قال لوك دون أن يرفع بصره عن الشاشة الصغيرة التى استعيض بها عن كل الدفاتر والملفات والأوراق فى المكتب .



لقد وقع .. لقد وقع ما كنا ننتظره قال ديزموند فى ما يشبه الهمس وهو يغالب نفسه ليحتفظ بهدوئه .

إن عمله كرئيس للعاملين فى قسم الاشارات هو أن ينظم ويراجع الأجهزة التى ترصد الفضاء لالتقاط واستقبال الاشارات التى تحمل معلومات

وقد أعدت عقول الكترونية جبارة لتقوم بفرز الأصوات العشوائية من متتاليات غير عشوائية من الطاقة . وقد عثرت الآن على اشارة .

نهض لوك ، وخطا نحو الجدار مباشرة . وقبل أن يرتطم به تحول من كتلة صماء عازلة للصوت الى فجوة وباب .. وكانت حجرة الكونصول فى الجانب الآخر . والضوء الأخضر مازال يشع ، وسيل من الورق يتدفق من الآلة الطابعة بالعقل الالكترونى . فانقض لوك عليها ، ودقق النظر فيها بينما ظل ديزموند يتقافز محاولا أن يسترق النظر اليها من فوق كتف رئيسه .

ـ يبدو أنها رسالة مزدوجة . هل يمكنك البقاء لفكها ؟.

ـ طبعاً .. حالا ..

وكان الجانب الآخر من وظيفة ديزموند هو فك الشفرات . وهى عملية تتم بمساعدة العقل الالكترونى . وقد برع فيها ديزموند منذ أيام الدراسة بالكلية ، وقبل أن يحصل على وظيفته هذه .

نسى مسالة الغداء تماماً وهو يعمل على قراءة شىء من الرسالة التى تخرج من الآلات .. كان يصنف ويجمع ويعيد تصنيف المادة .. والتى لم يتوقف سيلها لحظة . وحاول أن يستشف أى معنى ، لكنه فشل تماماً . وأزعجه أنه لم تكن بها أية متتالية رياضية أو حقيقة حسابية بسيطة . ماذا يحاولون ؟ ماذا يحاول أولئك الغرباء الأغبياء الذين بثوا تلك الرسالة ؟ لم كل هذا الهراء ؟

تصاعد غضبه ، فانحسر تركيزه ودون شعور منه لم يعد مالله طفيفاً .

كان لوك قد عاد من فترة الغداء ، فساله عن سير المسالة ، فلم يخف ديزموند اخفاقه :

ـ لم أصب شيئاً .. لا فائدة .

فقال لوك :

ـ ربما كانت هذه الاشارة قادمة من أبيسيس . فهمهم ديزموند ، وقال :

ـ على أية ذبذبة إذن ؟

ـ على موجة ضوئية مرئية .. ضوء أخضر فى الواقع .. كاشارات المرور .

ـ ماذا ؟

وبهذا التعليق الشاذ عاد ديزموند بانتباه شديد الى رئيسه .

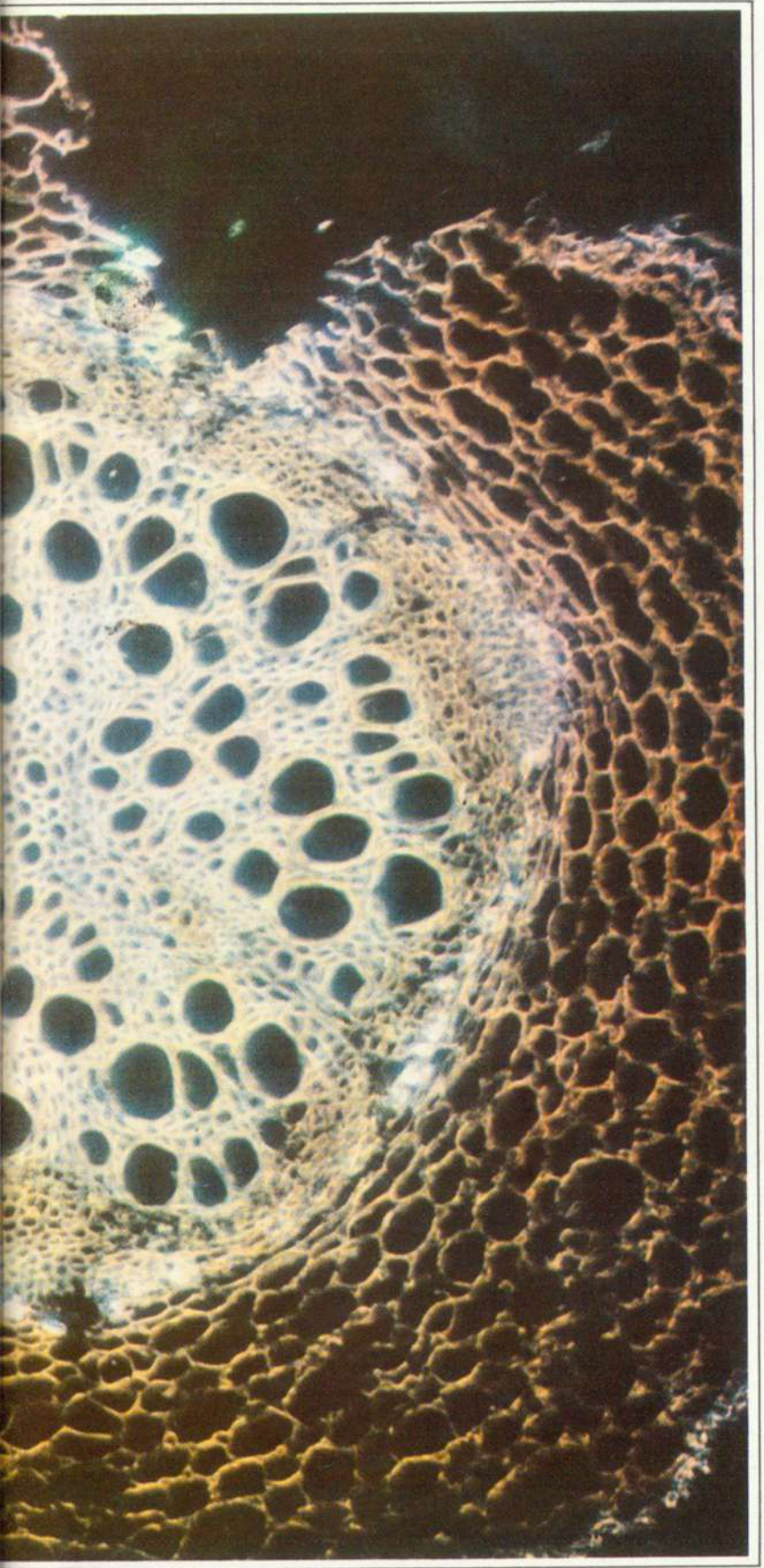
ـ أجل .. ربما تصبح هذه الاشارة فاتحة عهد لمجهود فضائى كبير .. الى النجوم .

أبصر ديزموند بريقاً خاصاً فى عينى لوك فابتسم . الفضاء ؟ وابتسم لوك بدوره .. مسروراً بالتفكير بأن عدد العاملين تحته سيرتفع الى الاف ، وليس مجرد العشرين العاملين معه فى الوقت الحاضر .

فى غرفة الكونصول ظلت الأمور سيئة وطفق ديزموند يردد فى مؤخرة ذهنه «أبيسيس» .. ماذا نسى عن ذلك ؟ فقرر أن يستعين بالعقل الالكترونى ليسترد ما علمه . ضغط زراً ، فانهالت المعلومات الفنية : أبيسيس ـ نجم مزدوج أخضر باهت وأزرق ـ .. تاكد وجود نظام كوكبى له فى عام ٢٢٩٦ ..

ثم .. كفكرة ثانوية .. خطرت له أسطورة أول بعثة فضائية .. والتى يعرفها كل تلميذ ، والتى كانت قد أبرزت لهم كمثال على مدى جنون رحلات الفضاء .. وقيل أن ثمة اشارات قد تم استقبالها من أبيسيس فى بداية القرن الحادى

الطحلب







والعشرين ، وانه تم ارسال شخص ما الى ابيسيس .. بعد أن جمد تماماً ، ورتب سفره ليكون تحت سرعة الضوء .. وقد رفع اقاربه دعوى ضد مدير برنامج الفضاء بتهمة قتل نفس بشرية .. فكانت تلك بداية تدهور ثم نهاية البرنامج . ثم توقفت الاشارات بعد سنوات ، ولم يسمع أى شىء بعدها من ذلك الجزء من السماء .. أو كذا تمضى الأسطورة .. ربما .. وكاد ديزموند أن يصرخ وهو يفكر بأن هذه الاشارة ربما كانت من بعثة ابيسيس الفضائية ..

أخذ يجرى نحو مكتب لوك .. الذى كان يستعد للذهاب الى بيته ، ولكنه توقف ، ومعطفه فوق رأسه ، وأخذ يفكر فى ما قاله ديزموند . ومثل كل الآخرين ، كان يعرف تلك الأسطورة ، كما يفترض أن يعرف ان كل السجلات والوثائق المتعلقة بتلك المحاولة للوصول الى النجوم قد دمرت فى الانفجار الذى وقع لآخر مركبة فضاء نووية ، وكانت تلك نهاية البعثات الفضائية بين الكواكب والأجرام .

– أريد مخلصاً أن أراك محقاً فيما ترى .. ولكن رسالة من هناك ما كانت لتصعب عليك إن كانت فعلا من ابيسيس ..

وبهذه الكلمات ، وهزة لمعطفه ، خرج لوك . وفكر ديزموند بأن رئيسه يحتاج الى المزيد من الخيال . فهو يعرف أنه قادر على فك الاشارة وخاصة اذا كانت من بعثة ابيسيس . وكان من الممكن أن تكون باللغة الانجليزية . ما يفتقر اليه هو عقول الكترونية لغوية الى جانب العقول الرياضية . وربما استطاع أن يستخدم الأجهزة التى بمكتب رئيسه لوك ، وان يتصل بمترجمى المركز القومى ..

وبهذا التفكير المنعش مضى ديزموند فى محاولة جديدة .. وبعد ساعات ثلاث أحس بفرح كبير . لقد كان على حق أن الرسالة فعلا بلغة .. وهى بسيطة الى حد مفجع . فهى مبثوثة بشفرة مورس التى اختيرت لبساطتها واطنابها والذى يجعلها أفضل وسيلة لاختراق صخارى الأصوات الفضائية ، ويجعل كتابتها بالشفرة وفكها ممكنين دون استعانة بأى جهاز آلي . ولكن افكاره كان يبددها موج الكلمات التى بدأت تتدافع من الآلة الطابعة وكان الوقت متأخراً . فأخذ ذهنه يسبح فى الكلمات :

هذا تقرير فيليو جونز .. من مركبة النجوم رقم (١) .

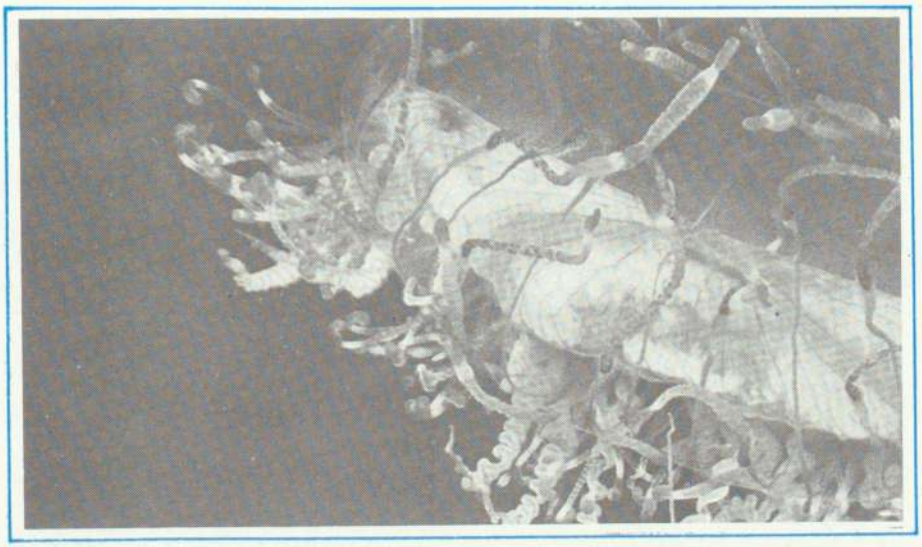
لقد بلغت ابيسيس . لا أدرى متى أو فى أى تاريخ .. كما أجهل تماماً كم قضيت مسافراً . البرد .. البرد اللانهائى هو ما أوقنه . البرد والوحشة .. وكلاهما يعجز الفكر عن تصويرهما . وليس ثمة دفء لتكون الحركة ممكنة . إنه سبات شتائى أبدى .

لا حيلة لي إن بدا هذا التقرير غريباً ولا مفر . وربما اتضح شىء لكم مما سأسرده .

لقد وجدتنى أنهض الى ما يشبه وضع الجالس بعد خمسين عاماً بعد تنويمى . أحسست برعب وشلل . وغمرنى قيء شديد بعد



الطحلب



حقنة الادرالين ، فضربت راسي بغطاء مرقدي الشتوي . ايقظني ذلك على حقيقة المكان الذي يحتويني ، وعلى وعيي بنفسي . وفظاعة وحدتي المطلقة . وكانت مركبة الفضاء هي الشيء الوحيد الذي يدل على وجود حياة عاقلة في ما وراء الأرض . فكيف لي أن أدرك أن المسار قد أمسى باردا قبل ثلاثين عاما ؟

لابد أن المركبة قد هبطت ، فالعقول الالكترونية كانت مبرمجة لايقاظي عندما نقترب من مصدر الاشارات . وكنت متلهفا لمعرفة تلك المخلوقات التي كانت تحاول الاتصال بنا ، بالآخرين . فرفعت غطاء مرقدي ، وحاولت أن اجلس ولكنني سقطت . لم تقو رجلاي على حملي ما افظع ما تالمت .. وكان الاف الابر والدبابيس تغرز في راسي . تصوروا اثر الجلوس خمسين عاما في وضع غير مريح .

بينما انا راقد هناك احاول أن استجمع شيئا من قواي ، خطر لي اننى محظوظ في واقع الأمر ، فقد كان من الممكن أن أصاب بالغرغرينا أو أموت اثناء الرحلة .. خاصة انه لم يكن ممكنا تجريب انعاشي بعد سبات عميق قبل سفري . من له الوقت ؟ من كان سيتطوع لسبات يدوم خمسين عاما ليتم تجريب انعاشه .. ؟

عندما استطعت الحركة ، نبهتني رسالة مسجلة أن أبدأ تمرينات خفيفة ، كما أعادت علي كيفية تشغيل المركبة . اذهلني وانا استمع الى التفاصيل اننى اتذكر الكثير .. فالذاكرة المجمدة جيدة الحفظ . فقمت الى الحمام لازيل العرق البارد العالق بي اثر مائة عام من السفر . كدت ابتسم لفكرة اننى اكثر بني الانسان سفرا .. لكنني عدلت عن ذلك عندما داخلتها لحظة شك في انسانيتي بعد أن فارقت الأرض . واخيرا وجدتني مستعدا لفحص البيئة المحيطة بالمركبة وعرفت من التحليل البيئي الآلي انه لا خطر في الخارج لكنني كنت محتاجا من ناحية سيكولوجية لمعرفة ما ساجده .

كانت الجاذبية اقل نوعا ما عن جاذبية الأرض والهواء يمكن استنشاقه بالرغم من ان نسبة ثاني اوكسيد الكربون والنيتروجين كانت معكوسة . ولم تكن هناك حياة حيوانية تستحق الذكر . ثمة اشكال شبه حشرية .. لا غير . وقد سرني ذلك لأنني على الأقل لن انازل ، مضطرا ، حيوانات خرافية . هكذا قدرت في ضحكة مكبوتة ولكنني توقفت خائفا من الذي بعث الرسالة ؟

خرجت من المركبة بعد مشقة طفيفة لأنني لم اكن قد تعودت بذل أي مجهود . وخرجت الى التل الذي رست فوقه .. وهو مغطى بالطحالب . وكانت السفينة قد غاصت في ارضه ، وكانما الكوكب نفسه حرص على احتضانها في رفق . وبعد أن استجمعت انفاسي بعد هذا الصعود اخذت ابسم لنفسي ، ثم انطلقت مغنيا ، وصرخت : لقد نجحنا .. لقد نجحنا .. نجم اخر . كوكب اخر به حياة عاقلة . ولكن .. اين كنا ؟ اين لجنة الاستقبال للاحتفاء بنا ؟ اين مظاهر الحفاوة أو الخوف من مخلوقات غريبة من عالم آخر ؟ الم اتكبد مشوارا طويلا .. فلماذا يتم تجاهلي ؟

تذكرت المعلومات التي تعرفها عن هذا الكوكب .. إنه خال من الحيوان . ملكتني الحيرة اترانى هبطت بي المركبة فوق كوكب آخر بالخطأ ؟ ربما ماتوا منذ أمد بعيد ، ربما أفنت حرب نووية اهل الأرض الآن . هل كنت اتبع اشارة من الماضي السحيق للموت في المستقبل القريب ؟

اعتليت المركبة ، ولم يكن ذلك صعبا لأنها كانت غائصة في ارضية الكوكب . وكنت أؤمل أن ارى شيئا من ذلك العلو .. مدينة أو اية علامة تدل على الحياة . لكن أملي خاب . كانت الجهات كلها تلالا ووهادا تبعد خمسة عشر مترا من بطن الوادي ، وموزعة على مسافات متساوية .. ولكنها بلا نهاية . فعدت الى المركبة يثقلني الارهاق وتشلني خيبة الأمل . فقررت أن أطعم شيئا مما جئت به من الأرض ، والذي ربما كان الطعام الوحيد في هذا الجزء من العالم .

وكانت تجربة باهظة .. أن يطعم المرء بعد مائة عام . وقد بدأت الأكل بوقت قليل من الميقات الذي كان ينبغي ان ابدأ بتكليف أجهزتي بمجهود الهضم . ولكن تلك الأمور لم تعد ذات أهمية وقد راودني الأمل في العثور على حبوب السيانيد ، ذلك السم القاتل ..

خرجت بعد الأكل لاستكشف المساحات البعيدة عن المركبة علني أجد ما فاتني أن أراه وتاكد لي فعلا اننى لم الحظ أحد التلال أكثر دكنة وحجما من الآخرين . ولما لم يكن لي شيء آخر أقوم به ، رأيت أن أسير اليه . كنت أمشي في بطء في البداية لأنني كنت أوهن مما تصورت . وكانت دهشتي مفرحة عندما وجدت المشي والصعود والهبوط من تلك التلال أمرا مبهجا . وكان الهواء نقيا صافيا ، وان كانت رطوبته أكثر مما احب واشتهي . وكانت هناك شمسان .. احداهما زرقاء ، والأخرى خضراء .. كلتاهما تغربان في سماء عميقة الزرقة . وكان الظلام شديدا مما أشعرني بالعرى والعجز تحت شمسين . ولكن ذلك كان مجرد خدعة لصفاء ونقاء الهواء ، إذ أن غياب الغبار في الجو جعلها تبدو سماء سوداء ، وجعلني أحس بأن النجوم ترمقني من فوق كتفي .. تماما مثلما يحيل الغبار في جو الأرض السماء الى لون ازرق خفيف ، ويضفي على الفضاء تلك الروعة التي تصرفنا عن التفكير بالغبار .

أخذت افكر في مصيري .. وانا اسير متمهلا . لقد تلقيت تدريبا عاليا في فك الشفرات وفي علم النفس . ولذا تم اختياري لهذه المهمة . ولكن عملي لا يبدأ إلا عندما يتم اللقاء بيني وبين مخلوقات غريبة . وكان العامل الأساسي في اختياري هو الاخلاص للمهمة ، والتي تفرض علي أن أقيم اتصالا مع أشكال أخرى من الحياة .. ولا أفكر في العودة الى الأرض .. لأن ذلك غير ممكن لأنه لا يمكن لمخلوق أن يعيش تجربة الانعاش مرتين . وقد تبينت مدى جسامة التجربة كيف لي ألا أعود وكل لحظة من كياني تشغلها أفكار أرضية .. والصداقات التي لم أسمح لنفسي بحياتها منذ أن أبلغت بمهمتي هذه . إنني من ناحية سيكولوجية لم أفارق الأرض حتى هذه اللحظة . ومع ذلك فانا هنا مبعوث وسفير لعالم لم يظهر بعد أنه يريدني .

وكان الطحلب يعطي كل خطوة مني إحساسا طريفا ، وكانني اقفز في خفة . فرحت أفكر فيه واتفحصه . وجلست ، يغلبني التعب ، كما حب الاستطلاع . وأخذت بعض الطحلب بين يدي . وكان أغرب ما به انه كان ازرق اللون وأخضره في نفس الوقت . فاذا ركزت على الأخضر ظننا أنه نبات ارضي فان الأزرق يندس من طرف خفي في وعيك . وان كنت تتامل الأزرق وتتملاه ، فان الأخضر ينبت فيك وكانه كان دائما هناك . وفي ضوء الشمسين بدا الطحلب وله بريق وخفيف كاجنحة حشرات صغيرة .

ويتكون هذا الطحلب من اوراق تغلف اوراقا أصغر ، تغلف هي بدورها أخرى أكثر دقة .. وهكذا .. وكانما هو منظار تلسكوب لا يمكن للعين

أن ترى عدسته النهائية .. لدقتها . وكان جميلا جداً . فعجبت إن كان يغطى الكوكب كله . تنفست متنهداً وقمت .. وانا أعرف أن لي مكاناً يجب أن أبلغه . ولكننى تمنيت لو عرفت أين هو

وكان المنظر من المرتفع التالى يظهر التل الكبير الذى أقصده بوضوح وجلاء . فامتلأت نفسى بالأمل لما رأيت . كان يبدو وكأنه مبنى أو نوع من البناء . وبه فتحات وكوى عديدة . غلبنى الأمل فاندفعت مضاعفاً جهدى لأبلغه .. ولابد أن منظرى وأنا أخطو مسرعاً كان مما يبعث على الضحك .

ولكن البناء كان مطلق السكون ، وهو من نفس الطحلب الذى يغطى التلال .. وان كان هذا أعمق قليلا ، وأصلب مظهراً . وكانت الفتحات والكوى ذات أحجام مختلفة ، بعضها بحجم مداخل ماوى الأرنب ، والآخر أكبر من حجم الانسان . وكان التل كله حوالى مائة متر طولا ، وربما عشرين متراً فى ارتفاعه . وكان مهجوراً .. وربما أسدل النسيان على أية أعاجيب من الابداع التكنولوجى العضوى الذى كان قد تحقق ، وظل أملى الوحيد هو ألا يكون الجنس الذى بنى كل ذلك قد اندثر .. وألا أكون وحدى .

لم يتغير شىء وأنا أدور حول التل . وعندما أبصرت مركبتى تشع فى البعد تحت الشمس الغريبة ، تبددت كل آمالى .

وبينما كنت أتدبر الصعود الى قمة هذا البناء لاحظت أن واحدة من تلك الفتحات قد أخذت تشع وتلمع . ترددت نصف ثانية فى الدخول ، وعندما وصلت الى قرار كنت قد دخلت فعلا . وكان الضوء رائعاً ، ويشع من الطحلب نفسه ، ولا يختلف عن البريق المتعدد الألوان الذى أبصرته فى التلال . وأخذت أتوغل فى النفق بشعور جارف من الفرح بأن هذا الكوكب غير مهجور ، وأننى سأبلغ قلبه . وقادنى النفق عبر عدد من العتبات ، ثم انفسح أمامى بهو بحجم كابينة مركبتى . وكان كل جزء به مصنوع من مادة الطحلب الذى يجلل كل صفحة مرئية من هذا الكوكب .

هل وصلت ؟ لا أدرى . ولماذا لا يوجد أحد هناك ؟ وعندما كدت أبدأ البحث عن غرفات أخرى ، سمعت صوتاً خافتاً :

ـ مرحباً بك فى إينلو .

ولكن لم يكن هناك أحد . ففزعت أن يكون عقلى قد ذهب . هل يمكن لقوة الايحاء الذاتى أن تحقق مثل هذا الخداع المؤسف للنفس ؟

كان علي أن أرد التحية .. ولكن ماذا أقول :

ـ هللو ..

وجدتنى أقول فى استجابة كسيحة . وسرنى أن أسمع الصوت القديم يقول :

ـ حسبتك لن تجىء ، فقد انقطعت الاشارات عن الوصول الينا منذ أعوام عديدة .

قلت وأنا أحس بسخفى :

ـ إننى هنا .. ولكن .. أين أنت ؟

خيم صمت ، ثم أتانى الصوت من جديد :

ـ لقد كنت معك منذ أن هبطت مركبتك . مشيت فوقى ، وقطفتنى .. وها أنت بداخلى . أنا الطحلب .

ـ نبات ؟

صحت فى عدم تصديق مؤلم ، ناسياً بذلك كل تلك العبارات اللائقة التى قضيت أعواماً فى التدرب عليها لهذه المناسبة .

ـ كيف يمكنك أن تخاطبنى ؟ كيف نستطيع أن نقيم تفاهماً بيننا ؟ كيف لنبات أن يكون عاقلا ؟

فقال الطحلب :

ـ كثيرة هى أسئلتك . إننى لا أتحدث اليك ، اننى حساس للذبذبات الكهربية الموجودة بدماغك والتى تدعوها أنت أفكاراً .. والتى أستطيع أن أختار منها ، ثم أوجه انتباهك اليها . وبهذه الطريقة أحضرتك الى هذا المكان .. والآن أقيم معك هذا الاتصال . ان اضطراب ذهنك يجعل الاتصال معك يسيراً .

أمسكت دماغى بيدى عندما سمعت هذا القول .. محاولا أن .. أن أفعل ماذا ؟ أحفظ ماذا ؟ وارتج علي . لا يمكننى أن ألوم غير نفسى .. وبمعنى الكلمة .. إن كانت الهلوسة قد أصابتنى بكل هذا

وقلت :

ـ إننى آسف .. كل ما فى الأمر أن الأرض ليس بها نبات عاقل .

فأجابنى الطحلب فى نوع من الاحتقار أحسست به فى حفيفه :

ـ ليس هناك حيوانات عاقلة فى اينلو . ومع ذلك فان عقلى قد تطور فى احدى مراحله بواسطة تنبيه الأشكال البدائية لحياة الحشرات فى إيلنو .. هذا بالاضافة الى الكوارث الطبيعية . ومثل أنواع الميموزا الحساسة فى أرضكم فان الحاجة قد وهبتنى قوى محدودة على الحركة .. كما وهبنى لطف التطور نظاماً متحركاً كهربائياً وديناميكياً .. مثل جهازك العصبى . ولكن عقلى كان بفضل توحيد نفسى كنبات متكامل من شواطىء بحر الى شواطىء بحر . إننى أحتل هذا الكوكب كله .

قلت :

ـ إذن ليس هناك أحد سواك أنت .

قال لى :



ـ ليس هناك واحد أو كثيرون . لقد مررت بمرحلة من التطور عرفت فيها بداية تخصيص الوظائف مثل تلك التى كان يمكن أن تقود الى ما تسمونه أنتم الحضارة . ولكننى لم أكن أرغب فى ذلك . ويسرنى أن عقلك ينطوى على بقايا تجارب كثيرة غير سارة .. والتى هى نتاج لانقسام نوعكم على نفسه .

لقد كان هدفى على العكس من ذلك أن أوحد كل جزء منى ليخضع لغرض وتوجه مشترك . وعندما تحققت الوحدة التى كنت اسعى لها عبر بلايين السنين ، اكتشفت أن الفناء قد أخذ يدب فى .. إن المجهود الذى بذلته للتنسيق بين أجزاء نفسى كان أكبر من أن يحتمل . وكان هدفى النهائى أن أقيم اتصالا مع نبات آخر عاقل . وفى ذلك فشلت .

وقع بيننا صمت : وكان جلياً أن مجال الاتصال بيننا ضيق جداً . لقد كنت مثل ذرة من الغبار بالنسبة لهذا النبات ـ إن جازت تسميته هكذا ـ . لم تكن ثمة امكانية لتبادل الثقافة أو المعرفة بين الأرض وإينلو .. فأى ثقافة يمكن أن تكون للنبات ؟

ـ هل تريد أن تتصل بالأرض ؟ سألنى الطحلب .

ـ بلى .. وبشدة . ولكن كيف لك ان تقوم بذلك؟ ألم يكن المجهود شاقاً ؟

فقال لي الطحلب :

ـ فى فتوتى كنت أستطيع تنسيق كل سطح هذا الكوكب ـ الذى هو أنا نفسى ـ وذلك كيما أثير انبعاث الضوء الأخضر الذى يمكنك أن تعتبره نوعاً من أشعة الليزر الخضراء . أما الآن فاننى أستطيع تنسيق نصفى فقط .. ذلك النصف المواجه لأرضكم . وستستغرق اقامة الاتصال بعض الوقت .

جلست .. وأخذت أبكى . لقد نجحت بعثتى ولكنها لن تثمر شيئا . وعجبت إن كان هناك نبات آخر يمكن أن يساعد هذا المخلوق القديم الضخم على البقاء حياً . أم تراه قد اتصل بشىء مختلف تماماً عنه وعنى ؟ ماذا أقول للأرض ان كانوا قد ظلوا يتسمعون بانتظار اشارة منى تصلهم بعد خمس وعشرين سنة من هذه اللحظة ؟ وماذا يفيدون من عذابى فى الفضاء ؟ ولكن .. ربما .. ربما استطعت أن أحذر الناس من السفر فى الفضاء .. إذ لا فائدة .. لا أمل ..)

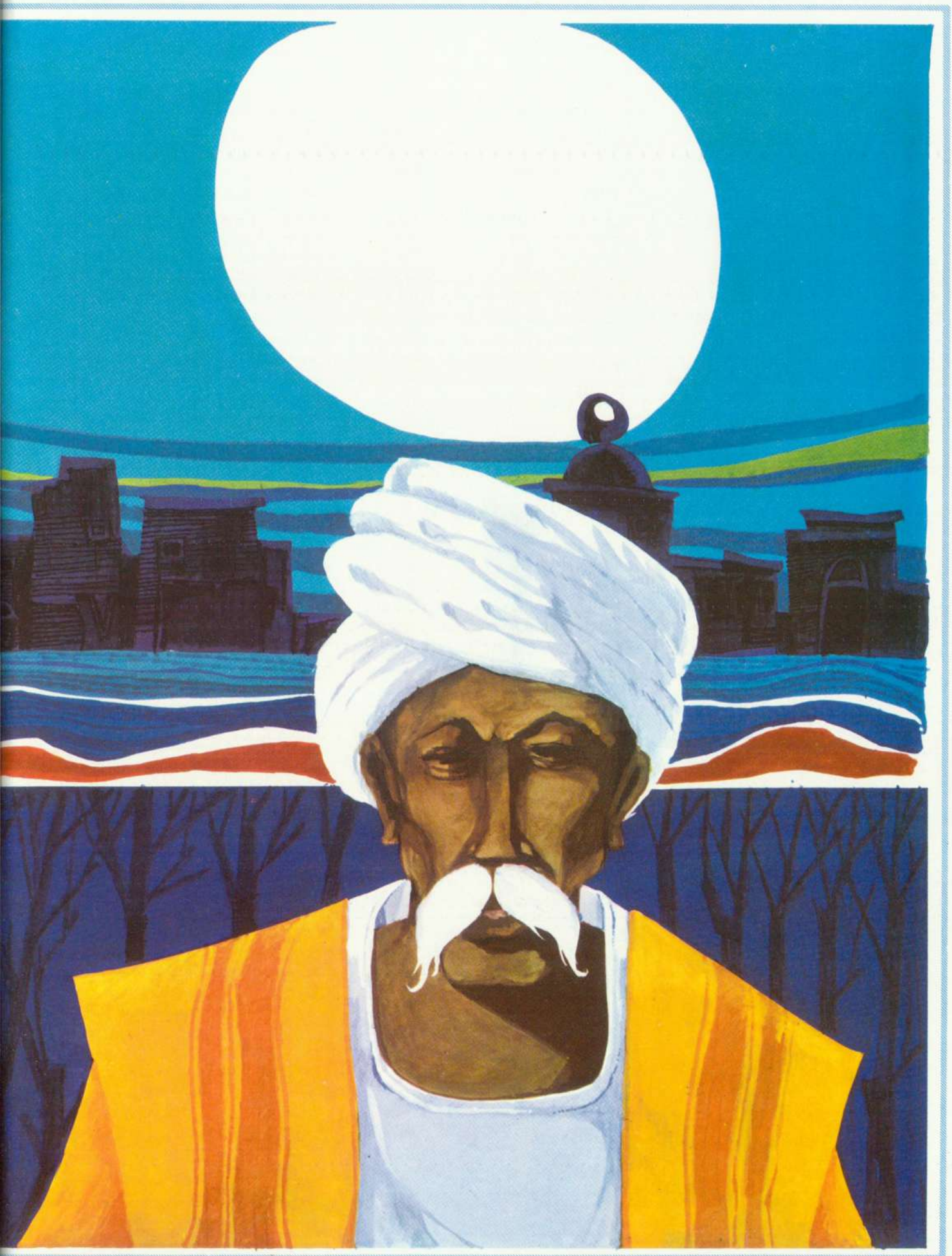
• • •

دخل لوك وهز ديزموند من كتفيه :

ـ ديز .. ديزموند . أأنت على ما يرام : لقد قضيت الليل كله هنا .. نائماً . هل كانت الرسالة مملة الى ذلك الحد ؟

ـ أووه .. بلى .. بلى .. الرسالة .. الرسالة .. هل .. الرسالة .

ترجمة : النور عثمان أبكر



بوابة حمد النيل

يحيى العوض
رسوم : على دياب

عند الفجر كان قد أكمل كل الترتيبات الضرورية لإعلان النبأ الهام ، فهو يعرف منذ ثلاث سنوات أن موعده صباح اليوم .. وكعادته كان مستيقظاً منذ الهزيع الأول من الليل ، لأنه يصلى الصبح بوضوء العشاء ...

انعشته نسيمات الصباح التى مازالت تتعطر بالندى الممزوج بحمرة الشفق .. أطربه زقاءِ الديوك فى وداعها لفلق الصباح ، الذى بدأ ينساب عائداً ، يحث الخطى ليلحق بموكب الليل ويمسك بأطراف عباءته ، مفسحاً الطريق لأشعة الشمس ، التى تتعمد كل صباح إطالة وقفتها عند الغيوم ، حتى لا تحرمه نشوة الفرح التى تعرفها جيداً ، عندما تلامس مشارف الأفق لتشهد ميلاد يوم جديد ...

كان يقف منتصب القامة متهلل الأسارير منشرح النفس ، واثقاً بأنه سينجز اليوم مهمته ويزيل عبئاً كبيراً ، سيمكنه من التفرغ لمواصلة سياحته . جال ببصره فى أرجاء المكان .. اطمأن إلى أنه أعد كل شىء بعناية وأن اللقاء سيتم وفقاً للصورة التى رسمها جيداً فى ذهنه ..

سيدهشون عند رؤيتهم الكوخ الصغير الذى شيده بعد منتصف الليل من سعف النخل وأعواد القصب عند طرف اللسان الرملى الممتد من داخل النهر ، والذى من اليسير الوصول إليه ، فالمياه فى ذلك المكان ضحلة لا تصل لخاصرة صبى فى العاشرة .. لكن المفاجأة التى ستروعهم ستكون فى الوقت المناسب ، عندما يخرج السكين الحاد النصل من جيبه ... وتحسس براحة يده نصل السكين ، واطمأن بأن ضربة واحدة منه تكفى لتدفق شلالات من الدماء .. ووضع مسبحته (الألفية) المصنوعة من ثمار شجر الهجليج (اللالوب) حول عنقه .. كان يطل على القرية من الربوة العالية التى تفصل المنازل عن الأرض الزراعية الصغيرة عند شاطىء النهر ، وبأعلى صوته صاح .. وتدفقت الكلمات مدوية فى وقار وجلال .. أكسبها سكون الصباح قوة اندفاع خارقة تجاوبت معها العصافير والدواب بالصمت واللهفة ... وسمعها كل رجل وامرأة وطفل .. جميعهم كانوا يعرفون صوته فانطلقوا فى حماس يتسابقون لتلبية ندائه .. وتجمعوا حوله ، لاحظوا الكوخ عند طرف اللسان الرملى داخل النهر ، لكنهم لم يجرؤوا على سؤاله ، ولم يمهلهم ، قال بصوته القوى النبرات :

أيها الناس

اليوم موعدنا

لن نتكرر هذا اللقاء أبداً ..

الأول .

ـ لن يذبحه

ـ لا أظنه يرتكب جريمة قتل فى وضح النهار !

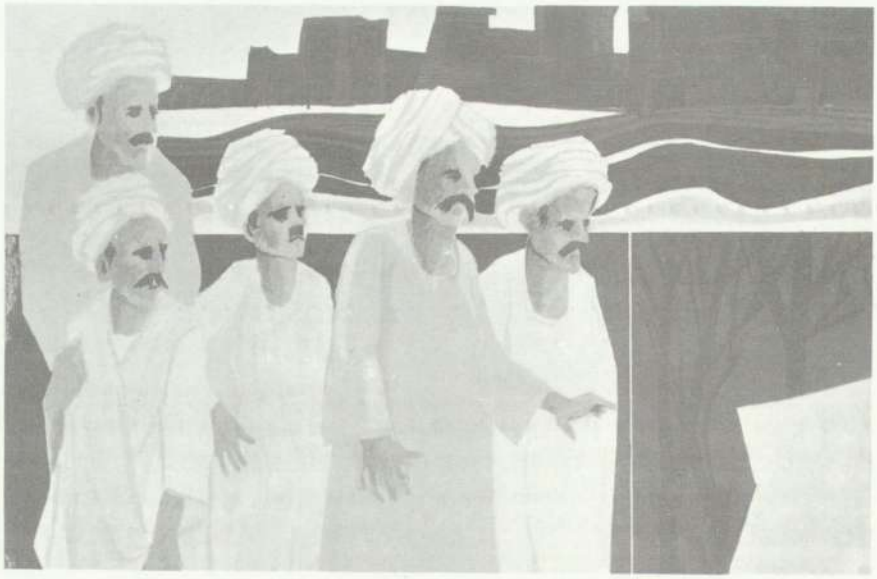
اليوم ساقدم لكم ما يبدد خوف ظنونكم ...

ستجدون أغلى ما تنشدونه «أمن اليقين» !

أيها الناس :



بوابة حمد النيل



من يرد منكم السير فى طريقنا فليتقدم ... وتاكدوا أن الطريق لاتجاه واحد .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. هيا .. تقدموا .. !

سرى حديثه بينهم مريحاً مشجعاً .. إنهم يصدقونه فقد وعدهم دائماً بأن أقواله أفعال .. وتعالت الصيحات :

ـ نريد الطريق ..
ـ نريد الطريق ..
ـ إننا مستعدون
ـ نحن رهن إشارتك ..

أشار إليهم بالهدوء .. أرهفوا السمع .. قال لهم :

ـ هناك شرط واحد ..

من أراد منكم الطريق عليه الوفاء بالشرط ، ولن نسمح له بالتراجع ... فى لهفة صاح الحاضرون ..

ـ نقبل كل شروطك ..
ـ أمرك مطاع .
ـ لن نتراجع ..
ـ كلنا مستعدون ..

وعندما أخرج السكين من جيبه ولمع نصله الحاد مع انعكاسات الصباح ، صمت الجمع وساد سكون شامل .. العيون تتطلع فى دهشة .. وقال لهم :

ـ من أراد الطريق فليتقدم .. شرطنا الوحيد هو الذبح ! ذبح من يوافق للسير فى طريقنا .. وهو لاتجاه واحد ! هيا تقدموا .. الذى يقبل الشرط عليه الدخول فى هذا الكوخ ، وأشار إليه بأصبعه ... تقدموا .. صمت ... صمت ... صمت ... وفجاة قفز شاب فى الخامسة والعشرين من عمره وانفلت من وسط الجمع وباقصى سرعته اندفع داخل الكوخ .. ودخل الرجل فى أعقابه والسكين يلمع فى يده ..

ـ لقد جن الرجل (هتف أحدهم)
ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد كان أعقلنا ..
ـ هل تعرفون من هو الشاب ؟
ـ نعم إنه عريس لم يكمل أسبوعه

وأطل الرجل من الكوخ وحده وسكينته تقطر دما ، ولوح بها فى وجوههم ، بينما نزيف من الدماء يسيل خارج الكوخ مختلطاً بمياه النهر ... الذعر يسود المكان .. أغمى على عدد من النسوة ... صراخ ... عويل ... هيستريا من البكاء والنحيب .. ويتقدم الرجل ليقف فى مكانه ويصيح مجدداً :

ـ أيها الناس .. من أراد منكم الطريق فليتقدم .. الطريق لاتجاه واحد ...

ويتعالى صياح الناس :

ـ إنه مجنون .
ـ أمسكوه لن تذهب دماء العريس هدراً .
ـ أهجموا عليه .

ويفاجئهم شيخ وقور تجاوز الستين من عمره يعرفونه جميعاً .. يتجه نحو الكوخ ، بينما تحاول مجموعة من الواقفين منعه .. يقاومهم زاجراً :

ـ مكانكم لا يلمسنى أحد .. أنا أدرى بمصلحتى ، اذا كان العريس الذى لم يتجاوز الثلاثين قد ذبح ، فأنا فى الستين .. واندفع داخل الكوخ وخلفه الرجل شاهراً سكينه .

انحبست الأنفاس واحتقنت الوجوه بمزيج غريب من الغضب والخوف والألم والضجر .. ثم أطل الرجل والدماء تقطر من سكينه ويديه ، فانحنى يغتسل بينما تجمعت بركة قانية اللون حول الكوخ ..

لم يتكلم أحد .. كانوا ينظرون اليه فى ذهول وهو يتقدم نحوهم بخطواته الثابتة وسكينه الطويل النصل .. وكرر النداء :

ـ أيها الناس ... من أراد منكم الطريق فليتقدم .. الطريق لاتجاه واحد .. !

صمت ... صمت ... صمت الجمع مطرق ينظر تحت أقدامه .. امتد الصمت .. بدأت نظراتهم تتجه نحو واحد منهم يقف فى الصف الأمامى ، فهو من وجهاء القوم ، معروف بقوته وبأسه .. أحرجته العيون المتسائلة المستنجدة ... تنحنح .. ضغط على أسنانه فى غيظ شديد وتقدم فى خطوات وئيدة وهو يردد فى صوت خافت ... «سأذبحه قبل أن ينال منى ..» ودخل الكوخ والرجل من خلفه شاهراً سكينه ..

مضت الدقائق متثاقلة .. لم يظهر الرجل على باب الكوخ .. طال الانتظار .. لا صوت .. لا حركة من ناحية الكوخ .. قال أحدهم :

ـ الآن نهاية الرجل مؤكدة .
ـ لن نأسف عليه .
ـ لا أصدق ما حدث ..
ـ امتحان رهيب .

وخرست الأصوات .. جحظت العيون .. كان الرجل يقف أمام باب الكوخ ممسكاً بسكينه العتيد يقطر دماء طازجة .. وبهدوء خاطبهم ..

ـ يا قوم .. طريقنا صعب ..

واحمد الله فقد خرج من بين صفوفكم ثلاثة رجال يستطيعون حمل الأمانة ، انهم مؤهلون للسير بكم فى الطريق ، سأغادر دياركم اليوم بعد أن أعاننى الله على اكمال مهمتى .. وخرج من داخل الكوخ العريس الشاب ، والشيخ الذى تجاوز الستين ووجيه القوم .. كل واحد منهم ممسك بجلد «الذبيحة» التى فداه بها الرجل وأوصاهم بأن يجعلوا منها مصلى لهم .. وعندئذ تدافع الناس بالمناكب يهتفون .. : نريد الطريق .. نريد الطريق .. وكان الرجل قد اختفى بينهم

يحيى العوض

رأيت

المهانة فى الأرض المحتلة



أثناء اقامتى بفلسطين المحتلة فى الاجازة الصيفية كنت اركب السيارة فى طريقى الى المنزل حوالى التاسعة ليلا رأيت ثلاثة فتيان تتراوح اعمارهم ما بين الثانية عشرة والسابعة عشرة وكانوا فى حالة يرثى لها ، تغطى اجسامهم الدماء ويتجمع حولهم بعض المارة وبينهم الأم تبكى وتحاول انقاذ أولادها ، فسألت عما حدث لهم ، فقال لى أحد المارة ان بيتهم يبعد عن هذا المكان حوالى عشرين مترا وأن الأولاد خرجوا فى ملابس نومهم الى البقالة ليشتروا بعض السندويشات للعشاء ، وبينما هم فى طريقهم أوقفتهم دورية بها بعض الجنود الاسرائيليين وسألوا أكبرهم عن هويته فأخبرهم أنها فى المنزل وانه لم يحضرها لأنه يرتدى ملابس النوم وأشار لهم الى المنزل القريب منهم ليعودوا معه الى هناك ويريهم اياها ولكنهم لم يستمعوا الى كلامه وضربوه هو واخوته حتى اسالوا منهم الدماء وتركوهم على ما رأيتهم عليه ، وعدت الى منزلى لأخبر أهلى بما رأيت من أساليب غادرة يمارسها هؤلاء الذين اغتصبوا بلادنا

مها ناجح البسطامى
الدوحة ـ قطر

سمعت

سيمفونية نابليون

ان الموسيقار العالمى بيتهوفن كان يقدر النبوغ حق قدره .

وسمع بنابليون وطفراته الواحدة بعد الأخرى ، فأعجب أيما اعجاب ، فقد كان يراه محرر شعب مهضوم الحقوق ، ومنقذه من الويلات التى حاقت به ، فوضع بيتهوفن سمفونيته الثالثة «الرجل العظيم» وأهداها الى نابليون .

وجاء يوم نصب فيه نابليون نفسه امبراطورا على فرنسا ، وإذ ذاك تغيرت نظرة بيتهوفن الى ذلك الرجل ، فقد أدرك أن هذا الرجل الذى اعجب به كان يسعى لمجده قبل أن يسعى لمجد بلاده ، فبادر الى تمزيق الاهداء واستبدله بعنوان جديد :«فى ذكرى رجل عظيم».

سعيد بيدو
المغرب

• •

زيادة المحصولات الزراعية

فى جامعة كاليفورنيا فى أمريكا أنهى فريق من العلماء دراسة أكدت نتائجها أن سلالة معينة من البكتيريا تؤدى الى تحسين بعض المحصولات الزراعية اذا ما اضيفت الى التربة فى الحقل .

وتؤكد نتائج هذه الدراسة ما أعلن عنه العلماء فى روسيا قبل فترة من الزمن من أنه باضافة البكتيريا التى تعيش عادة فى جذور النباتات الى التربة استطاعوا أن يزيدوا من كمية المحصولات الزراعية بنسبة تتراوح بين ١٠ ـ ١٣٪

أما البكتيريا التى وجد العلماء الأميركيون أنها تحسن نمو النبات فهى من فصيلة تعرف علميا بأسم «بى . جى . بى . آر» وحصل عليها العلماء بعدما عزلوا بضع مئات من سلالات البكتيريا التى تعيش فى جذور النبات حتى تمكنوا من اختيار أفضلها من حيث قدرتها على اعاقة نمو الفطريات والبكتيريا التى تسبب الأمراض النباتية .

وجرب علماء جامعة كاليفورنيا سلالة البكتيريا التى اختاروها فى زراعة البطاطس وشمندر السكر والفجل وكانت النتيجة أن المحصولات الزراعية فى هذه التجربة قد ارتفعت بنسبة تصل الى ثلاثين بالمائة .

طارق ابراهيم عبدالرحمن
الخرطوم

قرأت

غرائب الاشجار

فى مختلف انحاء العالم توجد اشجار كبيرة يمتد عمرها الى بضع آلاف من السنين .

ففى الهند تنمو أشجار تسمى «جاذيان» مشهورة بحجمها الكبير وعمرها المديد . توجد بينها شجرة يقدر عمرها بثلاث آلاف سنة ، وإذا قدر لك أن تراها لأصابتك دهشة .. عظيمة وظننت انها ليست شجرة واحدة ، إذ انها تشتمل على مايقرب من ثلاثة .. آلاف جذع سميك وثلاثة آلاف جذع رفيع ، ويستطيع أكثر من سبعة آلاف شخص أن يتظللوا تحتها .

وفى أذربيجان توجد شجرة من فصيلة «الدلب» يبلغ محيطها ١٢ مترا تحتوى على فجوة فى جذعها ، يمكن أن تستوعب عشرين شخصاً ، وقد استخدم فراغ هذه الفجوة كصالة للشاى ذات منضدتين وعشرة مقاعد

وفى لبنان بالقرب من بلدة «بشرى» تقع الغابة «المقدسة» ، غابة أرز الرب ، وتتألف هذه الغابة من ٤٠٠ شجرة تقريباً من أشجار الأرز ، يبلغ قطر أكبرها ١٥ مترا . وهذه الغابة هى من بقايا غابات الأرز الكثيفة التى كانت تغطى لبنان كله فى قديم الزمان ، ومن بين هذه الاشجار توجد ١٤ شجرة يزيد عمرها على ١٥٠٠ سنة .

والمعروف عن شجرة الأرز أن خشبها لايتعرض للفساد والعفن

فوزى المصمودى
تونس



مسجد الأشرفية ، شيده الحاج أبو درويش تقربا الى الله سبحانه وتعالى

عمّـــان

عبـــاءة الحب والأشـــواق

نبيل خالد الأغا

على البعد أحببتها ، وعلى القرب عشقتها ، قضيت بها زمناً رمادياً يوم تدثرت بعباءة النكسة ، وقضيت بها زمناً اقحوانياً وهى تنضو عنها تلك العباءة بهمة لا تعرف الكلل ، وبعزيمة تنكر كل خنوع واستسلام .

حنت على نزلائها ، فاحتضنتهم فى مهجتها وصهرتهم فى قلبها الكبير ، لم تفرق يوماً بين شركسى مسلم أو عربى مؤمن . أغدقت عليهم الحب فأخلصوا لها العطاء ، استمدوا من جبالها الشم الانفة والشمم والكبرياء . بعناقيد العرق المتصبب من جباههم نحتوا الصخور وأحالوها الى مبان وفلل وعمارات ، بسواعدهم المفتولة ، وباصرارهم الأكيد حفروا بطون الجبال وسفوح الوديان فأحالوها الى شوارع منظمة ، وحدائق منسقة لا تملك وأنت تتجول بين أرجائها إلا أن تبدي دهشتك وتقديرك لهذا الجهد الكبير الذى شاركت فيه الدولة بامكاناتها المحدودة . والمواطن بطاقاته غير المحدودة ولسان حالك يقول : كيف حدث هذا ؟

...إنها مدينة الأشواق ، لا تكاد تغادرها حتى تحن اليها ، واذا حننت اليها فلن يطفىء جذوة حنينك هذا سوى شىء واحد : أن تتوجه اليها بلا تردد لأن التردد يزيد من اصرارك للرحيل اليها !!

● ● ●

من مطار الدوحة الدولى انطلقت بنا



جبل عمان . أحد الأحياء الراقية فى العاصمة الأردنية .

● لاحت لنا عمان تتلألأ فى ليل تموز كأنها عروس فى ليلة الزفاف

● عندما اضطهد الفرنسيون رجالات الحكومة السورية لجأ أكثرهم إلى عمان

● كان الأمير عبد الله يعيش فى خيمة كبيرة تتميز بالبساطة المتناهية

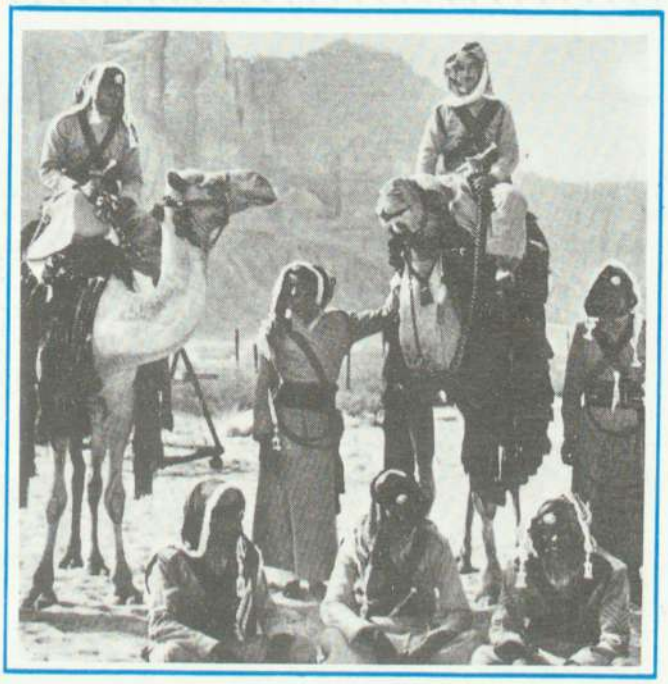
طائرة «البوينج» التابعة لشركة الخطوط الجوية الملكية الأردنية «عالية» فى موعدها المحدد . احدى المضيفات بالطائرة تبالغ فى الترحيب بنا ، أنبأتنا بأن الرحلة الى عمان ستستغرق ساعتين وعشر دقائق وبمعدل ٩٠٠ كم فى الساعة .

أخذت الطائرة مسارها الطبيعى فى الأجواء العربية السعودية على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم . ولم نشعر بالضجر الذى كثيراً ما يعترى المسافرين ويرهق أعصابهم ، لقد كان شوقنا الى عمان يطفىء كل شعور بالملل ، وقرأت أثناء الرحلة كل صفحات الجرائد الأردنية اليومية الثلاث : الرأى ، الدستور ، الأخبار والتى تحمل نفس تاريخ الرحلة .

وقبيل انتهاء الفترة الزمنية المحددة للوصول أعلن أحد المضيفين بأنه يتوجب علينا ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين استعداداً للهبوط فى مطار عمان الدولى بعد ربع ساعة .

من النافذة الضيقة مددت بصرى نحوها أتفرس فى قسمات وجهها الصبوح الذى غابت عنى طلعته ، ولاحت عمان تتلألأ فى ليل تموز الرقراق وكأنها عروس مزينة بأبهى حلل الجمال فى ليلة الزفاف ، وعناقيد النور الهامس تطوق جيدها الفاتن فتزيدها سحراً وروعة وجاذبية ...

رجال الهجانا الأشداء



منظر عام للجامعة الأردنية .



وبدأت الطائرة فى الهبوط ... وقلوبنا معها تقبل أرض الأشواق والبطولات ... لقد كان مطار عمان يموج بحركة طيران دائبة نشطة لكنها عادية فى مثل هذا الوقت من كل عام حيث موعد عودة المغتربين الأردنيين القادمين من كل الجهات الأصلية الأربع .

وقبيل أن نتخطى أعتاب المدينة البيضاء تعالوا بنا نقرأ بعض الصفحات من حياة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية .

الجذور

أطلق عليها التاريخ أكثر من خمسة أسماء اكتسبت اسمها الأول من مؤسسها «عمان ابن لوط» ، ثم صارت عمون ، ربة عمون ، ربة بنى عمون ، فيلادلفيا ، عمان البلقاء ، وبعد مسيرة طويلة فى التاريخ عادت الى اسمها الأول «عمان» بفتح وتشديد.

وقد اتخذها العمونيون العرب عاصمة لمملكتهم الزاهرة وأسموها «ربة عمون» أى عاصمة عمون ، وفى القرن الثالث قبل الميلاد أطلق عليها الرومان اسم «فيلادلفيا» بمعنى «المحبة الأخوية»

ولما ازداد انتشار المسيحية فى القرن الثالث الميلادى صارت عمان «أبرشية» للامبراطورية البيزنطية .

وخلال مسيرتها التاريخية الطويلة خضعت عمان للآشوريين والكلدانيين والهكسوس والفرس ، واليونان والرومان .. وقد خلفوا وراءهم الكثير من الآثار التى تدل على ازدهار المنطقة فى العهود المختلفة ،ومن أبرز هذه الآثار «المدرج الرومانى الكبير» الذى يتسع لستة آلاف متفرج . وقد بنيت مقاعده فى جوف الجبل ، لكن المسرح اختفى مع مرور الزمن ولم تبق إلا أصوله ، وبعض الأعمدة التى كانت مقامة ، ومازالت الساحة حتى يومنا هذا تشهد الكثير من الحفلات والمناسبات المختلفة .

ومن الآثار البارزة أيضاً «قلعة عمان» وتقع على جبل القلعة الذى يطل على المدينة من الشمال والشرق وقد أنشىء عليه فيما بعد «متحف الآثار الأردنى» .

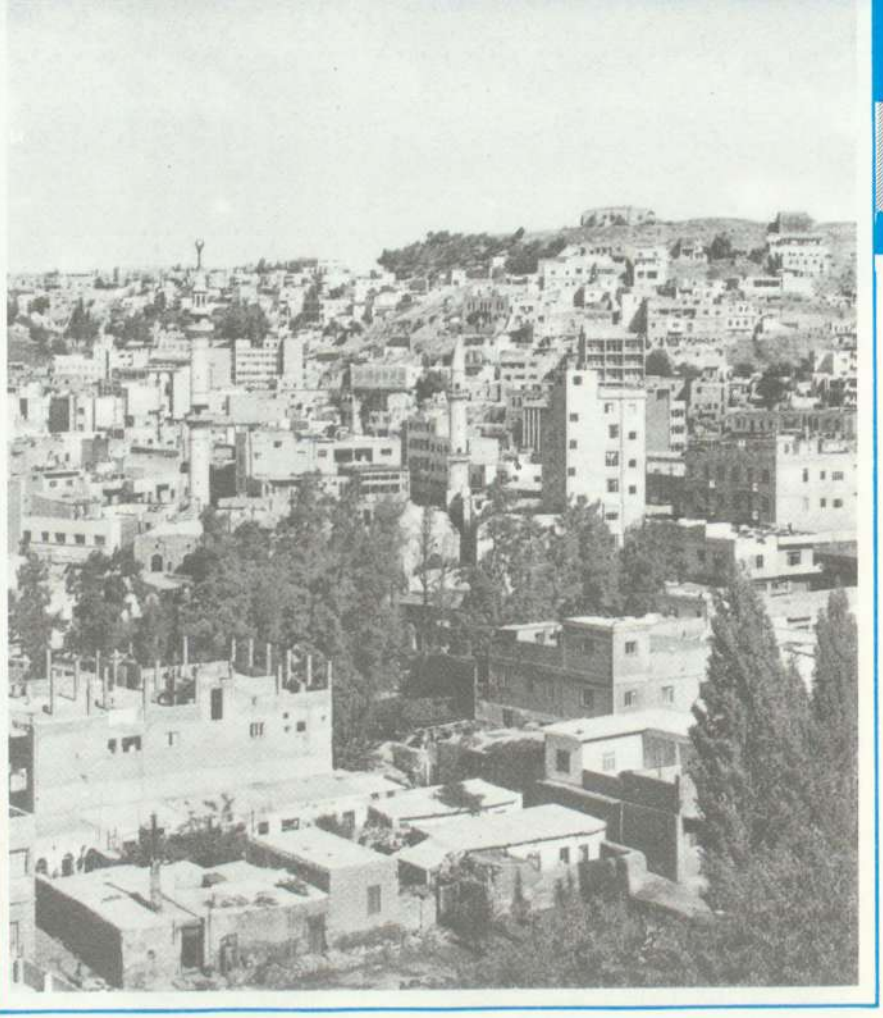
وتحيط الأودية بجبل القلعة من كافة جوانبه عدا الجانب الذى حفر فيه خندق كبير ليقوم بعزل القلعة اضافة الى سور ضخم أقيم حول القلعة المحصنة بالأبراج الضخمة ، ويوجد فى القلعة آثار معبد «زيوس» والذى يعتقد بأن بناءه يعود الى القرن الثالث الميلادى . أما بقية الآثار الموجودة على جبل القلعة فتعود بتاريخها الى العهود الرومانية والبيزنطية والعربية وتشتمل على معبد هرقل وبقايا «القصر» . أما ما تبقى من آثار فى الجانب الشرقى فهو يشكل جزءاً من العصر الحديدى .

ويعتقد خبراء «دائرة الآثار الأردنية» بوجود آثار مهمة أخرى فى القلعة ، ولذلك فان الدائرة تبذل جهوداً واضحة فى الحفر والبحث والترميم .

عمان فى التاريخ العربى الاسلامى

كانت عمان معروفة لدى العرب قبيل الفتوح الاسلامية . وقد ورد اسمها فى الشعر العربى ، وورد فى حديث نبوى شريف أورده ابن عساكر عن مكحول أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «لتمخزن الروم الشام أربعين صباحاً ، لا يمتنع منها إلا دمشق وعمان» .

وفى عهد الفتوحات الاسلامية فى صدر الاسلام .. وبالتحديد فى الربع الأول من القرن السابع للميلاد استقبلت عمان سرايا المسلمين بقيادة يزيد بن أبى سفيان فى خلافة أبى بكر الصديق ودخلت فى حوزتهم ضمن بلاد سوريا الجغرافية التى كانت حدودها تمتد من البحر الأبيض المتوسط غرباً الى نهر الفرات شرقاً ، ومن الحدود الرومية شمالا الى صحراء سيناء جنوباً .



منظر عام لأحد الأحياء الشعبية .

وقد قسم بر الشام فى ذلك الوقت الى خمس مناطق ادارية ، كل منطقة تدعى «جند» بمعنى «محافظة» وهى : جند الأردن ، جند حمص ، جند دمشق ، جند قنسرين ، وكانت عمان ضمن جند فلسطين الممتدة من رفح الى اللجون ، ومن يافا الى عملن ، وعاصمتها مدينة الرملة . اما جند الأردن فكانت عاصمتها مدينة طبرية ، ومن ضمن مدنها صور وبيسان وعكا ودرعا واربد .

وضمن من دخلها من قادة الاسلام العظام فى ذلك الحين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أول عامل عينته القيادة الاسلامية على سوريا بعد دخولها الاسلام ، ثم توالى على زيارتها كثير من ائمة المسلمين ووجهائهم سواء للاقامة فيها أو للمرور بها فى طريقهم الى الشام والعراق .

ولم يكن ذلك التحول الكبير فى مكانة عمان إلا بسبب فتحها ، حيث أصبحت ملتقى لمواكب الحجيج وقوافل التجارة العربية ومنطلقاً للفتوحات الاسلامية التى قهرت الروم وحطمت غرورهم .

نزل عمان الوليد بن عبد الملك وسليمان بن الوليد وكثير من أمراء بنى أمية وشادوا بها الصروح والقصور الباذخة مثل : قصر جالوت ، وقصر المشتى ، وقصر الحلابات ، وقصر عمرة ، وقصر القسطل .

وفى زمن خلافة عبد الملك بن مروان صارت تضرب فى عمان النقود الاسلامية المختلفة ، كما شهدت الكثير من الأنشطة الاسلامية .

بيد أن ازدهار عمان الذى عرفته منذ أقدم العصور أصابه بعض التخلف بعد قيام الدولة العباسية ، فقد غرقت عمان فى عزلتها ، وتخطتها الاحداث ، وقاست بسبب الثورات المتعددة التى قام بها مؤيدو الامويين كما يقول أستاذنا الدكتور فواز احمد طوقان .

ويعتبر «جامع عمان الكبير» من أهم الآثار الاسلامية التى شيدت فى العصر العباسى ، وقد وصفه المقدسى بانه «جامع ظريف بطرف السوق ، مفسفس الصحن شبه مكة» . كما وصف المدينة بقوله : «عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ، ورستاقها البلقاء ، معدن الحبوب والأغنام ، بها عدة أنهار وأرحية يديرها الماء ، رخيصة الأسعار ، كثيرة الفواكه ، غير أن الطرق اليها صعبة» .

والى عمان ينسب الفقيه أسلم بن محمد الكنانى العمانى المتوفى عام ٣٢٥ هـ ، والمحدث الفقيه أبو الفتح بن مسرور العمانى .

واضافة الى المقدسي فقد ذكر عمان كثير من المؤرخين فى طليعتهم ابن الأثير وياقوت الحموى ، وابن عساكر ، وأبى الفداء . كما زارها كثير من الرحالة الأجانب من أبرزهم الجوال السويسرى «بير كهارت» .

• • •

لقد أدرك البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى قيمة عمان السوقية (الاستراتيجية) ، فجدد تحصينها وتسليحها ، واتخذها مركزاً ضمن ثلاثة مراكز لتجمع جيوشه التى انطلقت الى فلسطين ، وخاضت ببطولة متناهية معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧ ميلادية ، حيث حلت الهزيمة بالصليبيين كما هو معروف .

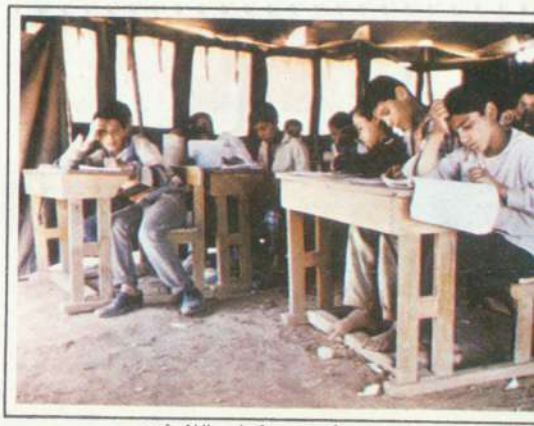
ثم دخلت عمان ضمن الاطار العثمانى مثل بقية المدائن العربية ، فلم يعد لها كبير شان ولم تزد عن كونها مجرد محطة لمواكب الحجيج ، وقوافل التجار وافواج السياح الذاهبين الى البتراء والآيبين منها .

الشراكسة فى عمان

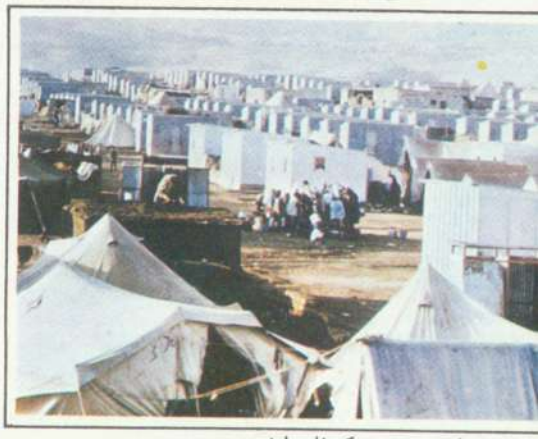
فى ايام روسيا القيصرية تعرض الشراكسة فى القفقاس الى اضطهاد دينى وعنصرى بشع لم يتحملوا قسوته ، فهاجروا بعقيدتهم الاسلامية لاجئين فى حمى الامبراطورية . فاصدر السلطان عبد الحميد أوامره بتوزيعهم على المناطق التى يتوفر فيها الماء . وفى أوائل عام ١٨٨٠ ميلادية وصلت أول مجموعة منهم ونزلت فى "خرائب عمان" ووادى السير .

وفى مطلع هذا القرن وفدت جماعات اخرى فانشات قرية ناعور ، وهناك مجموعات اخرى استوطنت الرصيفة وجرش وصويلح .

ومن ضمن الأسر الاسلامية العريقة التى هاجرت من قفقاسيا الى شرقى الأردن قبيلة «الشيشان» التى وصلت عام ١٩٠٦ واستقر افرادها فى الزرقاء وصويلح والسخنة والرصيفة .



فصل دراسي في أحد معسكرات اللاجئين .



جانب من معسكر فلسطيني .

ولما استتب للشراكسة الأمن ، وطاب لهم المقام في شرقي الأردن تشجع كثيرون من أهل الطموح في فلسطين وسوريا والعراق والحجاز فتقاطروا الى عملن واستوطنوا فيها .

يقول عبد الكريم غرايبه واصفاً عمان في القرن التاسع عشر : « .. لم تكن عمان مسكونة في ذلك الوقت ، بل بقيت مجرد ماء يرده العربان الى أن استقر فيها الشراكسة بعد عام ١٨٧٨ ميلادية وعمروها ، كما عمروا جرش والزرقاء ووادي السير» .

وفي عام ١٩٠٠ ميلادية وصفتها السيدة «فرنسيس املي نيوتن» في كتابها «خمسون عاماً في فلسطين» فقالت «وما كانت عمان اذ جئناها إلا خربة شرقية قذرة مذرة بشارع واحد بمخازنه وحوانيته شراكسة اشتهروا بالبأس وشدة المراس ، وكانت هجرتهم الى هذه البقعة ليعمروها ارادة سنية عنت للسلطان عبد الحميد ، وقد ارادهم أن يقفوا في وجه البدو الرحل فيسلم الحضر» .

وفي عام ١٩٢١ زارها خير الدين الزركلي فذكرها بقوله : «عمان عبارة عن قرية قليلة السكان ، ضئيلة المباني ، مظلمة السبل لا يصل بينها وبين تاريخ مجدها إلا ما شخص من آثارها ، ولا يدل على امكان الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بني صخر وبني حسن وعباد والعدوان . يردون عليها بين الفترة والفترة فيبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم ، ويبتاعون منها ما يكتسبون ولولا ذلك لانفرد بسكناها جماعات من الشراكسة نزحوا اليها» .

عمان .. دار الهناء

قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ببضعة أعوام اكتسبت عمان بعداً جديداً في موقعها حيث بدأ العمل بمد خط السكة الحديد بين دمشق والمدينة المنورة ، وتم انشاء الخط بين دمشق وعمان ثم وصل الى معان .. وأخيراً وصل الخط الى المدينة المنورة قاطعاً نحو ١٣٠٠ كم .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ اتخذ الأتراك من عمان مقراً



فنانة أجنبية في عمان ترسم لوحة «قطاف العنب» .



لوحة «صباب القهوة» .

قبل ثمانين عاما كانت عمان عبارة عن شارع واحد به شراكة أشداء

لتجمع قواتهم العسكرية بسبب وقوعها على خط السكة الحديد . وصارت مركزاً لـ «ناحية» يعرف حاكمها باسم مدير الناحية تابعة لقضاء السلط .

وفى حزيران عام ١٩١٦ قاد الشريف حسين بن على ثورة العرب الكبرى ضد الأتراك . ونتيجة لتعاون الجيش البريطانى ـ بقيادة الجنرال اللنبي ـ مع جيش الثورة العربية ـ بقيادة الأمير فيصل ـ تمت هزيمة الأتراك وانتهى التسلط العثمانى على الديار العربية الذى استمر أربعة قرون كاملة (١٥١٧ ـ ١٩١٨ م) .

وأثناء الحكم الفيصلى غدت عمان مركزاً للواء العسكرى المرابط فى الأردن . وعندما اعتدى الاستعمار الفرنسى على الحكومة السورية المستقلة ، واضطهد رجالاتها ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ لجأ الكثيرون منهم الى عمان فوجدوا فيها دار هناء وسلام فاقاموا فيها وعمل الكثيرون منهم فى التجارة وبدأت عمان فى الانتعاش فى كثير من أوجه الحياة بها .

غير أن الخطوة الحاسمة فى تاريخ عمان هى وصول الشريف عبد الله بن الحسين «الملك عبد الله فيما بعد» اليها قادماً من مكة المكرمة فى الثانى من مارس عام ١٩٢١ ، حيث بايعه أهلها ، وأسس إمارة شرقى الأردن.

ولم تلبث بريطانيا ـ الدولة المنتدبة ـ أن اعترفت عام ١٩٢٣ باستقلال الامارة الاردنية مع استثنائها من أحكام وعد بلفور . وبقيت الامارة تحت الانتداب حتى انتهت الحرب العالمية الثانية ، فنالت استقلالها عام ١٩٤٦ وأصبحت تعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية ، ونودى بالملك عبد الله ملكاً دستورياً لها .

● ● ●

بعد تشكيل أول حكومة فى تاريخ الاردن قام الرحالة المسلم «محمد أسد» بزيارة عمان ، فقال عنها : «تعرفت فى القدس الى الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن الذى دعانى لأن أزور بلاده ، وهناك رأيت لأول مرة بلاداً بدوية حقيقية كانت عمان المبنية على اطلال فيلادلفيا فى ذلك الوقت مدينة مغمورة لا يتجاوز عدد سكانها ستة آلاف نسمة ، كانت شوارعها مليئة بالبدو ، واذا لم يكن بالمدينة أبنية مناسبة فقد كان الأمير عبد الله يعيش فى تلك الأيام فى مخيم على رابية تشرف على عمان (ماركا حالياً) . وكانت خيمته أكبر نوعاً من سائر الخيام ومؤلفة من عدة غرف تفصل بينها قواطع من القماش وتتميز بالبساطة المتناهية» .

أما المؤرخ البريطانى «لانكستر هاردنج» فقال عنها «عندما زرت عمان للمرة الأولى عام ١٩٣٢ لم تكن أكثر من قرية كبيرة لأن السلط كانت أكبر بلدة فى شرقى الاردن خلال العهد التركى ، ولم تكن عمان سوى قرية صغيرة أخرى من قرى الشركس . وفى إبان الحرب العالمية الثانية جلبت الحرب رفاء عظيماً للبلدة وبدأت مناطق السكن تنتشر وتتسع فوق التلال ، وعندما أصبحت الحرب على نهايتها أصبح اتساع العمران سريعاً وملحوظاً» .

التطور الحقيقى

أما التطور الحقيقى للعاصمة الأردنية فقد تم على مرحلتين : الأولى عام ١٩٤٨ وهو عام النكبة



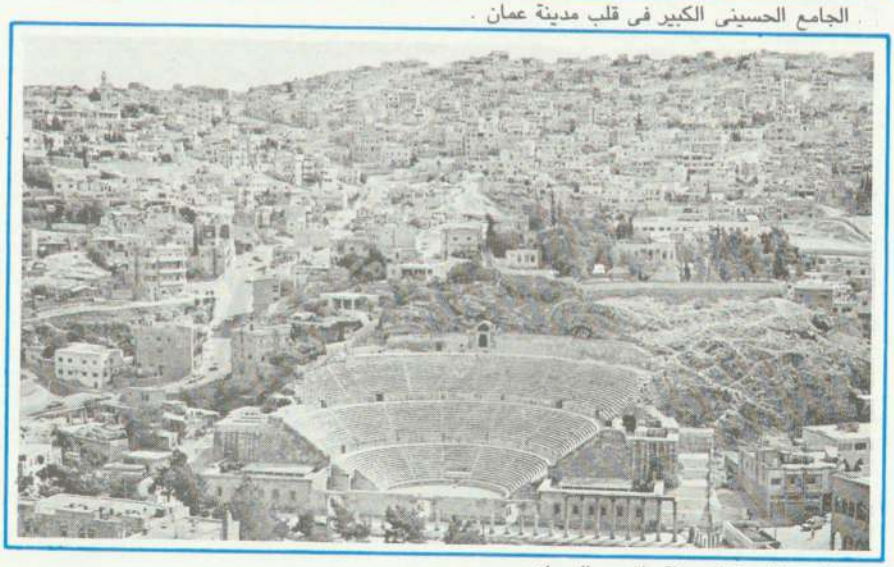
عازف الربابة .



فى الطريق الى العين .



الجامع الحسينى الكبير فى قلب مدينة عمان .



عمان ـ المدينة الحديثة والمدرج الرومانى ـ .



جانب من المدينة الرياضية .

الفلسطينية حين هاجر اليها عدد كبير من ابناء فلسطين «حيث تيسر لهم العيش الكريم ، وعملوا باموالهم وعلومهم وخبراتهم على دفعها لتحتل محلها اللائق بين زميلاتها عواصم الدول العربية» . ومما ساعد على ازدهارها كذلك اعلان وحدة الضفتين الغربية والشرقية (١١ ـ ٤ ـ ١٩٥٠) ، وهو الأمر الذى ضاعف الثقة فى المستقبل وأدى الى تدفق رؤوس الأموال عليها باعتبارها العاصمة ومركز المملكة التجارى والصناعى .

الثانية عام ١٩٦٧ وهو عام نكسة حزيران حيث استولت «اسرائيل» على الضفة الغربية وقطاع غزة مما اضطر آلاف السكان العرب للنزوح الى الضفة الشرقية حيث تدفقت رؤوس الأموال ونشطت حركة البناء والعمران . فزحف الاعمار على الجبال والمرتفعات ومناطق زراعية واسعة ، وهاتان المرحلتان لهما اكبر الأثر كذلك فى زيادة عدد السكان . وتدلنا الاحصائيات بأن عدد سكان عمان فى عام ١٩٢٢ لم يتجاوز الألفى نسمة . وصل فى عام ١٩٥٠ الى مائة الف نسمة وعددهم اليوم يربو على ٨٥٠ الف نسمة.

وبسبب احداث لبنان عام ١٩٧٥ انتقل الى عمان كثير من التجار والموسرين فنشطت الحركة التجارية والعمرانية ، إضافة الى أن الاستقرار السياسى والاقتصادى فى الأردن شجع الغالبية العظمى من المغتربين الأردنيين على استثمار اموالهم داخل الأردن .

وأدى التنافس فى هندسة البناء الى ظهور نهضة عمرانية ذات ذوق وجمال تتمثل بصورة واضحة فى الفلل الرائعة البديعة المنتشرة فى جميع الأحياء الراقية بالعاصمة . وقد أدى تدفق الرساميل الى ارتفاع هائل فى مستوى المعيشة تمثل فى غلاء فاحش فى تكاليف الحياة المختلفة ، الأمر الذى وضع الأردن ضمن اكثر دول منطقة الشرق الأوسط ارتفاعاً فى الأسعار .

ورافق التقدم العمرانى نمو مطرد فى ميدان الصناعة التى من أهمها : صناعة الرخام والمرمر ، والسجاير ، والبطاريات،

والبسط ، والاكلمة ، والالمنيوم ، والشيكولاته ، ومعلبات الخضار والفواكه ، والأدوات المنزلية والبلاستيكية ، والورقية ، والزجاج .الخ

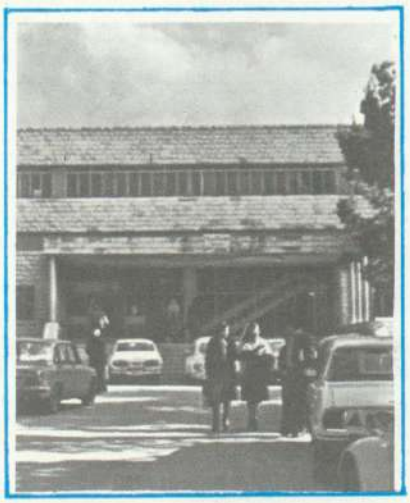
إن الصناعة الأردنية صناعة جيدة ومتقدمة الى حد ما ، غير أنها تعانى من صغر السوق المحلى ومن صعوبة اختراق الأسواق الأخرى لما يتطلبه ذلك من قدرة تنافسية عالية .

مخيمات العائدين

تعاونت الحكومة الأردنية مع وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم وتمت اقامة عدد من المخيمات لسيول اللاجئين التى أخذت تتدفق على عمان عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وأهم هذه المخيمات وأكبرها حجماً : الوحدات ، الحسين ، البقعة ، ماركا ، ويزيد عدد سكانها عن ثلاثمائة الف نسمة ، وتتوفر فيها الحوانيت والمدارس والنوادى ، ويشارك جميع سكانها فى الحياة الاقتصادية الاردنية كمواطنين عاديين ويحملون الجنسية الأردنية ويتمتعون بكافة حقوق المواطنية الأردنية وتبعاتها ، وهم فى هذه النقطة بالذات يتميزون عن بقية اخوانهم من الفلسطينيين الذين نزحوا الى أقطار عربية أخرى حيث يحملون «وثيقة سفر اللاجئين الفلسطينيين» .ويتيح الدستور الأردنى لكل الأردنيين الذين هم من أصل فلسطينى حرية الانتخاب والترشيح وشغل أعلا المناصب فى الدولة ، وحق التملك والعمل ، وهذه ميزات خاصة لا تتوفر فى دستور أية دولة عربية أخرى سوى الأردن .

جغرافية عمان

تقع عمان وسط المملكة تقريباً جنوبى دمشق وشرقى القدس ، ترتفع بمقدار ٧٩٠ متراً عن سطح البحر ، تبعد عن العاصمة السورية مسافة ١٧٠ كم ، وعن الحدود العراقية ٣٤٣ كم ، وعن البحر الميت ٥٨ كم ، وعن البحر الأحمر ٣٣٥ كم وعن بيروت ٢١٣ كم ، وعن القدس ١٠٧ كم ، وعن الدوحة ١٨٦٥ كم .



● واجهة كلية التربية بالجامعة الأردنية .

وهى مبنية على سلسلة من الجبال الشهيرة ومن أهمها : جبل الحسين ، واسمه التاريخى جبل الطهطور . جبل عمان واسمه التاريخى جبل الملفوف . جبل اللويبدة وهو منسوب الى عشية برية اسمها لويبدة . جبل الشميسانى نسبة لشروق الشمس . جبل الأشرفية . جبل التاج وكان يسمى جبل خريطة الذى اخترقته سكة الحديد . جبل الجوفة وهو مجوف بمحاجره . جبل القصور . جبل الهاشمى واسمه التاريخى جبل خنيفسة جبل النصر واسمه القديم وادى الرمم . جبل النظيف نسبة الى المهندس المقدسى نظيف الخالدى الذى كان مساعداً للمهندس المستر مايستر الألمانى الذى نفذ مشروع سكة حديد الحجاز . ربوة ماركا .. وهى طريق قديم مده الرومان من العقبة الى الرقة .. وهى اليوم تمثل قلب عمان الصناعى .

الجامعة الاردنية

تقع الى الشمال الغربى من عمان وسط غابة كثيفة من الأشجار تضفى عليها الوقار والهدوء والجمال ، وهى قريبة من عمان قرباً غير متصل ، وبعيدة عنها بعداً غير منفصل .. وهى مؤسسة علمية وطنية لها استقلالها الذاتى التى نص عليه القانون ، وهى جامعة الدولة فى نفس الوقت ، تخدم المجتمع الاردنى وأبناء الأمة العربية حيثما كان ذلك ممكناً .

وقد تاسست الجامعة عام ١٩٦٢ ، وتضم اليوم تجمعين رئيسيين :

أ) العلوم الانسانية وتشمل كليات : الآداب ، الاقتصاد ، التجارة ، الشريعة ، التربية ، القانون ، والفنون الجميلة والحقوق .

ب) العلوم التطبيقية وتشمل كليات : العلوم ، الطب ، التمريض ، الزراعة ، الهندسة .

وهناك محور اجتماعى يشكل نقطة الاتصال بين الجامعة والمجتمع ويشمل : المستشفى الجامعى الذى يعد من أحدث المستشفيات فى المنطقة ، والملاعب الرياضية والاستاد ، ومبنى النشاط الجامعى والمكتبة والادارة والمسجد ، وفى الخلف تتركز منازل الطلبة والاسكان الجامعى .

كان عدد الطلبة الذين التحقوا فى العام الأول من عمر الجامعة ١٦٧ طالباً وطالبة وفى هذا العام بلغ عددهم ١٥٠٠ (عشرة آلاف وخمسمائة) طالب وطالبة !

هذا وتمنح الجامعة الاردنية حالياً درجة البكالوريوس فى ثلاثين تخصصاً ودرجة الماجستير فى أحد عشر تخصصاً

وتتمتع الجامعة وهيئة التدريس وخريجوها باحترام وتقدير على كافة المستويات والأصعدة العلمية والاجتماعية فى الوطن العربى نظراً للكفاءة العالية والمستوى الرفيع الذى تتميز به .

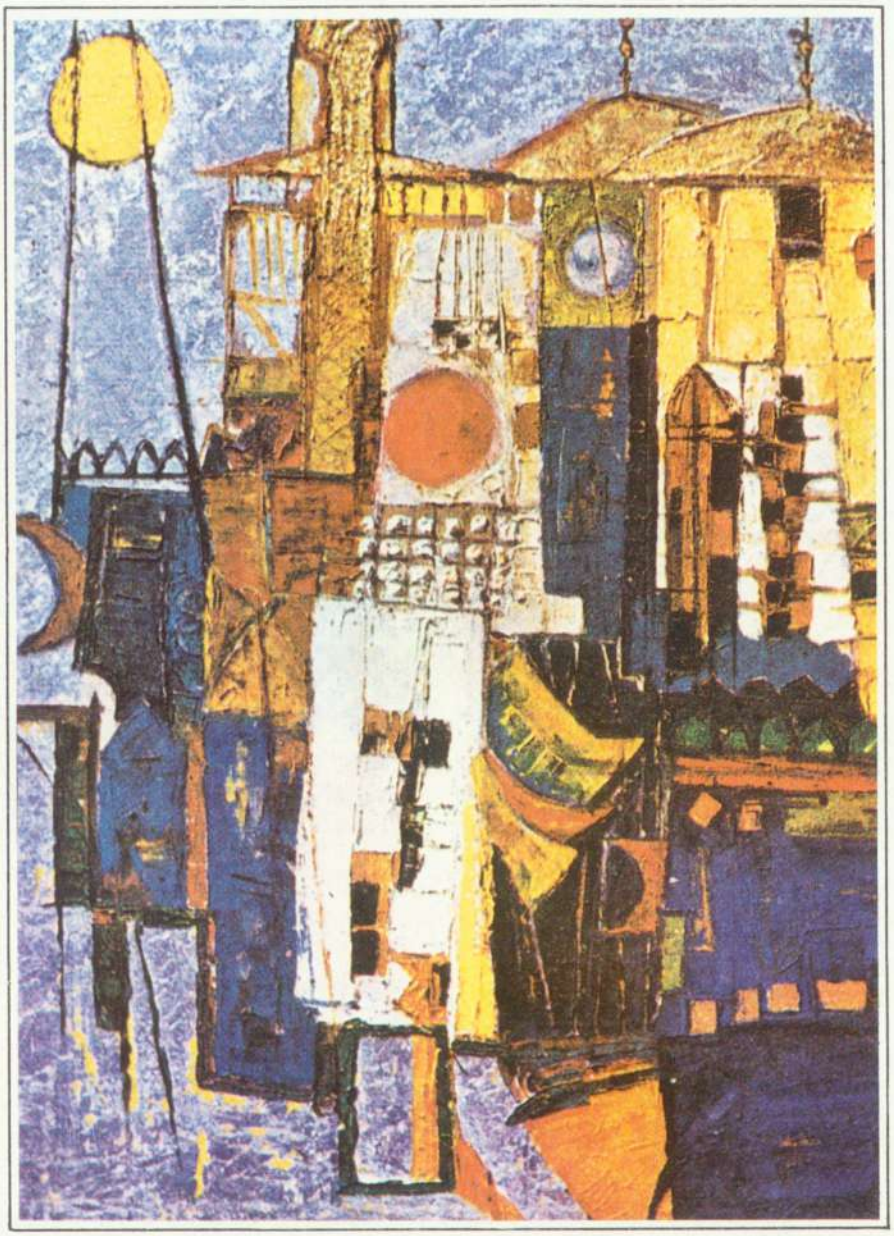
هذه هى الجامعة الاردنية فى إيماءة موجزة ، صرح علمى ناشىء فى بلد علمى نام تكافح فى سبيل تحقيق أهدافها بسعة من طموح ورافد من ارادة.

● ● ●

أثناء عودتى الى الدوحة أخذت أردد أبياتاً للشاعر أنور العطار يقول فيها :

عَمَّـــان حلـم تُناجيـه قوافينـــا
فتستفيقُ على النجـــوى ليالينـا
ماذا على القلـب إنْ هاجت هوائجه
فـراح ينشد أشعار ابن زيدونـــا
لكنمـا العينُ مازالت مؤرقـــةٌ
تبكـي الأحبةَ فى دنيا فلسطينـــا

نبيل خالد الآغا



جزء من لوحة المنائر الذهبية للفنان العراقي غازي السعودي .. رغم دراسته الأكاديمية في روما إلا أننا نلاحظ الطابع التراثي بين تجريداته اللونية الصارخة .



احدى لوحات «رينوار» التأثيرية .. كانت تطوراً طبيعياً مواكباً لاستحداث نظريات الضوء .



تجريد لوني للفنان «هانز هوفمان» .. هل يتفاعل المشاهد عندنا مع هذا النوع من الفن ؟

أزمة الفنون التشكيلية في العالم العربي

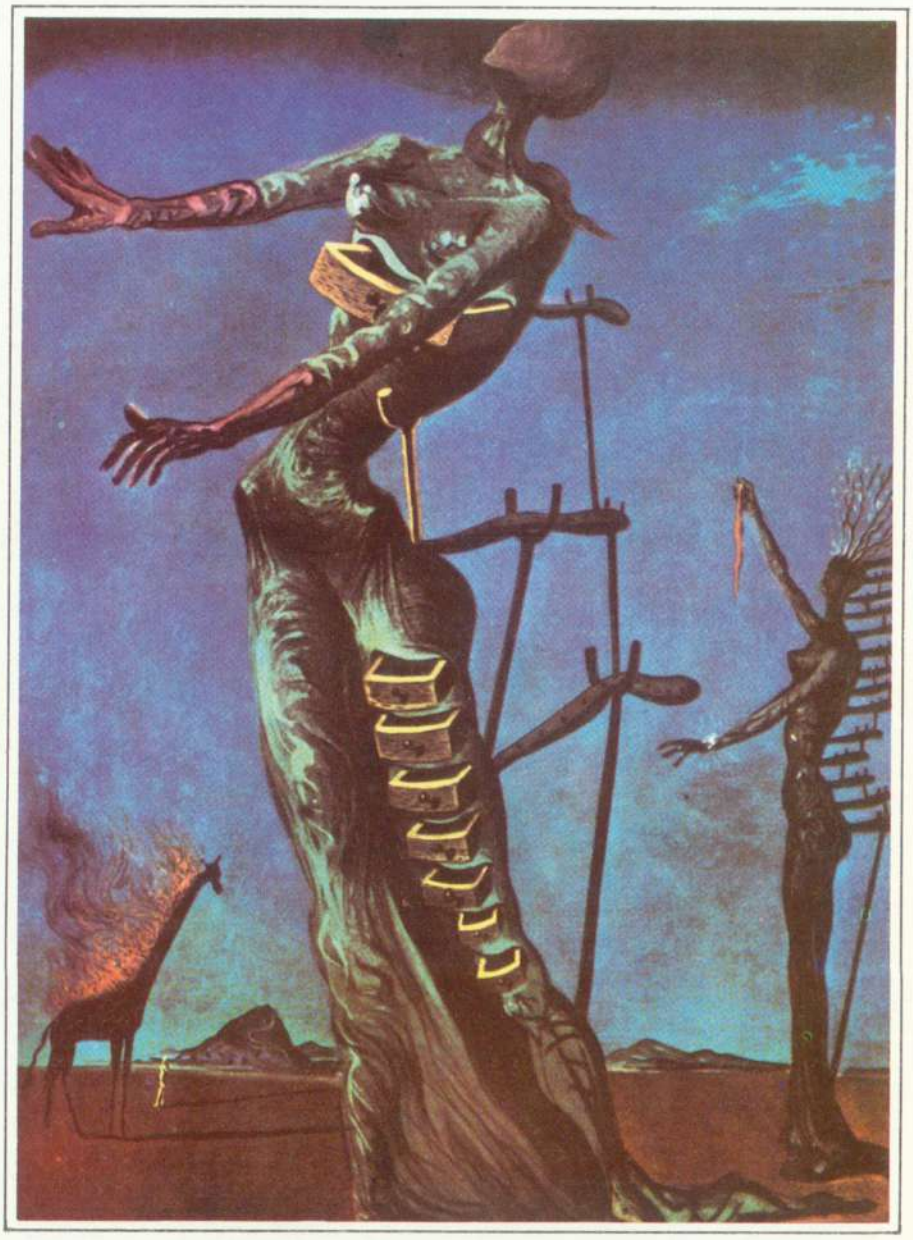
الأصالة

وعناصر التذوق الفني

جمال قطب

استعرضت ـ من قبل ـ جانباً من الوقائع والمسببات لعزلة الفنان عن الجماهير وانفصاله عن حركة التيار الابداعي المعاصر لأمتنا العربية .. والقيت الضوء على الحشد الزاخر من النزعات المتضاربة في مدارس الفنون الحديثة في أوروبا ، وتأثير تلك التيارات على شبابنا الموفدين الى العواصم الأوروبية كطلائع الرواد الذين انعقدت عليهم الآمال الكبار ليقودوا المسيرة الابداعية في بلادنا ..

ولكن فاقد الشيء لا يعطيه ، فقد



لوحة للفنان «سلفادور دالى» .. أشهر السيرياليين الذين هربوا من المواقع ونزعوا الى الأحلام .

لماذا تجمع النقاد الأجانب النزعات الوافدة ، ودافعوا عنها فى استماتة مشبوهة ؟!

تخرجوا فى معاهد أجنبية كل أساتذتها من الأجانب ، لذلك رأينا كيف انساقوا فى فلك المعارك الفنية المستعرة هناك .. غير مسلحين بتقاليد التراث والأصالة التى تحميهم من الاستسلام لهذه المذاهب الغربية .

وقد عايش مبعوثونا هذه التيارات اللاهثة المكدودة هناك ، وتفاعلوا معها وانغمسوا فيها ، وما أن عادوا الى أرض الوطن ، حتى اكتشفوا أن فنهم قاصر كل القصور فى أن يحقق أمل مواطنيهم فى التعبير عن بيئتهم وتقاليدهم العريقة ..

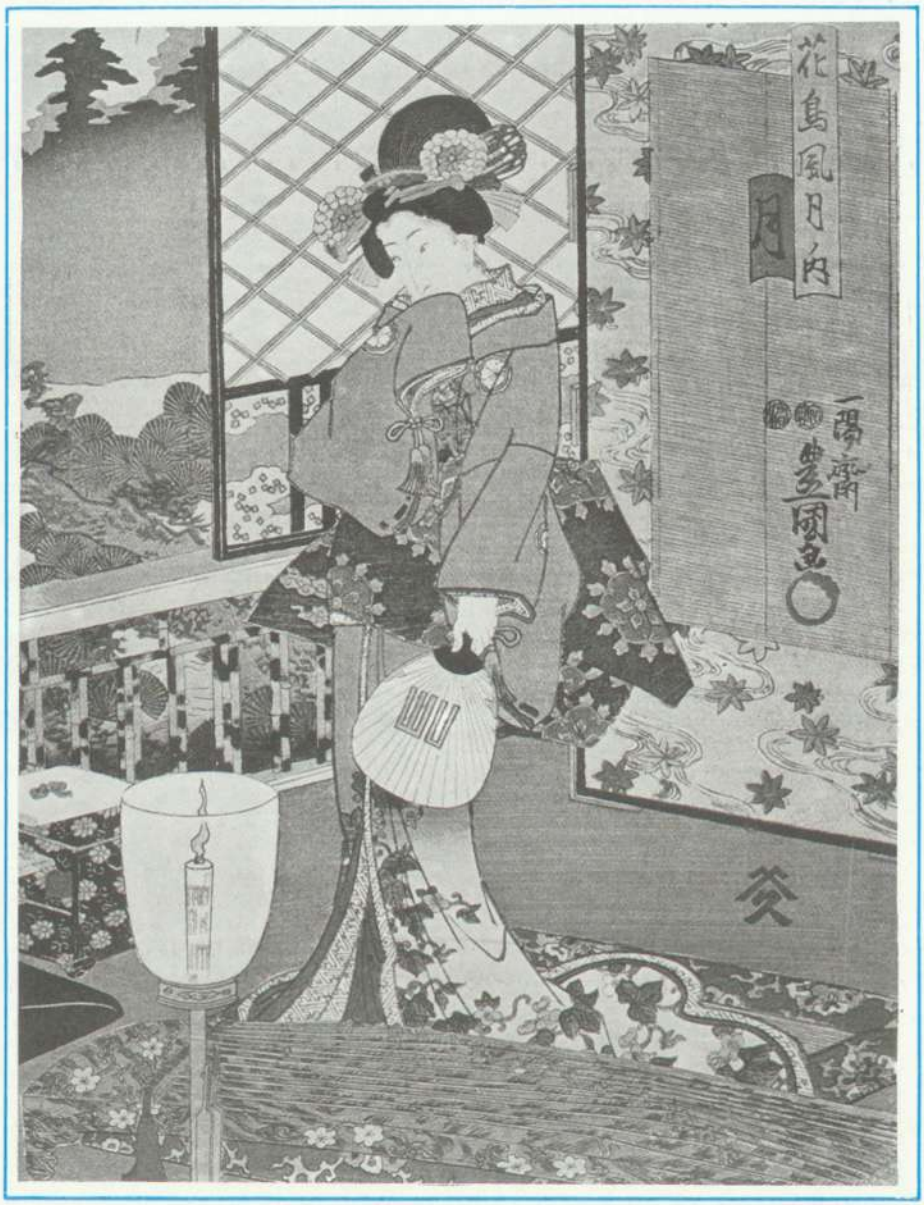
وساعد على تأكيد شرعية هذه الحلقة بما فيها من تقوقع وانعزال ، وجود جماعة من النقاد الأجانب ، شجعت هذه النزعات وباركتها ودافعت عنها فى استماتة مشبوهة .. وعملت على خلق جو وهمى حول الفنان ، كان بمثابة الغشاوة التى طمست بصره وبصيرته وحالت بينه وبين متطلبات مواطنيه القومية والوطنية وهم جمهوره الطبيعى أو المفترض أن يكونوا كذلك !

التراث والفنان

وأجب فى هذا المجال ان اعقد مقارنة بين تأثير هذه المدارس على الفنان العربى وتأثيرها على الفنان الصينى أو الهندى أو اليابانى .. حتى أؤكد حقيقة هامة وهى حيوية التراث واتصاله ورسوخه فى وجدان الفنان ، وكذلك احترام التقاليد البيئية فى حماية الفنان من التأثر السطحى بالاتجاهات والنزعات التى يحتك بها أو يفرض عليه أن يعايشها فترة من الزمن ، فالفنان فى الصين تأثر بالحركة الفنية الحديثة فى أوروبا ، ولكن تأثره بها كان الى حد معلوم وبقدر محدود .. ذلك لأن التراث التشكيلى الصينى كان ومايزال حياً نابضاً فى كيان الفنان وأقوى من أن تطمسه إبهارات الأفكار الواردة الطارئة ، وكانت تقاليد الفنان الصينى المحلية وتأصلها فى الحركة الفنية بمثابة الحصانة ضد الانحرافات الفنية مهما كان مصدرها وتأثيرها .

وكذلك الفنان الهندى ، فقد استفاد من كل الفنون الوافدة والمستحدثة ولكنه لم يستسلم أبداً ويضحى بتقاليده الفنية وطابعه الخاص المميز ، وكان حريصاً على ألا يفقد معالم اللغة الأساسية التى يخاطب بها جمهوره ، بل عمد إلى إثراء هذه اللغة بالتنغيمات العالمية التى أضافها الى طابعه العريق .

وعندما كنت أتناول الفن الاسلامى فى سلسلة من المقالات التى نشرت تباعاً .. توقفت كثيراً عند أصالة الطابع الهندى عبر التاريخ .. فلم يستطع الفن الاسلامى بكل إشعاعاته الروحية وسيطرته الوجدانية أن يذيب الطابع الهندى .. بالرغم من دخول الاسلام شبه



● الطابع الياباني .. لم تستطع المدارس الحديثة أن تؤثر في أصالته وطابعه المميز !

الأصالة وعناصر التذوق الفني

الجزيرة الهندية منذ عهد الخلفاء الراشدين عام ٦٦١ م ، وازداد توثقاً منذ القرن الثامن الميلادى فى فترة الحكم الأموى ..إلا أن الفنان الهندى قد احتفظ بالكثير من أساليبه التى استمدها من التقاليد الفنية الهندوكية التى كانت من الرسوخ بحيث بقيت تضفى على الفن الهندى أصالة وطابعاً مميزاً .. ولم تتشكل فى قوالب من فن (الأرابيسك) الذى عم بلاد الاسلام الأخرى .

أما الفن الياباني ، فبالرغم من ظروف استسلام اليابان فى الحرب العالمية الأخيرة .. وفرض كثير من مظاهر الحضارة الحديثة ذات الطابع الغربى .. إلا أن الفن الياباني مازال محتفظاً بطابعه العريق مع أن الآلاف من الشباب الياباني يتلقون دراساتهم الفنية العالية بشتى معاهد وأكاديميات الفنون الجميلة فى مختلف العواصم الغربية .. ولكنهم لم ينفصلوا أبداً عن طابعهم التراثى المميز .

هذه هى العراقة والأصالة .. واستمرارية الوعى والثقافة التراثية !

مصادر الجمال

وليست دراسة التراث وتأصيل الشعور بالانتماء الوطنى وحدهما كفيلين بخلق الوعى الفنى عند الفنان .. بل يجب أن يشمل التخطيط الثقافى مناهج خاصة بالتذوق الفنى والاحساس بالجمال فى كل جنبات الحياة .. وأن نبدأ فى تدريب بصرنا وبصيرتنا على تلمس مصادر الجمال الفنى إذا أردنا أن نستكمل حلقات الحضارة المعاصرة ، وبذلك نهيىء الجمهور ونصقل بصيرته ليستطيع ان يستمتع بالفنون ويتذوقها ويتفاعل معها .

وهذا جانب آخر من علاج مشكلة تلك الفجوة التى تفصل بين الفنان والجماهير العريضة ، إذ أنه من الظلم أن يتحمل الفنان وحده المسئولية فى هذه الأزمة .. لأن لها جذوراً تبدأ مع أولى مراحل التعليم بالمدرسة !

عناصر التذوق

وكما هو معروف : فالحضارة كل لا يتجزأ .. ولنتصور معاً طفلا سعيداً ينشأ فى بيئة متقدمة مستنيرة تزين اللمسات الفنية كل مظاهر الحياة فيها : فى حجرته الخاصة .. فى أرجاء بيت الأسرة .. فى كتابه المدرسى ، فى وسائل الاعلام كافة ، فى حدائق الأطفال والمتنزهات العامة ، فى مدرسته .. ناهيك عن المتاحف والمعارض التى تبهره وتلهب خياله وتعمق معنى الجمال فى نفسه منذ صغره ...

ولننظر الى واقعنا العربى الذى لا تعوزه الامكانات المادية .. ولكن مسألة الوعى والتخطيط والتبصر .. هى ما نشير اليه باصبع التساؤل والاستغراب! ولست أدرى لماذا نقنع من الحضارة بقشورها دون كنهها فنعوم على السطح عالقين بركاب الغير كالنباتات الطفيلية الخاملة ... وليست ظاهرة الفنان وانفصاله عن الجمهور إلا أحد مظاهر الحياة العامة فى واقعنا المعاصر . ولكننا لسنا بصدد دراسة كل هذه المظاهر .. فما نعنى به هو هذا الجانب الفنى المحدود ، ولنبدأ مع الطفل فى أولى مراحل دراسته لنرى كيف أعددناه نفسياً وتربوياً ليتذوق الفن .

فلا شك أن انقطاع الصلة بالتراث القديم ، وتوالى فترات اضمحلال طويلة

على أمتنا ومعاناة القهر والاستعمار والتمزق .. كل هذا قد حد من أهمية الفنون الجميلة كوسيلة استمتاع فنى لدى الجمهور ، ثم جاءت الصدمة ممثلة فى الانتاج الغريب للفنان المعاصر ومعقمة لغربة الجمهور وعدم استساغته لهذا النوع من الانتاج . ولننظر كيف أعددنا أبناءنا لتتفتح أذهانهم على التذوق والاحساس بالجمال ، فبالرغم من التطور الذى مرت به مناهج هذه المادة وطرق تدريسها ، فقد اعتمدت فى المقام الأول على جانب رئيسى هو التأدية والتلقين ، ولم تعط أية فرصة للتدريب على التذوق وتهذيب الوجدان واكتساب التعود على التمتع بالصورة أو التمثال كنهج وسلوك عام . وانصب الاهتمام على تجويد رسم المفردات المادية والوحدات الزخرفية والتدرب على نقلها وتكرارها .. كواجب سمج ثقيل ، غرس الشعور بالنفور عند معظم التلاميذ ، وأصبح درس الفن وكأنه تأدية أوتوماتيكية مقررة لا يشترك فيها الحس والذوق والوجدان التى هى أدوات التذوق الفنى .. أو هكذا يجب أن تكون .

وساعد فى ترسيخ هذه الجفوة ، الكتاب المدرسى نفسه ، فى وقت نرى فيه أن دول العالم المتقدم تتبارى فى اخراج الكتب المدرسية على أساس مستوى من الأناقة والذوق الرفيع .. وتحشد لها أكبر الرسامين وأمهر المخرجين ليوزعوا لمساتهم الفنية على صفحاتها بوعى واقتدار .. وبخطة علمية وتربوية ، تورد بين صفحاتها كثيراً من اللوحات الفنية العالمية منوهين عن العصر الذى رسمت فيه وعن اسم الفنان والمتحف الذى تعرض فيه حالياً .. والغرض من ذلك ترسيخ القيم الفنية فى ذهن التلميذ وتفتح قدراته ومواهبه .. وتعويده على استيعاب اللوحة الفنية وتذكر أسماء الفنانين والمتاحف .. وخلق جو رائع لهذه العوالم الابداعية الرفيعة .

ومن هنا تولد معانى الاعتزاز بالانتاج الفنى والتطلع لاشباع الهواية وحب الفن كظاهرة حضارية سامية .

أما من ينظر شكلا ومضموناً الى كتبنا المدرسية فى مجملها ، أو الى قصص الأطفال التى تطبع محلياً ، فلا شك أنه يصدم بواقعها وحالتها الراهنة ! وبالرغم من هذا التغيير الشكلى فى تسمية (مادة الرسم) واستبدالها بتسمية جديدة هى (مادة التربية الفنية) إلا أن شيئاً جذرياً لم يتغير .. وبقى الأساس فيها هو التأدية والتلقين وليس تدريب الحس على التذوق الفنى !



● شروق القمر للفنان «هانز هوفمان» .. ماذا تعنى هذه اللوحة للمشاهد العربى بدون تدريب بصيرته ؟

الأساس هو المدرس

وكما ذكرنا فان فاقد الشىء لا يعطيه ! فكيف لنا أن نغير دروس التربية الفنية الى منهج للتذوق الفنى بشكله الواسع .. ونحن نجابه هذا الخليط العجيب من المدرسين القائمين على تدريس المادة ؟ يبدأ بخريجى كليات الفنون الجميلة أو التطبيقية ، وينحدر من حيث التخصص الى خريجى المدراس الصناعية والصناعات الميكانيكية .. ولابد ان نتقبل الحقيقة المرة وهى أن معظم مدرسى التربية الفنية غالباً ما يكونون أنفسهم غير قادرين على تذوق العمل الفنى ، وغير مؤهلين لهذه المسئولية الكبيرة ! لذلك ، فان دروس التربية الفنية لا تمثل بالنسبة للتلميذ أكثر من واجب ثقيل لا يبتغى من ورائه إلا الحد الأدنى لدرجة النجاح .

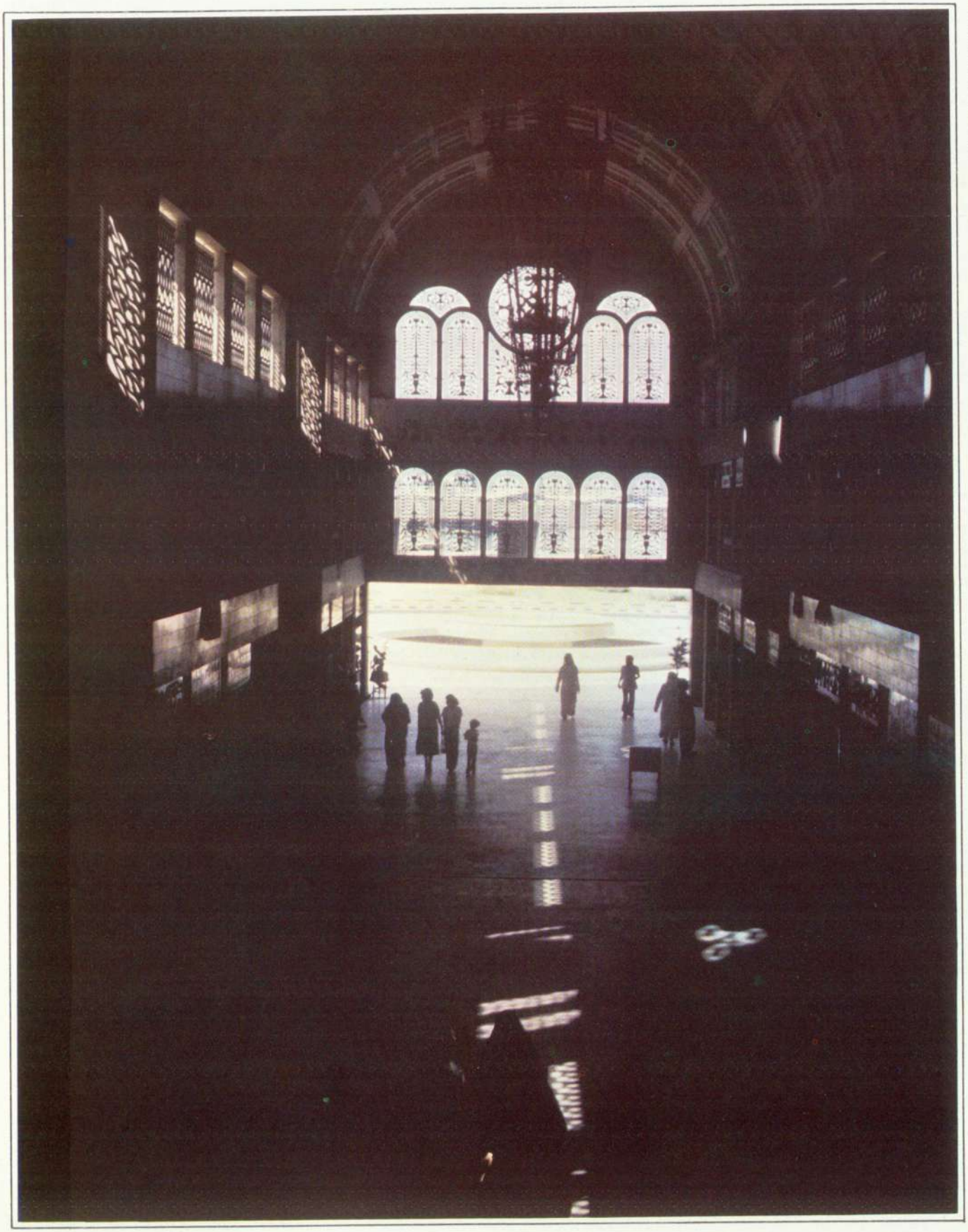
والذى لا شك فيه .. كحقيقة لا تقبل الجدل ، أن بداية الطريق الى وعى فنى متكامل يكمن فى تهيئة المناخ المناسب لهذه الغاية فى المدرسة أولا ، ويعتمد فى المقام الأول على مدرس التربية الفنية . ولكن الطريق الى الاعداد المدروس لهذه الغاية تحتاج منا الى خطوات متتابعة تبدأ من ايجاد المناهج الفنية المثلى وتطوير أساليبها .. الى تهيئة المدرس المسلح بدراسات فنية خاصة بجانب الدراسات التربوية .. الى اعتماد الامكانيات اللازمة للمدارس لكى تسمح بممارسة هذه التجارب والخبرات والمناهج ... الى الانفتاح على مجمعات التراث والمتاحف وشرح معروضاتها ومقتنياتها ..

كما يجب أن توضع البرامج على مدار العام لزيارة الآثار والتعريف بها ، ومشاهدة المعارض ومراسم الفنانين ولقاء المفكرين والمبدعين واجراء الحوار معهم .. فقد كان بيكاسو ـ أسطورة الفن فى العصر الحديث ـ يفتح أبوابه لطلبة المدارس .. ويقضى الساعات فى مناقشتهم بالكثير من الحب والتعاطف ..

من هذا المنطلق .. تتكون ملكة التذوق الفنى ، بل نقوم السلوك ونهذب الوجدان ، لتتكامل رسالة الفن الخالدة !

أما كيفية تحديث المناهج ، ودور المتاحف فى عالم الفكر وبناء الشخصية الفنية ، وقيمة التراث وكيف نحافظ عليه بما يستحقه من الاجلال والاحترام .. ؟ كل هذا ، سنتناول الحديث عنه فى لقاءات قادمة باذن الله .

جمال قطب



محمد على عبد الله

ملاحظات على
سوق الشارقة

إن من أروع المعالم المعمارية فى الشارقة هى سوقها الذى بنى على نمط محلى ، وقد استخدمت المفردات الزخرفية والمعمارية الخليجية بشكل رائع فيها ،وإنه من سخريات القدر أن هذا السوق بني بواسطة مهندسين غربيين وليس معماريين محليين ، ولهذا السبب شاهدت بعض الملاحظات التى وجب التنويه عنها ، وذلك لخطورة تفسير التراث الخليجى بعقول غربية وما ننج عن ذلك من تشويه فى الأصالة . كما أنه من المناسب أن نتذكر على صفحات الدوحة ، بعضا من تراثنا الغنى بالتفاصيل البالغة الروعة ..

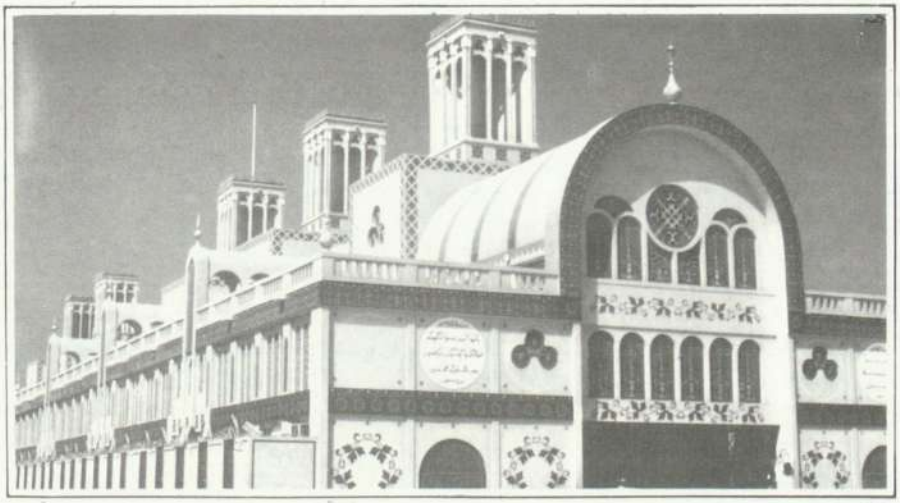
النمط الثقافى

إن الصفات الجيولوجية والمناخية فى المنطقة الجغرافية أرضاً وانساناً ، هى العامل المؤثر فى تكوين ثقافة منطقة ما ، وإعطائها الميزة أو النمط الثقافى المتميز ، فمثلا الظروف الجيولوجية والمناخية فى مصر القديمة اختلفت عما هوكائن فى بلاد ما بين النهرين ، فبينما نجد أن المهندس المعمارى فى عصر الفراعنة اعتمد فى بناء القصور والمعابد على الصخور التى كانت متوفرة نجد المهندس فى بلاد ما بين النهرين بعدت عنه الجبال ليجلب الصخور منها ولذا اعتمد على الآجر فى بنائه المعمارى ومن هنا نجد أن التصميمات التى كان يضعها المصرى القديم فى المعابد تختلف عن تصميم البناء المبني من الآجر لعدة اعتبارات أحدها يكمن فى أن مميزات الصخر تختلف تماماً عما عليه قطع الآجر .

الانسان والتحدى

وبالنسبة للمهندس المعمارى فى الخليج فان المشكلة ذاتها تبرز ، وهى





عدم وجود جبال لاحضار الصخور ، كما لا توجد انهار حتى تجلب له الطين لصنع الآجر ..

إلا أن المشكلة لم تدم طويلا فى وجه التحدى الذى واجهه الانسان فى وجه المتغيرات المناخية للمنطقة ، فقد اتضح أن الهضاب فى معظم المناطق المطلة على الخليج العربى هى تكوينات طباشيرية .

وغير معروف متى بالضبط بدأ الانسان فى استعمال التكوينات الطباشيرية بعد حرقها لاستخدامها فى البناء .. ولذا فاننا نجد ـ حتى يومنا هذا ـ شواهد من المعمار الخليجى القديم تتكون صخورها من الصخور الطباشيرية وخاصة قطر ، والملاط من الجص .

مصائد الهواء

ولكن الظروف المناخية للمنطقة لم تدم كما كانت عليه فى الألف الثانى والثالث قبل الميلاد ، بل دخلت المنطقة فى دورات مناخية حارة ، بنى الانسان فى الخليج خلالها (مصائد الهواء) وهى برج مربع له أربع فتحات موجهة الى الجهات الأربع ، فاذا ما هبت الرياح من الشمال دخلت من الفتحة الموجهة الى الشمال ، بينما الفتحة الجنوبية وهى الفتحة المعاكسة لحركة الهواء ، تساعد فى اخراج الهواء الحار من الحجرة ، تلقائياً .

وقد انتشرت مثل هذه البروج على طول ساحل الخليج العربى من البصرة ، حتى عمان .

السقف المقوس

وسوق الشارقة ، هو سوق حديث ، لم يمض على بنائه السنتان ، وقد استخدم مصمم السوق مصائد الهواء ، ليؤدى بها غرضين ، الأول وهو الغرض الوظيفى منه ويقوم بمهمة تبريد السوق ..والغرض الثانى يكمن فى الغرض الجمالى البحت

ويتكـون السوق من ممرين طويلين ، كل ممر مقسوم إلى أربعة أجزاء ، وكل جزء يتكون من مجموعة من المحلات التجارية المتقابلة ، وكل جزء يتكون من طابقين ، يصعد الناس إلى الطابق العلوى بواسطة سلالم جانبية .. وقد غطى المهندس السوق بسقف مقوس وهذا السقف يتكون من نصف دائرة ، وهى فى قمة التشويه التراثى ، فان هذا النوع من السقوف والتى تحوى على فجوات مربعة هى إحدى ميزات المعمار الرومانى ، والذى ورثه الأوربيون فى عصر النهضة ، أما خارج هذا السقف ، فقد تركوه معرى دون أى مساس ، وهنا أيضاً خروج مشوه عن مميزات العمارة الاسلامية والتى كانت تعتبر السقف المقوس مرحلة بدائية من مراحل البناء ، ثم كانت تغطى هذا السقف حتى يستقيم أفقياً وذلك للوصول إلى الغرض الجمالى بالاضافة إلى تقوية دعائم القوس ..

أما بالنسبة لأمور الأعمال النهائية فى البناء . وهى أمور الزخرفة والتزيين ، فقد استخدم المصمم مفردات زخرفية هندية فى زخرفة الشبابيك والفتحات ، وأعتقد أن المصمم قام باعداد دراسة عن النقوش الخليجية ولكنه لم يقع على نماذج نقية فانه معلوم لدى المؤرخين بأن المنطقة فى القرن التاسع عشر عاشت عصراً ذهبياً ، وهو عصر اللؤلؤ ، وقد انفتحت المنطقة على كثير من التجار والحرفيين الذين أتوا على وجه الخصوص من الهند ، فبدأوا يمارسون حرفهم ومن ضمنهم المزخرفون . فأدخلوا المفردات الزخرفية الهندية الى المنطقة ، علماً بأن منطقة الخليج تتميز بخاصية متميزة فى زخارفها الجصية والتى بنيت على أسس رياضية صارمة ، وأداؤهم فى ذلك هو الفرجار والمسطرة فقط ، ولم يكن أى مصمم يخرج عن هاتين الأداتين ، ولم يكن يجرأ فى زخرفة أى مكان برسم من ذهنه فهو يعلم أن سمعته كنقاش كانت كسمعة الطبيب فى هذه الأيام ، فكان كثير القلق فى مسألة الخروج عن المألوف ..

أما مصممنا فقد وضع فى فتحات السوق زخارف تم صبها بالألمونيوم ، وهى زخارف لمزهريات ونباتات لا تعتمد بأى شكل من الأشكال على الأداتين المذكورتين .. ولكننى ـ وكلمة الحق تقال ـ لاأنكر أن مثل هذه الزخرفة، موجودة على البيوت فى دبى فى (فريق البستكية) .

المفردات الزخرفية

كما أن استخدام المصمم للزخرفة الاسلامية على السراميك هى ظاهرة نادرة لم تعرف المنطقة لها مثيلا .

إننى لم أقصد من خلال هذه الدراسة التقليل من أهمية هذا السوق الرائع فهو بحق أحد المعالم المعمارية التى تستحق المشاهدة ، بل وأقول انه سيظل علامة تشرف دولة الامارات بهذا الانجاز الذى يظهر فيه التعلق بالتراث ومحاولة احيائه ، مرة فى السوق ومرة أخرى فى مطار الشارقة الذى يحمل طابعاً معمارياً خليقاً بأن ينسب إلى جهد وعلوم أجدادنا .. فأنا أنظر إلى محاولتى فى هذا البحث أن أرتبط بتراثنا الذى درسناه بأنفسنا ، والذى أومن بأننا لو سرنا على دربه لقدمنا شيئا أكثر أصالة وأروع فناً ..

محمد على عبد الله

قصـــة قصيـــرة

المحنة

بقلم : د . حـــازم سعد الطيـــبى

استلقى الشيخ على ظهره سجين فراشه منذ اللحظة التى قررت فيها أن يتم شده بالفراش لمدة شهرين لعلاج الكسر الذى أصاب عظمة الفخذ . كان الشيخ كثير الشكوى من الألم الذى تخفف من حدته المسكنات الكثيرة ، كما كان دائم الشكوى من المرضى المجاورين له لكثرة ضوضائهم ومن العنبر القذر الذى كانت تجوبه الصراصير ليل نهار وتتقاسم القطط اسرته . الا ان ذلك لم يمنع وجود صداقة نشات بيننا بمرور الأيام .

ـ الصراصير كثرت هذه الايام ويبدو أن المبيدات تزيدها تخمه ... والقطط تتقاسم فراشى وتؤرق نومى بمعاركها الضارية طوال الليل ... ثم أن المرضى دائموالشغب ولا يحترمون كبر سنى وحاجتى للراحة .

ـ الصبر يا عـم الشيخ مصيلحى ... سوف نفرج عنك قريباً .

ومرت الأيام ولم يعد الشيخ يلاقينى سوى بابتسامة . ولم يعد للشكوى مكان فى الحديث الطويل . واصبح الشيخ مهتماً بالقطط يناديها باسماء اطلقها عليها كما أصبحت تتقاسم معه مائدة الغذاء حتى أن غياب احدى قططه كان يؤرقه فيسأل عنها جميع المرضى الذين أصبحوا يحجون الى فراشه كثيراً ليتجاذبوا معه أطراف الحديث فى بساطه لم يألفوها فيه من قبل .

وأعلن الشيخ الهدنة ، فلم يعد يهتم بفلول الصراصير التى كانت تجوب الفراش من حوله . ويبدو ان الصراصير فطنت الى إنهاء حالة الحرب الضارية التى أعلنها الشيخ يوم جاء ضيفاً عليهم فكثر بذلك تجوالهم كما كثرت ضيوفهم من الحشرات الاخرى .

وضجت الممرضات بالشكوى من هذه الحديقة الحشرية ، الا أن الشيخ لم يأبه لوعيدهم وكان يحاول دائماً الا تعكر تلك الدسائس العلاقة الطيبه التى نشأت بيننا فكان ينظف المكان من حوله حين يعلم بقدومى .

تعجبت لما طرأ على الشيخ من تغيرات وكلما حاولت أن اقنعه بأن ما يفعله ضار به وبمن حوله من مرضى كان يتغلب على بابتسامته البشوشه ويربت على يدى ويقول : ارجوك لا تغضب منى يا دكتور ، اننى لا استطيع ان اتحمل فقد احد من أصدقائى ، وهؤلاء جميعاً أصدقائى .. كلنا سجناء اليس كذلك ؟ ويجب أن نجد مأوى لهم جميعاً .. بل وطعاماً جيداً أيضاً .. لماذا نحاول دائماً ان نستحوذ على كل شىء ونقتل هؤلاء المساكين .؟

كثر الهمس بين المرضى .. الشيخ اصابته لوثه .. تنتابه لحظات من الذهول تطول كلما طالت فترة رقاده بالفراش . إنه يحصى الداخلين والخارجين من العنبر . ولا يفوته ان يلقى ببعض الملاحظات العجيبه عن كل تافه . إنه لم يعد ذلك الشيخ الوقور الصامت المتأفف من كل شىء حوله .

وقد كان المرضى على حق . فكلما طالت فترة رقاده بالفراش بدون حركة أصابه الملل فكثرت بذلك تعليقاته وملاحظاته



التى لا تنتهى . الا أن الشيخ أصابته حالة صمت وتأمل فى الأيام الأخيرة وأصبح يهتم بسقف العنبر . وتعلقت عيناه به طول الوقت وهو يتابع صرصوراً يجوب فى السقف فى محاولات مستميته ليجد له طريقاً الى الارض . ويبدو ان محنة الصرصور هزته كثيراً ، فطالما توسل الى الكثيرين ممن حوله ان ينقذوا ذلك المسكين : حرام عليكم ... ماذا تنتظرون ؟ يومان وهو يقطع السقف جيئة وذهاباً .. سوف يموت .

لم يعد الشيخ ينام ليله واصر أن يضاء نور العنبر طوال الليل ليتمكن من متابعة البائس فى أعلى الغرفة . وخرج الشيخ عن وقاره فلم يجد حرجاً فى طلبى بحجة انه يعانى من بعض الالام فى موضع الكسر . وحين حضرت ، أشار باصبعه الى سقف الغرفة واختنقت الكلمات فى حنجرته .. دمعت عيناه فى توسل واخيراً قال :

«أنقذه .. ارجوك .. انهم يعتقدون اننى جننت ، لكن اليس من حق هذا البائس أن يحيا .. لقد فشلت جميع محاولاته طوال يومين .. لماذا نبخل بالمساعدة لمخلوق ضعيف كهذا» .

واستطعت ان اطمئن الشيخ واكدت له اننى ساهتم بأمر صديقه فى الصباح الباكر . واستشرت زميلى اخصائى الأمراض العصبية فنصحنى باعطائه بعض المهدئات الا ان ذلك لم يحد من توتر الشيخ .

وفى مساء اليوم التالى سقط الصرصور بعد معركة مستميتة من أجل البقاء شاركه فيها شيخ مكبل بالفراش على الجانب الآخر من الغرفة . سقط الصرصور واسرع احد المرضى على صراخ الشيخ .. وبين ضحكات المرضى دهمه بحذائه،هنا تعالى صراخ الشيخ واجهش بالبكاء وهو يصب جام لعناته على الجميع . وتصادف مرورى بجوار العنبر فى تلك اللحظة فتناهى الى سمعى صراخ الشيخ ، اسرعت الى العنبر لأجده جالساً بالفراش وهو يحاول أن يرفع آلات الشدة من حول ساقه وقد أصر أن ينتقم من القاتل .

وحتى ساعة متأخرة من الليل لم تفلح المهدئات فى السيطرة على ثورته العارمة حتى لاحظ المرضى أن الشيخ قد سكن أخيراً واستغرق فى سبات عميق .

دكتور حازم سعد الطيبى

١٠ شارع الملكة

قصة بقلم : أحمد عبد السلام البقالى



مقدمة

في خريف سنة ١٩٥٤ ، وأغلال الحماية الفرنسية والاسبانية والدولية ماتزال مطبقة على عنق المغرب ، وحرب الاستقلال دائرة رحاها ضد الجيش الفرنسي الجبار . خرج هذا الغلام المغربي من بلاده لأول مرة فريداً خائفاً في طريقه الى مصر لاتمام دراسته .

واستطاع الافلات من قبضة بوليس الحدود الاسباني بجوازه المزور ، بلطف إلهي محض !

وصحبته الالطاف الخفية طول طريقه فوجد من يأويه أسبوعاً كاملا في ايطاليا حتى اركبه الباخرة المتوجهة الى الاسكندرية .

وفي اليونان رفض القنصل المصري إعطاءه تاشيرة الدخول الى مصر ، وقد اوشكت نقوده على الانتهاء ، ويصبح عرضة للتيه ، والغربة ، والضياع ، في بلد لا يعرف أهله ولا تربطه بهم صلة دين او لغة !

ولكن الالطاف الخفية تدخلت مرة أخرى ، فغيرت قلب القنصل المصري فارسل من يبحث عنه ، ويعيده الى القنصلية ، ليصدر له تاشيرة الدخول الى مصر ، ويزوده بما يأكله اثناء بقية الطريق الى مصر ..

أما اهم العنايات الربانية التي تجلت له اثناء طريقه ، فاخذت بيده الى نهاية مطافه ، فهي التي ستقراها فيما يلي :

حكاية واقعية

كيف نسيت هذا الحدث ؟ لا أدري !

أنا الذي كتبت ما يملأ مجلداً من الأحداث والقصص الواقعية التي رويتها عن العائدين من منطقة الغسق .. تلك المنطقة الغامضة العامرة بالأسرار التي يلتقي فيها العالمان : الظاهر والباطن ، عالما الغيب والشهادة ..

قال لي صديقي محمد عيسى وهو يثقب سيجاره ، ويشمه وينصت اليه !

ـ كيف نسيت هذه الواقعة وقد كدت تكون احد أطرافها ؟

قلت وأنا أراقبه يشعل السيجار بعناية ، ثم يدخل الجزء المشتعل في فمه وينفخ فيه فيخرج كنافورة من الثقب ، ومعه غبار التبغ :

ـ لا أدري .. ولكنني لم أكن بعد بدأت أهتم بعالم الغيبيات والأرواح .. اهتمامي بهذا الميدان ، بدأ في الستينات بعد استقراري بالولايات المتحدة

وأعاد السيجار الى فمه ، وأخذ يمص دخانه ونحن ننتظر القصة بشوق كبير وأخيراً بدأ :

«حدث ذلك في خريف سنة ١٩٥٤ ، أي بعد سنة بالضبط من سفركم الى مصر .. وغادرت أنا المغرب للالتحاق بكم هناك .

نزلت من الباخرة في الاسكندرية ، وفي جيبي رسالتك الأخيرة إلي قبل أن أغادر المغرب ، كانت عامرة بالتفاصيل والارشادات التي يجب أن أتبعها أثناء سفري .. حتى أرقام الحافلات والترام ، والعناوين بالتدقيق ..

ولكن الذي كان يملأ رأسي في تلك اللحظة التي نزلت فيها من الباخرة بميناء الاسكندرية هو تحذيراتك المتكررة من ذئاب الميناء ، وكلاب الجمارك ، والسماسرة والشياليين .. فمازلت اذكر ما قلته لي عن المبلغ الذي أخذه السماسرة منكم بالميناء ليخرجوكم من الجمرك وقسم الجوازات ! خمسة جنيهات ! رأسمال كامل ! أما أنا فلم يكن في جيبي ساعة نزولي على أرض النيل غير أربعة جنيهات فقط !

وحرصت على ألا أدفع أي شيء لأحد .. واستطعت اجتياز الجمرك والشرطة بدون دفع قرش واحد ! ربما لأنني كنت أبدو لهم صغير السن ، وعديم المال .. فقد كنت أحمل حقيبة ملفوفة في لحاف مربوط حولها بشريط ، فلم يطمع في أحد ..

وفي المحطة سألت عن أول قطار الى القاهرة فقيل لي سيقوم بعد ساعة .

وجلست على أحد الأرائك الخشبية الكبيرة أنتظر .. وأصبحت هدفاً سهلا لسماسرة المحطة ، كلهم يريد أن يبيعني سلعته ، أو يمسح حذائي ، أو يشتري لي تذكرة سفر .. وأنا أحرك رأسي رافضاً ومشيحاً عنهم بوجهي .

ولم أشعر كيف جلس بجانبي رجل .. التفت فوجدته هناك .. كان في حوالي الثلاثين أو الأربعين ، نحيفاً شاحب الوجه ، هادىء الملامح ..

ولسبب ما لم يزعجني وجوده المفاجيء بجانبي رغم تحذيراتك الصارخة التي أكاد أسمعها من داخل رسالتك في جيبي !

وجاء أحد سماسرة المحطة وسألني :

ـ هل معك تذكرة ؟

فقلت : لا ..

وحين عرض علي أن يشتريها لي رفضت ، وأشحت عنه بوجهي اشارة له بالانصراف ، ولكنه أصر على خدمتي رغم أنفي .. فأشار الى شارة نحاسية على صدره ، وقال :

ـ أنا شغال رسمي هنا ـ فلا تخف .. سأشتري لك التذكرة ، الى أي بلد تريد دون حاجة منك للوقوف في الصف .. أنا أعرف البيه الذي وراء شباك التذاكر !

وحين لم أقتنع خلع شارته النحاسية ووضعها في حجري ..

والتفت الى الرجل الجالس بجانبي التمس مساعدته على تخليصي من هذا المساعد الثقيل ، فحرك لي رأسه وقال :

ـ لا تخش شيئاً ـ أعطه خمسين قرشاً ليشتري لك التذكرة .

ودون أن أراجع تحذيراتك ، مددت للرجل الخمسين قرشاً ، وقلت له :

ـ درجة ثالثة من فضلك .

وفعلا عاد الرجل بعد بضع دقائق بالتذكرة والرد ، فأعطيته خمسة قروش بقشيشاً ، وشارته النحاسية ، انصرف شاكراً .

والتفت الى الرجل ممتناً فابتسم ظل ابتسامة ، وسألني :

ـ من أين حضرتك ؟

ـ من المغرب .

ثم صححت :

ـ من مراكش ..

فحرك رأسه فاهماً :

ـ محمد بن يوسف ! والجلاوي وبن عرفة ـ علال بن عبد الله ـ الى غير ذلك من أسماء الأشخاص والأماكن التي اقترنت بمعركة استقلال المغرب .

وفي القطار وجدت نفسي مرة أخرى في نفس الغرفة مع ذلك الرجل النحيل الشاحب . فابتسم لي وحياني تحية من يعرفني ـ وظل صامتاً طول الطريق ، لا يتكلم إلا إذا خاطبته . ورغم صمته ، فقد أخرج لي من جيبه بطاقة وقال :

١٠ شارع الملكة



ـ خذ هذه ، اذا احتجت الى أى شىء اتصل بى بهذا العنوان . ووضعت أنا البطاقة فى محفظتى متأكداً من أننى لن أحتاج اليها ..

وحين وصلنا محطة باب الحديد بالقاهرة سألنى :

ـ الى أين أنت ذاهب ؟ هل تعرف أحداً بالقاهرة .

وحين أجبت بالايجاب سألنى :

ـ هل تعرف كيف تصل ؟

فأخرجت الرسالة ، وقرأت له العنوان :

ـ بيت المغرب ـ شارع السلولى رقم ١٢ ـ قبالة (كلية البنات) ترام (١٥) أو أوتوبيس (٦)

فقال :

ـ اتبعنى اذن .. ذلك هو اتجاهى .

وركبنا الترام الى (الدقى) .. وظهرت لي المسافة بعيدة جداً ، فلم أكن عشت قبل ذلك فى مدينة فى ضخامة القاهرة واتساعها ، وبدأت أشك فى اتجاه الترام، رغم أن رقمه (١٥) ، وفى المحطة التى ينبغى أن أنزل فيها .

وبعد ما يقرب أو يزيد عن العشر كيلو مترات نزلنا . وساعدنى الرجل النحيف فى حمل حقيبتى الى شارع السلولى ، ولم أسترح وتذهب وساوسى حتى قرأت اسم الشارع على الحائط ، ورأيت لوحة كلية البنات ، ومقابلها (بيت المغرب) بحديقته الجرداء ونوافذه المكسرة الزجاج ..

وكنت أنت جالساً فى البلكونة فنزلت مع صاحبنا أحمد الرياحى وقباقبكما تطقطق على الرخام كاللقالق حتى تعانقنا على الباب .. وخرج عدد من الطلبة الذين كانوا يعرفوننى فاجتمعوا حولى وهم يلبسون البيجامات والشباشب والقباقب ، كما يجتمع المعتقلون على الأسير الجديد .

والتفت حولى بحثاً عن الرجل الذى جاء بى الى هنا لأشكره ، وأقدمكم له ، ولكنه اختفى ، وكأن الأرض بلعته ... وجريت لألحقه قبل أن يلوى الشارع فلم أجده ..

وسألنى الرياحى عما أبحث فقلت له عن الرجل المصرى الذى تطوع لمرافقتى ، فقال آسفاً :

ـ خسارة ! كان لابد أن نشكره حقيقة!

هل تعرف اسمه ؟

فقلت :

ـ لقد ترك لي اسمه وعنوانه .

وأخرجت من محفظتى بطاقة كان أعطانى اياها فى القطار للاتصال به فى القاهرة اذا احتجت لشىء .

وقرأها الرياحى ، وقال :

ـ ١٠ شارع الملكة .. ، أعرف هذا العنوان ـ ليس بعيداً من الاسعاف .. غداً لابد أن نذهب اليه ، ونشكره ، فامثال هذا الرجل قليلون !

ودخلنا بيت المغرب ، وسهرنا تلك الليلة على أخبار المغرب ، والفدائية ، ورسائل العائلة التى حملتها اليكم .

وفى الغد لم ينس الرياحى وعده ، وهو كما تعرفه ، حريص على أصول اللياقة ، والآداب الاجتماعية .. وكنت أنت مشغولا بعمل ما ، فلم تذهب معنا .

وركبنا الترام الى شارع الملكة ، ونزلنا عند المحطة القريبة من عنوان صاحبى ، وبحثنا عنه فعثرنا عليه بسهولة .. كان دكان حانوتى ـ دافن أموات ـ ! وسألنا عن اسم صاحبنا ، فسألنا صاحب المحل بدوره بنوع من الفضول الممزوج بالاستغراب .

ـ كيف عرفتموه ؟

فأخرجت له بطاقته ، فنظر الى البطاقة ، وسألنا :

ـ من أعطاكم هذه ؟

ـ صاحبها بنفسه .

ـ متى ؟

ـ بالأمس وأنا قادم معه بالقطار من الاسكندرية ..

ـ مستحيل !

ـ لماذا ؟

ـ هذا الرجل كان صاحب هذا المحل فعلا قبل أن آخذه أنا .. ولكنه مات منذ سنة ! أنا الذى جهزته للدفن بنفسى ..

فلما وصفته له فتح الرجل فمه عجباً ، وغرق فى تأمل عميق !

وأخذت أنا البطاقة من بين أنامله وتركته لتأملاته ..»

أحمد عبد السلام البقالى

عبد المنعم الجداوى

« جواهر »

صريعة خيول الفرسان



... كل شيء حوله أكثر من سيء .. سقطت المثل والقيم صريعة المصالح والنفعية .. وخرت مثخنة بجراح الخسة والدناءة .. استلقت الحياة كحيوان كبير ميت .. تحول الوجهاء الى دود حقير .. يتصارع على نهشها ، ومطوب منه أن يتحول هو الآخر الى دودة من هذا الدود فقد فاتحه اليوم «علي بك» الذى يطمع فى «مشيخة القاهرة» ، فى أن يشترك فى المؤامرة ضد «صالح بك» الذى جاء من «استامبول» مندوباً للباب العالى ، ثم خرج أميراً لرحلة الحج ، فلما عاد طابت له الاقامة بالمحروسة ، وبقي تنحني له كل الرؤوس ، وفى مقدمتهم رأس «علي بك» ، ورأس «باشا القلعة» ذاته !

فلما فرغ من العرض ، الذى انخلع له قلبه ، وهو يقول لعلي بك ، إن «صالح بك» له فى عنقه أكثر من يد بيضاء ، فهو الذى تلقفه حينما جاء الى مصر كواحد من المماليك الروم .. وكان يمكن أن يظل سنوات ملقى فى مدرسة المماليك دون أن يفوز بمركز مرموق ، لولا أن صالح بك اختاره رئيساً لحرسه ، ثم قائداً للعسكر الذين رافقوه فى رحلة الحج ، فلما عاد أصدر أمره بتعيينه «كتخدا» على كل باشجاويشية المحروسة .. منتزعاً له المنصب .. من أنياب الكثير من المحاسيب !

امتحان الاخلاص

ومن أجل كل هذه الأيادى ، ولانه يؤثر

● رفض خيانة ولى نعمتـــه ، رغم إغراءات التلويـــح بالمناصب





الجميل فهو لا يستطيع ، ولا يرضى لنفسه أن يشترك فى الاضرار بصالح بك مهما كان الثمن !

كان علي بك يستمع اليه وهو يتفرس فى ملامحه .. كلاهما يراقب الآخر .. علي بك يبحث وينقب فى نبرة صوته ، وخلجات وجهه عن الذى يريده .. يود أن يعرف إذا كان هذا الكلام يصدر عن صدق ، أم انها حفرة يختبىء فيها لكى يتضاعف الثمن ؟!

فقال له :

ـ حتى لو كان الثمن أن تكون النائب العسكرى للوالى وأن يتغير اسمك من «أحمد بشناق» الى «أحمد بك» ، وربما «أحمد باشا» .!؟

تساقطت كل هذه الاغراءات عند قدميه .. تدحرجت بعيداً عنه .. قال وهو يدب الأرض بقدميه منهياً للحديث ، انه لولا بقية من أدب تفرضه الوظيفة ، وفارق السن ، لكان رده غير ذلك تماما !

وانه لو أعطى فرمانا بولاية المحروسة مقابل الغدر بصالح بك لرفض ، لانه يرفض أن يكون خائنا لمن أنعم عليه !

ونسي نفسه فى انفعاله ، فقد أدرك أن صوته ارتفع أكثر مما يجب .. لم يكن فى القاعة غيرهما .. وكان علي بك قد أوصى الحاجب بالا يدخل عليهما أحد .. وفى براعة مفتعلة . أغرق فى الضحك حتى استلقى على قفاه ، مما أدهش أحمد بشناق وظن أنه سيرسله الى السجن أو إلى حيث يلقى حتفه ، فوقف مذهولا ، لا يدرى بماذا سينطق بعد القهقهة !

عاد علي بك الى وقاره .. وأعاد عمامته الى مكانها بعد أن تزحزحت .. قال انه الآن صدق ما يقال عن شجاعته ، وإخلاصه ، وانه أراد أن يمتحن إخلاصه فقط .. وقد اطمأن الآن الى ثقة صالح بك فيه وانه كان يمتحن إخلاصه لأنه سوف يولى مركزاً خطيراً فى الأيام المقبلة !

الاجتماعات المغلقة

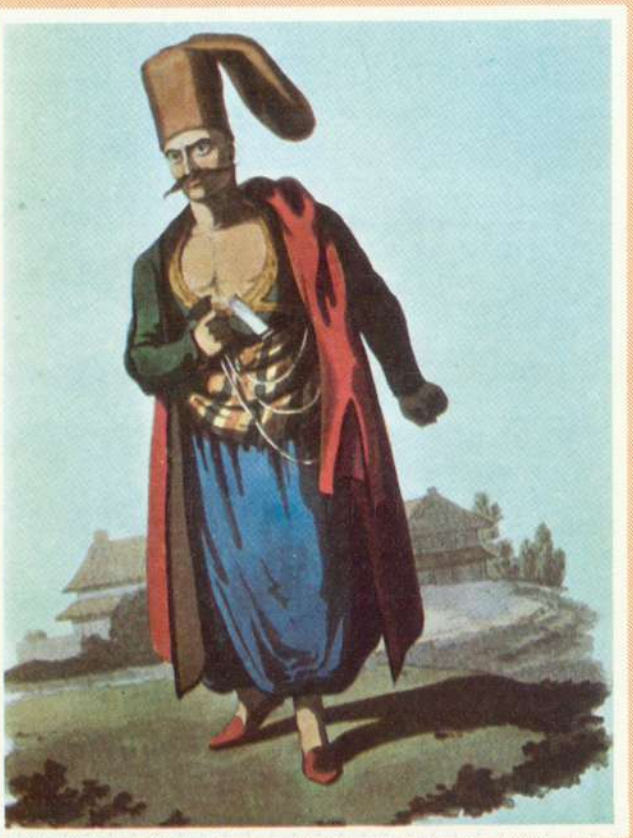
انصرف من القصر .. لكن هموم الموقف لم تنصرف عنه .. كان وجدانه مضطرباً وعقله يعمل بسرعة مخيفة .. فهو منذ أيام لاحظ أن علي بك يعقد مع رجاله الاجتماعات المغلقة التى لا يحضرها غيرهم .. لكنه لا يستطيع أن يخمن أن هذه المظاهر يمكن أن تكون خيانة من علي بك لصالح بك .. فهو الذى ثبته فى مشيخة البلد ، وأقنع الباب العالى باستمراره فى الولاية .. ليس ذلك فحسب بل ساعده فى طرد خصومه الذين كانوا ينازعونه ، ونفاهم الى الصعيد .. وأمر بعضهم بالخروج الى الشام !

لكن لماذا لا يدعى صالح بك الى هذه الاجتماعات ، وهو رسول السلطان ، وصاحب الكلمة الاولى من «علي باشا» القلعة .. ؟ فى ذات الوقت الذى تضم فيه أيوب بك ، ورضوان بك ، ومحمد بك أبو الدهب ، وعلي بك الطنطاوى ، وحسن بك الجداوى .. وهم الذين يكونون سلطة الحكم .. التى لا تترك لباشا القلعة سوى التوقيع ، والظهور فى الحفلات الرسمية!

خداع القوة

وتصاعد الشك داخله فقرر أن ينقل الى صالح بك كل ما دار بينه وبين علي

● شعرَت أنه مكروب ، فطلبت منه أن يحدثها عن همومه ومتاعبه





بك .. لكن كيف يقوله ؟

استاذن صالح بك فاذن له فى لقائه على انفراد .. فلما مثل بين يديه قال له إنه لا يدرى من أين يبدأ ؟ ومازال به صالح بك يطمئنه .. حتى أفضى اليه بما كان بينه وبين علي بك .. فاذهله أن الآخر استلقى على قفاه ضاحكاً .. وأكمل له القصة .. فقد روى له علي بك ما كان بينهما .. ثم وضح له فى كبرياء أن علي بك أسير أفضاله ، وأن المواثيق ، والعهود التى بينهما تحول بينه ، وبين التآمر عليه .. وانه كان يمتحن إخلاصه .. وأعجب بنزاهته ، واخلاصه لسيده ..!

وحاول أحمد أن يتكلم .. أن يثير شكوكه .. أن يتحدث عن الهواجس ، والارهاصات التى يشعر بها .. إلا أن صالح بك منعه من الاسترسال باشارة من كفه .. فقد كان مزهواً بقوته .. مخدوعاً بسلطانه .. فهو وحده الذى يدرك أن فى وسعه أن يلقى بعلي بك بركلة من قدمه ، وأن يجيء بغيره .. وأن يحصل من السلطان على الموافقة .. !!

ما هو سر أحزانه ؟

تراجع أحمد مطعوناً فى ولاء أعطاه كل اخلاصه .. فليس أقسى على النفس من أن يصبح اخلاصها مشكوكاً فيه ، ويصبح عليها أن تأتي على حبها بدليل !

إنه يرى ببصيرته رجلين مختلفين تماماً .. أحدهما يعيش بروح ذئب ، أينما تلوح له الفريسة يذهب ليقتنصها ، أو يخطفها من على أية مائدة .. والآخر يعيش بروح أسد ، يعف عن الميتة ، ويترفع عن خطف الفرائس من أفواه الآخرين .. !

وحينما عاد أحمد الى بيته .. خلا الى محظيته جواهر .. فراعها وهى تخلع عنه ملابسه أن ملامحه ليست هى التى تعرفها .. أحست أنه مكروب ، وأن جوانحه تغلى .. فربتت على كتفيه فى حنان ، وحشدت فى صوتها رقة أنوثتها كلها تقول له ان الحمام جاهز ، والأكل معد .. فأيهما يختار ؟

ومضى الى الحمام دون أن يناقشها ، وسرحت هى فى خواطرها .. سنوات ثلاث وهى محظيته الخاصة .. لم يغيرها ولم ينصرف الى أخرى من جواريه .. حتى ظنت أنها سوف تصبح زوجة .. لكنها رغم هذا الطموح الذى لم تكن تملك أن تبديه .. حلمت به زوجاً ، خاصة وأنه كان بلا زوجة فقد كان ينتظر حتى يصل الى المنصب الذى يتيح له أن يتزوج بفتاة من أعرق البيوت .. تشد من أزره ، وتناصره بما لدى اسرتها من جاه .. لكنه منذ العام الماضى ، وبعد أن صار «كتخدا» صالح بك ، لمح له بانه حتى الآن لا يجد من يستحق مصاهرته .. وأنه لا يرى امرأة أفضل منها تجيء الى بيته لكى تحولها الى جارية .. وقد أسعدها هذا الحوار ومالت على يديه تقبلهما .. وازدادت تعلقاً به .. فماذا يشغله اليوم .. إنه لم يعتد أن يتكلم عن متاعبه فى العمل .. لكنه اليوم فى أزمة حقيقية .. ليتها تعرف كيف تخفف عنه أحزانه وهمومه البالغة !

مضاعفة الحراسة

فلما خرج من الحمام ، وجلس ليأكل قامت الى العود ، وابتسمت تحاول أن

• أحس بالمؤامرة من حوله عندما أحاطوه بكوكبة من الحرس

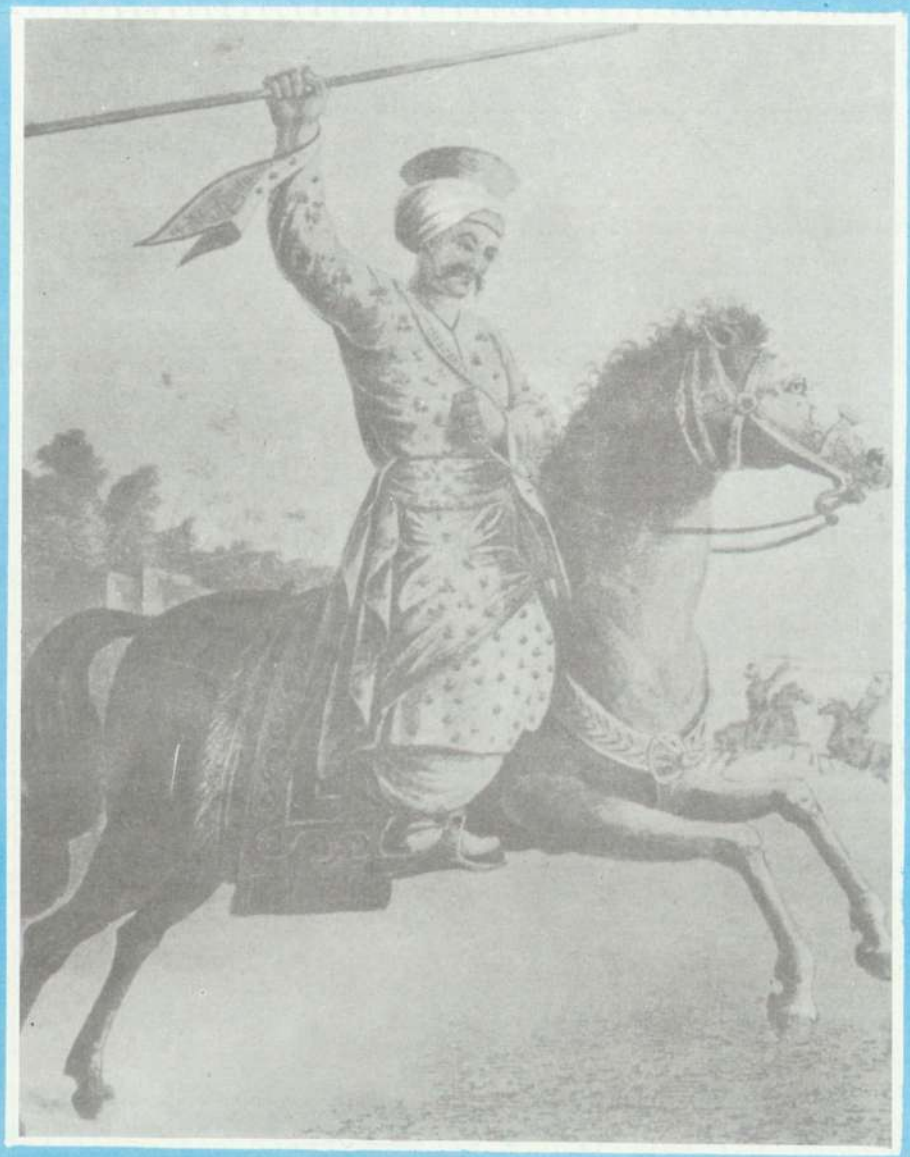
تذهب عنه الاكتئاب الذى يغشاه ، وسألته إن كان يفضل غناءها أم عزفها .. فقد كان كثيراً ما يطلب منها أن تغنى له وهو يتناول الطعام ، لكنه أشار عليها أن تدع العود وأن تجلس لتأكل معه .. وكان قليلا ما يفعل ذلك ، فأدركت الى أى حد هو ضحية أزمته ..

وما كاد ينتهى من الطعام ، حتى أمسكت بالعود ، وراحت تعزف له ، وأمرت إحدى الجوارى باعداد «النارجيلة» .. وراح يدخن ، وهو يحاول أن يستغرق فى ألحان «جواهر» وكلماتها ، واشاراتها ، وإيماءاتها .. لينتزع نفسه من الهم الذى يسيطر عليه !

وفى اليوم التالى وجه على بك دعوة للغذاء الى صالح بك ، وعدد كبير من كبار المماليك ، وتصدى أحمد يحاول أن يقنع صالح بك بأن يرفض هذه الدعوة .. لكن الرجل الواثق من مواثيق علي بك .. أرغم أحمد على ابتلاع هواجسه ، وأصر على حضور الدعوة .. فلم يجد أحمد بحكم وظيفته إلا أن يضاعف من جنود فرسان حراسة صالح بك ، ورجال المزاريق الذين يحيطون بموكبه .. وأضاف بعض الباشجاويشية الراجلين بعد استئذان البك ، فأذن له ، وهو يبتسم معجباً باخلاصه !

تنفيذ المؤامرة

وعلى مائدة الغذاء جلس أحمد الى جوار سيده ، وكلما جاءت الأطباق تعمد أن يبدلها ، وأن يقدم أطباق علي بك لصالح بك محاولا الا يفطن أحد الى ما يفعل .. وبدأ السمر بعد الغذاء دون حادث يذكر .. وقبل صلاة العصر .. تهيأ المدعون للانصراف ، وأصر كبار المماليك على أن يصحبوا صالح بك لوداعه ، فأحاطوا به فى حلقة قبل كوكبة حرسه .. وتأخر أحمد ليقود رجاله ، فلما حاول اختراق الحلقة لتأدية وظيفته .. لم يمكنه المماليك من ذلك .. وكان أقربهم الى صالح بك «محمد أبو الدهب» الذى كان يسير على يمينه .. وقبل أن يصل الركب الى مفترق الطرق .. عند «سويقة عصفور» ، افتعل ابو الدهب الغضب على «سايس» حصانه ، واستل السيف



ليضرب به عنقه ، وإذا به يتحول الى الشمال ليهوى به على صالح بك .. الذى هوت الضربة الأولى على ذراعه ففصلته ثم القت الثانية بعنقه قبل أن يتبين ما حدث .. فهو من على حصانه جثة تتخبط فى الدماء .. واضطرب الركب وانهال المماليك على بقية حرسه الذين فروا جميعاً ، بعد أن شاهدوا عنق سيدهم يتدحرج بعيداً عنه !

الغضب والتحدى

وفى نفس الليلة دعى على بك الى اجتماع عاجل .. ضم كبار المماليك ، والصناجقة ، والكتخدية ، واضطر أحمد بشناق الى الذهاب .. وهناك التقى بالمملوك رضوان والمملوك أبو الدهب والمملوك علي طنطاوى ، والمملوك حسن الجداوى .. واحس أنه دعى الى هذا الاجتماع ليحاكم .. لا ليشارك فى حفل الخلاص من صالح بك ، ووجه اليه احدهم أمام علي بك تهمة أنه تقاعس عن الاغتيال ، والاشتراك فى المذبحة .. فلما نفى ذلك .. صاح أحدهم .. اذا كان صادقاً .. فليجرد سيفه من غمده ليشاهدوه .. وبعدها سوف يحكمون اذا كان اشترك أو لم يشترك .. ؟

على الفور شعر أنهم يورطونه .. فامتلأ غضباً .. ووضع يده على قبضة سيفه وصاح قائلا إن سيفه لا يغادر

● هـــرب فى زى مغـــربى ، فقطعـــوا لســـانهـــا حـــتى تـــتكلـــم !!



غمده ليتفرج القوم عليه .. إن سيفه يعرف مهمته جيداً اذا خرج من غمده .. !

رنت كلماته الغاضبة فى القاعة ، فساد الصمت ، وتلاقت العيون ، والداهية علي بك أكثرهم علماً بما يغلي به صدر أحمد ، وخشي اذا أثير أكثر من ذلك ، أن يعمل فيهم سيفه بجنون ، فاصطنع الابتسام ، وخفف الأمر متظاهراً بأن كل ذلك ليس أكثر من مزاح !

وانتهى الاجتماع ، وبدأ الجميع يعودون الى بيوتهم .. لكن أحمد أدرك أن عليه ألا يكون فى غباء سيده فيدفع عنقه ثمناً لغروره .. لم يذهب الى قصره .. لجأ الى بيت أحد رجاله المخلصين .. وأرسله برسالة الى جواهر لكى تسلم عشرة أكياس من الدنانير لحامله ، لأنه مسافر فى مهمة رسمية .. وحصل على زى مغربى ، وعباءة مغربية وخرج وحده على فرسه الى الجيزة دون أن يذكر لأحد وجهة سفره !

وصح ما توقعه .. ففى منتصف الليل .. هاجم رجال على بك الكبير قصر أحمد بشناق فلما لم يجدوه .. نهبوا كل ما فيه .. وساقوا الحريم والجوارى الى السجن .. فقد أنكرالجميع الجهة التى سافر اليها أو المكان الذى اختفى فيه أحمد بشناق !

وساقوا جواهر الى السجن ، وجاء علي بك بنفسه ليستجوبها عن مكان سيدها .. لكنها أقسمت أنها لا تعرف ، وأمر أن يجتذب لسانها ، ويقطع إن لم تتكلم .. وجيء بالحلاق ، والزيت المغلي يتصاعد منه البخار ، وسألها «علي بك» للمرة الأخيرة .. لكنها لم تتكلم ، ونفت أنها تعرف مكانه .. كانت موثوقة اليدين .. ورغم ذلك تقدم منها أربعة رجال .. أطبقوا عليها .. فتحوا فمها .. قبض الحلاق على لسانها بكماشة نجار ، ثم أسرع بالموسى فقطع طرف لسانها .. وأدركتها رحمة الله .. فأغمى عليها ، وهى ترى «الكماشة» تتجه داخل فمها .. فلم تشعر بما فعلوه بها !

دموع القائد

ظهر أحمد بشناق بعد ذلك بأيام فى الاسكندرية .. لجأ الى أميرها مستجيراً .. وأعجب به الأمير فالحقه بالبحرية . وحتى يأمن جواسيس علي بك غير اسمه الى أحمد الجزار وأبدى فى الاسطول كفاءة عالية ، جعلته يتبوأ مراكز قيادية .

وذاع صيته ووصل اسمه الى الآستانة .. على أنه أحمد الجزار ، ومنح البكوية .. ثم الباشوية .. الى أن جاء محمد علي باشا ، وكان أن توجه «أحمد الجزار» لفتح عكا بعد حصارها فترة طويلة .. واستتب له الأمر فيها .. وحينما كان يعبر أحد الشوارع فى موكبه .. كانت امرأة رثة الثياب .. تبدو عليها سيماء البلاهة .. خرساء .. تشير وتصرخ .. وما كاد الموكب يسير بحذائها .. حتى اندفعت تحاول اختراق الفرسان .. لكى تقترب من القائد .. فضربها أحدهم بقدمه من على حصانه .. فسقطت على الأرض ، وهى تصرخ فى جنون لتدوسها بقية الخيول التى أجفلت .. وتوقف الموكب ، الذى ساده الهرج والمرج لعدة دقائق !

وحينما علم القائد بما حدث ، شق الصفوف بجواده ، ليلقى نظرة على المرأة التى صارت كتلة من العظام ، مخضبة بالدماء ، ضاعت ملامحها لكنها غمست أصبعها فى دمها ، وكتبت على الأرض ، وعينيها من تحت الدماء ترسل بريقاً ينطفىء : جواهر !

وقال الذين شاهدوا الموقف .. ان دموع القائد لم تتوقف على المرأة التى دهستها خيول موكبه !

عبد المنعم الجداوى

سينما

فيلم من تونس يثير قضية هامة

رءوف توفيق

عزيزة

وأنشودة للمرأة الحرة

إلى متى تظل الأسواق العربية لاتسمح بعرض الأفلام العربية ؟

لو كان السوق العربى يسمح بعرض الأفلام العربية .. مثلما يسمح ـ بل ويسعى بلهفة ـ لعرض الأفلام الأمريكية والهندية والايطالية .. لحققت صناعة السينما العربية نجاحاً وتقدماً فنياً ملحوظاً .. ولكن للأسف مازالت الأسواق العربية لا تتعرف على فنون بعضها البعض . !!

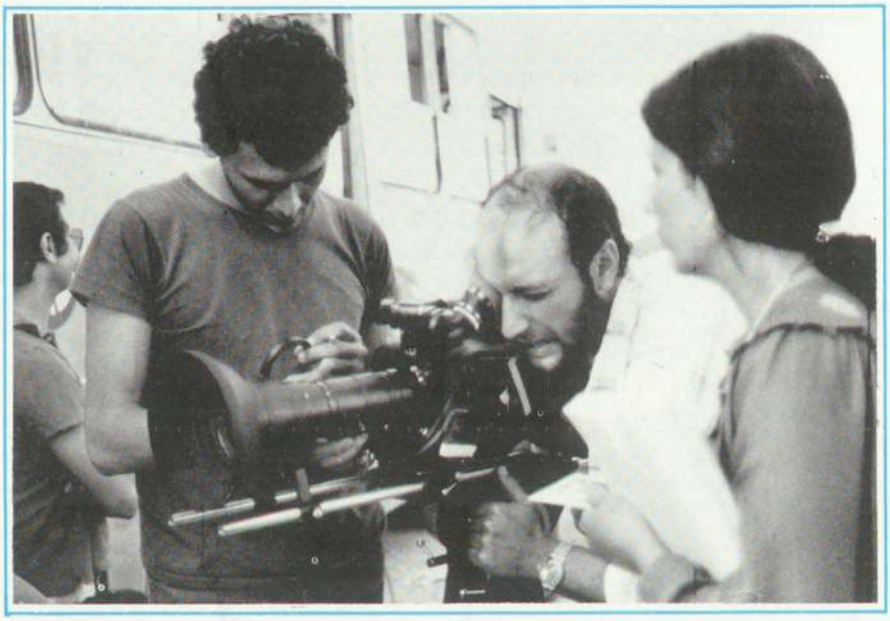
ومازالت أفلام جزائرية وتونسية ومغربية وعراقية وسورية ولبنانية .. مجهولة عند المتفرج العربى .. ومازالت اسماء فنانيها ومخرجيها غير معروفة إلا عند القلة المتخصصة فى فن السينما ، والمتتبعين للنشاط السينمائى العربى .. ولا تتاح فرصة للتعريف بها إلا من خلال بعض الأخبار الصحفية القليلة ، أو من خلال مقالات بعض النقاد التى أتيحت لهم مشاهدة بعض هذا الانتاج السينمائى فى جولاتهم الفنية فى البلاد العربية .. أو حينما يعرض أحد هذه الأفلام فى مهرجان سينمائى عالمى !!

أليس غريباً ومحزناً .. أن يصل بنا الأمر الى هذه الدرجة ؟! .. غرباء عن بعضنا البعض الى هذا الحد ؟!

والحجة المتداولة عند موزعى الأفلام المسيطرين على أسواق العرض .. ان تباين اللهجات المحلية العربية فى تلك الأفلام ، تمثل صعوبة بالغة بالنسبة للمتفرجين فى مناطق أخرى من الوطن العربى .. مما يجعلهم لا يفهمون الحوار المنطوق ، ولا يستطيعون بالتالى متابعة الأحداث .. والنتيجة انخفاض الاقبال ، وخسارة الموزعين ! ولهذا السبب أحجم هؤلاء الموزعون عن التعامل مع أفلام كثير من الدول العربية !

وهذا الوضع بقدر ما يدعو للمرارة والألم .. بقدر ما يطرح تساؤلا قديماً ومتجدداً .. الى متى تظل مشكلة تباين اللهجات المحلية العربية ـ وهى مشكلة حقيقية ـ حجر عثرة ، وقيداً رهيباً أمام حركة تداول الأفلام العربية فى الأسواق العربية ؟!

وهل عجزت مؤسسات السينما العربية ، ومنظمات الثقافة والفنون فى الجامعة العربية ، واتحادات السينمائيين .. عن ايجاد وسيلة للوصول بمشكلة تباين اللهجات الفنية ، الى صيغة مقبولة لا تؤثر على العمل الفنى ، ولا تسلبه مذاقه المحلى .. وفى نفس الوقت تضمن وصول العمل الى الجماهير المختلفة دون ارهاق فى تفسير وفهم معانى كلمات الحوار المحلية ؟



● عبد اللطيف بن عمار .. أثناء اخراجه فيلم «عزيزة»

عزيزة .. من تونس

لقد هاجمتنى هذه التساؤلات .. وأنا أتابع أحداث فيلم «عزيزة» .. أحد أهم الأفلام العربية التى ظهرت أخيراً .. والذى تم انتاجه مشاركة بين تونس والجزائر .. وأخرجه المخرج التونسى «عبد اللطيف بن عمار» .

وترجع أهمية الفيلم للموضوع الذى يتناوله .. وللاسلوب الفنى الذى تم التنفيذ به .. ولكنى أعترف أن بعض كلمات حوار الفيلم ، تحدتنى أن أفهمها .. واضطرتنى أن ألجأ الى الترجمة الفرنسية على شريط الفيلم ـ رغم معرفتى المتواضعة باللغة الفرنسية ـ .. وكنت كمن يلهث مفتوناً أمام سحر خاص ، أحاول ألا يفوتنى منه شىء !

وقد استقبل الفيلم ، استقبالا طيباً فى المهرجانات الدولية .. حينما عرض فى مهرجان «كان» السينمائى داخل قسم «نصف شهر المخرجين» .. وفى مهرجان «كارلو فيفارى» السينمائى وفاز بأحد جوائزه .. ومن المتوقع أن يكون أحد الأفلام البارزة فى مهرجان «قرطاج» السينمائى .

وكم تمنيت أن تتاح فرصة العرض

نموذج جيد للسينما المحلية التى يمكن أن نخاطب بها العالم

محاولة جريئة للتعبير عن واقع بعض المجتمعات العربية

إنتاج أفلام ترتبط بالواقع المعاش أمر معقد جدا

المطلوب خلق وعى بضرورة استقلال السينما ماديا ومعنويا



● عزيزة داخل المستشفى .. والمفاجأة الأليمة .

الجماهيرى الواسع أمام هذا الفيلم .. فهو نموذج جيد للسينما المحلية التى يمكن أن نخاطب بها العالم .. وهو أيضاً محاولة جريئة للتعبير عن واقع بعض المجتمعات العربية التى بدأت تغزوها قيم الصراع المادى وشهوة الاستهلاك !

شخصيات محددة

و «عزيزة» هو اسم الفتاة ..
والمجتمع .. هو تونس ..
والزمن .. هذا الزمان ..

ويبدأ الفيلم بانتقال هذه الأسرة من أحد الأحياء الشعبية بتونس الى حى جديد أكثررقياً .. ويبدو أن هذا الانتقال بما فيه من نفقات وأعباء إضافية وإرهاق لعائل الأسرة العجوز .. إنما هو نتيجة ضغط الابن الشاب الذى يسعى جاهداً أن ينتقل الى طبقة أعلى ، ولهذا خطط وأصر على انتقال الأسرة من الحى الشعبى الى حى راق كأول خطوة نحو تحقيق حلمه بالثراء .

وفى الدقائق الأولى من الفيلم ، نتعرف على ملامح الشخصيات .

فعائل الأسرة العم بشير (يلعب الدور الممثل الجزائرى محمد زبنة) رجل مرتبط بجذوره الأصيلة ، طيب ، وحنون ، لا أطماع له فى الحياة سوى إسعاد من حوله ، حتى ولو كان هذا على حساب راحته الشخصية ، ولهذا ارتضى أن ينتقل من الحى الشعبى الذى ارتبط به ، وعاش فيه ، وكون صداقاته .. وارتحل الى هذا الحى الجديد ، البعيد عن عمله ، والمرهق له تماماً فى المواصلات .. وتحمل كل هذه المشاق لتلبية رغبة ابنه واسعاده .

والابن (يلعب الدور الممثل التونسى رءوف بن عمر) على النقيض تماماً من والده .. فهو انتهازى ، وأطماعه بلا حدود ومستعد أن يضحى بكل من حوله ليحقق أطماعه ، وهو يريد أن يعيش حياة الترف والثراء ، ومؤهلاته الخفة والفهلوة .. وهو يحلم بأن يكون لديه سيارة ، وأن يفتتح مكتباً تجارياً وأن يعقد الصفقات ويكسب فى أسرع وقت .

أما «عزيزة» فهى ابنة العم التى توفى والدها وعمرها خمس سنوات ، وأصبح العم بشير هو عائلها .. تقيم معه فى البيت ترعى شئونهما ، وتتحمل نزوات الابن ، فى مقابل التخفيف عن هموم العم الذى يرى الأمور من حوله تسير الى حيث لا يشتهى بسبب تصرفات الابن .. ولكنه يصبر ويتحمل ربما يصلح حال ابنه .. وعزيزة هى النسمة الرقيقة ، الصافية ، والتى تشيع فى البيت جواً من التوازن بحكمتها وإخلاصها (لعبت دور عزيزة الممثلة اللبنانية ياسمين خلاط) .

ويركز الفيلم على شخصيتين ثانويتين من جيران الحى الجديد .. فهناك الجارة الفضولية التى لا يسلم أحد من لسانها ، والتى تتباهى دائماً بالأجهزة الكهربائية الحديثة التى تمتلكها .. (لعبت الدور الممثلة التونسية منى نور الدين) .

ثم الجارة الوحيدة ، التى تسكن بمفردها وبالطبع لا تسلم من الشائعات الكثيرة التى تروجها جارتها الفضولية .. وهى كما يبدو تأخرت فى زواجها .. وان كانت لم تفقد حلمها بالارتباط بزوج يوفر لها الأمان والاستقرار .. فهى تكسب رزقها من التمثيل فى أدوار ثانوية بالتليفزيون ، لا تحقق لها الاشباع النفسى بقدر ما تحقق بعض العائد المادى البسيط الذى يعينها على الحياة ! (لعبت الدور الممثلة الجزائرية دليلة رامز) .

ومن هذه الشخصيات الواضحة ، المحددة ، ينسج الفيلم أحداثه البسيطة .. العميقة !

السائح والاستثمار

فالفيلم يضع شخصية السائح فى طريق الابن الباحث عن أية فرصة للثراء .. ومن هذا اللقاء الذى يدبره سيناريو الفيلم فى مشهد ساخر .. تبدأ عناصر الصراع بين الشخصيات فى التفجر . !

والسائح بالنسبة للدول المعتمدة فى دخلها على السياحة .. مادة غنية بالتناول ..

وفى تونس .. مناقشات كثيرة حول السياحة وأثرها فى القيم الاجتماعية والثقافية الأصيلة .. وربما نذكر للسينما التونسية ، موقف مخرجها الشاب «رضا الباهى» فى فيلمه القصير «عتبات ممنوعة» .. ثم فى فيلمه الطويل الأول «الشمس والضباع» الذى أخرجه بعيداً عن تونس ، وبتمويل فرنسى ـ هولندى مشترك .. ليؤكد فيه وجهة نظره التى

عزيـــزة وأنشـودة للمـرأة الحـــرة



● في انتظار الضيف العربى الثرى .. !

أعلنها فى فيلمه القصير ، من خطورة فتح الباب للسياحة على حساب مصالح المواطن وتكوينه الأخلاقى !

وها هو المخرج التونسى «عبد اللطيف بن عمار» فى فيلم «عزيزة» يناقش نفس القضية من زاوية مختلفة ..

فالسائح الثرى الذى يقدمه فى الفيلم ، يعلن بوضوح أنه جاء لتونس بغرض استكشاف وسائل استثمار أمواله فى «شوية مشاريع» ! .. وكما يقول انه رأى أن أحسن شىء هو الاستثمار فى السياحة .. إنما اقامة مصانع فهى مسألة مزعجة : «المصانع فيها اضرابات .. ومشاكل» !

ومعنى الكلام .. ان هذا المستثمر لا يبحث إلا عن مصلحته الشخصية وأى مشروع يحقق له العائد المجزى السريع !

من يصطاد الآخر ؟!

وهكذا يضع الفيلم .. هذا النموذج من الأثرياء فى مقابل النموذج الآخر .. الشاب الذى يريد اصطياد أية فرصة للثراء السريع .. وتحقيق «خبطة العمر» !

وتصبح المباراة .. من يصطاد الآخر؟! والمباراة ساخرة ومريرة !!

فالشباب يسعى لعقد صداقة مع هذا الثرى .. وأول خطوة لتأكيد الصداقة أن يفتح له باب بيته .. وأن يدعوه للطعام المنزلى المخصوص .. ويوافق الثرى على هذه الدعوة .

ويسرع الشاب الى بيته يزف النبأ السعيد الى والده والى «عزيزة» ابنة عمه .. ويطلب منهما أقصى الاستعدادات وبذل كل ما فى الطاقة للترحيب بهذا الضيف الذى سيكون شريكه فى العمل بعد ذلك !

وعلى مائدة الطعام المزدحمة بكل الأنواع .. يجلس الضيف محاطاً بأفراد الأسرة .. ومعهم أيضاً الجارة الممثلة التليفزيونية .. ويتفنن الشاب فى الاحتفاء بضيفه .. أو بمعنى أدق .. بثروته . !!

فرضاء الضيف .. معناه فتح أبواب السعادة له !

والأب يقدر الموقف ، ويحاول أن يمرر الفرصة لابنه .. حتى ولو كان فى أعماقه غير موافق على الأسلوب والغاية !!

ولكن «عزيزة» لا تستطيع أن تكتم مشاعرها .. انها تدرك كل تفاصيل اللعبة .. ولا توافق عليها .. فتضحك هذا الضحك الهستيرى .. وتشاركها الضحك جارتها الممثلة !

ويحاول الابن السيطرة على الموقف قبل أن يتدهور فى غير صالحه .. ويسرع بان يسحب عزيزة بعيداً عن صالة الطعام .. وينفجر فيها حانقاً .. وتستمر عزيزة فى الضحك ثم تجهش بالبكاء . !

إن ما يحدث حولها .. فوق طاقة تحملها !

إنها ترفض تماماً تصرفات ابن العم .. وأحلامه المدمرة .. وأنانيته البشعة .. وفى نفس الوقت تشعر بمدى تضحيات عمها ، وحزنه المكتوم الذى يهرى جسده .. حتى تدهورت صحته .. الى الدرجة التى يسقط فيها مريضاً .. وينقل الى المستشفى !

ولا تستطيع عزيزة أن تستمر صامتة .. وتواجه ابن عمها ، بكل الصراحة والصدق .. وتحمله مسئولية كل ما جرى لأبيه ، وما جرى لهما .

ويفاجأ ابن العم بكل هذا التأنيب .. ولا يجد ما يدافع به عن نفسه .. سوى أن يصفع «عزيزة» بقسوة .. ويطردها خارج البيت ليلا .. ويلقى بحقيبة ملابسها وراءها !

لحظات التنوير

وتشعر «عزيزة» بتعاسة بالغة .. ولكنها التعاسة التى تضىء لها الطريق .. إن عليها أن تواجه حياتها ، وترتفع فوق الأحزان والآلام . !

إنها لحظات التنوير التى تولد من مخاض المعاناة .

تقيم مؤقتاً فى منزل جارتها الممثلة ، وتتقاسمان معاً تكاليف الاقامة .. تستمع الى أحاديث جارتها ولكن ما فى أعماقها شىء مختلف .. تكتب خطابات كثيرة الى حبيبها المهاجر فى الخارج .. وتمزق ما كتبته .. ثم تكتب له كلمة واحدة .. «وحشتنى» .. انها كمن يبحث عن الرفيق الذى يمكن أن يقف بجوارها .. ولكن أين هو هذا الانسان . ؟!

وحيدة تماماً بأفكارها واصرارها على الحق والعدل والحب النظيف .. وتقرر أن تنقذ نفسها بالعمل ..

تتقدم للعمل فى أحد مصانع النسيج وتواجه صرامة صاحب العمل ، ومحاولاته لمغازلتها .. ولكنها صارمة فى هدفها .. ولا تنازلات اطلاقاً . !

وتبدأ العمل فى أحد الأقسام الصغيرة بالمصنع .. انها أول خطوة فى الطريق .. ولا اعتراض .. !

وتوالى زياراتها لعمها الراقد فى المستشفى .. انه يسعد تماماً بلقائها .. فهى الوحيدة التى تزوره وتهتم به .. أما ابنه فهو مشغول بنفسه .. ولم يفكر حتى فى تحمل نفقات علاج أبيه . !!

إن قضية الابن تتركز فى صفقة العمر مع هذا الثرى !

ولكن هذا الثرى .. مشغول بمسألة أخرى .. إننا نراه يدخل الشارع بسيارته المرسيدس الفارهة ليأخذ الممثلة التليفزيونية بحقائبها .. ليعود بها الى بلده .. لقد قرر أن يتزوجها .. وهكذا انتهت مشاريعه لاستثمار نقوده فى تونس !!

والممثلة سعيدة جداً .. وهى تجد أخيراً الزوج الذى يحقق لها الأمان .. وتقول لعزيزة وهى تودعها .. «لقد أراد ابن عمك أن يشاركه فى ثروته .. ولكن رأيت أن أشاركه أنا» !



● عزيزة .. عاملة في المصنع .. وبداية التحرر



مشهد من فيلم «عزيزة»

ويودع سكان الشارع ، جارتهم بالقبلات والهمسات .. همسات الفضول والغيرة . !!

إن أحلامهم تتوقف عند أى تلويح بالثروة !

أما هذا الشاب ابن العم .. فقد انهار تماماً .. لقد تحطمت كل أحلامه ومشاريعه .. ويتكوم على باب بيت عزيزة ، يهذى ويبكى .. ويردد اسمها فى استغاثة .. فتخرج لتأخذه بين ذراعيها .. وتسنده الى داخل البيت .. وتربت عليه فى حنان وشفقة .. وتنسحب من جواره عندما بدأ يروح فى اغماءة النوم !

إنها تشعر بمصيبته .. ولا تعرف الشماتة !

فقضيتها من نوع مختلف !

ولكن حزناً عظيماً يحتويها فى ذلك الصباح ، عندما ذهبت لزيارة عمها فى المستشفى .. فوجدت سريره خالياً .. ويأتيها النبأ أنه قد مات ! .. لقد مات وحيداً .. دون أن يشاركه أحد لحظاته الأخيرة .. مات وهو يحمل قلقه وهمومه على ابنه .

وفى آخر النهار تعود الى بيتها .. لتقع عينها صدفة على أحد العابرين يقف بجوار نافذة جارتها الفضولية التى لم يسلم أحد من لسانها واتهاماتها .. ها هى الجارة تتفق على موعد غرامى فى الظلام !!

إن كل ما حولها يتساقط ..

وفى تلك الليلة من ليالى رمضان .. يعتلى سكان المنازل أسطح البيوت .. يواجهون السماء بعيون تقاوم النوم .. يرقبون أن تتحقق لهم المعجزات .. وها هى الجارة الفضولية تسحب أولادها الصغار الى سطح البيت تحكى لهم أساطير الفرسان القادمين بجيادهم المحملة بالهدايا والنقود .

وتشرق شمس الصباح على السهارى والنائمين فوق الأسطح مع أحلامهم المستحيلة ..

بينما عزيزة تشق طريقها بين آلات المصنع .. لتقف أمام آلة ضخمة ، تهدر بصوت قوى .. وكأنها تعزف نشيد الحياة ..

وعزيزة شامخة .. مرفوعة الرأس .. وعلى وجهها كل الثقة والاعتزاز ..

لقد وجدت نفسها فى العمل .. انه الطريق الوحيد للأمان .. وتحقيق الذات

إنها الآن .. امرأة حرة تقود نفسها بنفسها .. وتقف على أرض صلبة .. حيث لا مجال للتهاويم المخدرة ، والتعلق بأوهام كاذبة .. أو الاستسلام للضغوط ، وانتظار المجهول !

المخرج والقضية

وهكذا كانت «عزيزة» كما قدمها المخرج التونسى «عبد اللطيف بن عمار» .. أنشودة للمرأة فى المجتمعات الشرقية أن تنفض عن نفسها أستار العجز والحزن ، وأن تخرج للحياة .. تشارك فى صنعها بارادتها الحرة .

والفيلم يقول هذا المعنى العظيم .. بلا خطابة أو تشنج .. انه يسترسل فى نعومة شديدة ، ورشاقة أسرة .. ليصل الى القلب والعقل ..

وسيناريو الفيلم كتبه المخرج «بن عمار» بالاشتراك مع الفنان توفيق جبالى (الممثل الذى أدى دور الثرى العربى)

وتبدو مهارة المخرج «بن عمار» فى قيادته للعناصر الفنية المجتمعة من تونس والجزائر .. بالاضافة الى الممثلة اللبنانية القديرة «ياسمين خلاط» التى لعبت دور عزيزة بحس مرهف وبدون افتعال أو مبالغة ..

وبنفس النجاح لعبت الممثلة الجزائرية «دليلة رامز» دورها المعبر ..

قام بتصوير الفيلم المصور الجزائرى «يوسف صحراوى» .. وقدم ايقاعاً منسجماً مع روح العمل .. وطبيعته السلسة .

والمخرج عبد اللطيف بن عمار يؤكد بهذا الفيلم موقعه فى السينما التونسية .. كواحد من أهم مخرجيها وأكثرهم ارتباطاً بالواقع .. وفهماً لمشاكله .

ويأتى هذا الفيلم بعد ست سنوات من آخر فيلم أخرجه .. وهو فيلم «سجنان» الذى حصل به على الجائزة الفضية لمهرجان قرطاج ٧٤ وجائزة لجنة التحكيم فى مهرجان كارلو فيفارى ٧٥ .. أما فيلمه الأول فقد كان يحمل عنوان «قصة بسيطة كهذه» وعرض عام ٦٩ واختير ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان كان ٧٠

عزيـــزة وأنشـودة للمـرأة الحـــرة



● ياسمين خلاط بطلة فيلم «عزيزة»

وقبل أن يتجه «بن عمار» للافلام الطويلة كان قد أخرج عدداً من الأفلام التسجيلية والقصيرة .

وقد درس السينما فى معهد الاديل بباريس .. ولا يتجاوز عمره الآن ٣٧ عاماً (من مواليد تونس ١٩٤٣)

السينما التونسية

و «عبد اللطيف بن عمار» .. عندما يتحدث عن وضع السينما التونسية ، وهموم ومشاكل المخرج السينمائى فى تونس .. فهو يقول : «ان انتاج أفلام مرتبطة بالواقع المعاش أمر معقد جداً أكثر مما نظن .. يقول البعض لماذا لا ننتج أفلاماً تعالج مشاكل الشعب التونسى ؟ .. إن من المحتمل وجود سيناريوهات عرضت على السلطات المختصة لكنها لم تتحصل الى الوسائل الكفيلة بتحقيقها .. وبالعكس هناك أفلام لا تهم الجمهور التونسى بتاتاً ويجرى انتاجها لأسباب مختلفة .. ونجد أفلاماً تبرز للوجود بسرعة بينما تبقى أفلام اخرى أربع سنوات أو أكثر لترى النور .. إن مشاكلنا كثيرة ..»

هكذا أجاب عبد اللطيف بن عمار فى الندوة التى نظمتها الجامعة التونسية لنوادى السينما حول النقد السينمائى .. وكان هذا فى صيف عام ١٩٧٧ بمدينة سوسة التونسية ..

وانا أنقل هنا بعض فقرات من حديث عبد اللطيف بن عمار الذى رد به على تساؤلات أعضاء جمعية السينمائيين التونسيين وممثلى الجامعة التونسية لهواة السينما .. وبعض النقاد .. وقد نشر نص الندوة فى مجلة السينما العربية التى تصدر فى باريس .

يقول عبد اللطيف بن عمار فى تحديده لأزمة السينما التونسية :

«إن الثقة منعدمة فى السينمائى التونسى عند جمهور السينما .. فهو يعتقد انه بامكاننا أن نخرج افلاماً جيدة غير أننا لا نقوم بذلك واننا نجهل مشاكل الجمهور .. فى حين أن الواقع عكس ذلك تماماً .. إذ أننا لا نملك إلا الوسائل التى توفرها لنا الدولة ونحن نحاول بهذه الوسائل أن نخرج أفلاماً تتمشى حسب اعتقادنا مع ما يريده الجمهور .. ولعل أكبر مشكلة من مشاكل السينمائيين التونسيين هو هذا الجمهور .. فأى نوع من السينما يريد ؟! .. أما نحن فرغم أننا مازلنا فى البداية فموقفنا من السينما معروف وواضح وموجود فى عدة وثائق .. نريد السينما التى تربطنا بالجمهور هذا على المستوى الجماعى .. أما على المستوى الفردى فاننا نسعى الى خلق وعى بضرورة استقلال السينما مادياً ومعنوياً .. وأنا شخصياً لا أريد أن أكون خاضعاً لأى هيكل .. فأنا أريد أن أخرج أفلاماً بصفة مستقلة تربطنى مباشرة بالجمهور .. غير أن هذا لا يتأتى لى من الناحية المادية .. ورغم ذلك .. فأنا أطالب الآن بحقى فى اخراج فيلم مستقل بامكانياتى الخاصة .. ولكن المصالح المختصة ترفض ذلك ، لكى تتمكن من مراقبة الفيلم واخضاعى لشروطها .. فنحن فى وضعية حرجة جداً ومن المعلوم أن جميع البلدان تواجه صعوبات فى البداية .. غير اننا جمعنا صعوبات كل البلدان» !!

ويكرر «عبد اللطيف بن عمار» تأكيده على أهمية مساندة الجمهور للسينما الوطنية .. فيقول :

«عندما يطلب الجمهور الواسع (وليس الجمهور بمعنى محبى السينما فقط) نوعاً معيناً من السينما لا يمكن لأى قوة أن تمنع عنه ذلك .. فمن خلال تكوين جمهور يتعاطف مع الانتاج التونسى يمكن لهذا الأخير أن يزدهر. وذلك اذا وفرنا له جزءاً من الوسائل والاحتياجات الأولية .. فاذا طالب الجمهور يوماً أن يرى نفسه على الشاشة .. فى ذلك الوقت تتحقق السينما الوطنية ..» .

«إن أكبر دعم للسينمائى التونسى الملتزم .. هو الجمهور الواسع» .

حتى لا تختنق

وما يقوله المخرج «عبد اللطيف بن عمار» .. صحيح تماماً ..

وأضيف هنا .. ما ذكرته فى بداية مقالى عن ضرورة ايجاد وسيلة لتداول الأفلام العربية فى الأسواق العربية !

فمن غير المعقول .. أن تظل مشكلة تباين اللهجات المحلية فى الأفلام العربية .. قيداً رهيباً على حركة تداول الأفلام .. وبالتالى حكماً بالاختناق والضعف على السينما الوطنية !

«رءوف توفيق»

شجـــاعة الأمـــل ...



ذات ليلة من ليالى الصيف الجميلة ، استأجرت قاربا ، وأخذت أجذف بعيدا عن الشاطىء الحافل بالضجيج ، طلبا للهدوء والتماسا للراحة من عناء العمل طوال النهار ، كانت يداى تحركان المجاديف التى كانت محاورها الصدئة تئن تحت وطأة مياه النهر الثقيلة .

تضافرت عوامل عديدة جعلتنى أشعر بالجمال من حولى ، فأضواء الاعلانات الملونة كانت تنعكس على صفحة الماء ، فى منظر يبعث على الانشراح والسرور ، والنسائم الرطبة المشبعة برائحة الخضرة تخلع على الهدوء والانتعاش ، وكانت من حولى مجموعة من القوارب بها العديد من الفتيان والفتيات سرعان ما ابتعدت ، وبقيت ضحكاتهم يتردد صداها فى ذلك الجو الهادىء .

وفى غمرة سعادتى اكتشفت اننى ابتعدت كثيرا عن الشاطىء ، واننى لاأجدف ، ولكن القارب يسير بقوة دفع التيار .

أحسست بالخوف لطول المسافة بين المكان الذى وصلت اليه وبين الشاطىء ، ورأيت الظلام من حولى يكتنف المكان ، ولايؤنس وحدتى سوى انعكاسات الأضواء البرتقالية للكوبرى الذى كنت أمر من تحته ، وبدأ الصمت الذى اطبق فجأة يوتر اعصابى ، فأخذت أجدف بكل قوتى ، بدا القارب فى التحرك بسرعة ، وهنا دبت الثقة فى نفسى وتنفست ملء رئتى بقوة ..

ولكن ظل الصمت يحيطنى بالرهبة فتذكرت كلمات قراتها ولم أدر وقتها أين ، أو من قائلها وفحواها انه اذا ساد الصمت واطبق فيجب التغلب عليه بافتعال الضوضاء ، وأخذت احدث صفيرا عاليا بشفتى ، بينما كنت مشغولا بحصر المسافة الباقية للوصول الى الشاطىء خوفا من أن تتعب يداى ، سرت موازيا لدعامات الكوبرى ، وازدادت ضربات المجاديف بسرعة وقوة ، وعلا صفيرى معبرا عن الأمل .

فجأة .. سمعت صوتا متحشرجا انخلع له قلبى ، نظرت حولى لأكذب أذنى ، فما وجدت شيئا ، ولكن وزن المجداف فى قبضتى ، وطرفه المبتور يعلنان صراحة أن المجداف قد انكسر .

وأرجعت أعمدة الكوبرى العتيق الذى كنت أمر من تحته ، صدى الصوت الحاد الذى مزق السكون ، وكأنما يسخر الكوبرى منى ويتحدانى فى صلف ، وتخيلت الكوبرى يضحك ملء شدقيه ، وأحسست أن الصمت تمتد أصابعه القاتلة حتى لتكاد تزهق روحى .. وانعكاس أضواء الكوبرى بدت لى وكأنها شموع سوداء على جانبى درب يؤدى الى مكان ما موحش سوف أحاسب فيه على ما اقترفته فى حياتى .

وتنبهت فجأة على صوت نبضات قلبى عاليا فى ايقاع سريع متلاحق الانفاس .. وأحسست بالفرح لأن الصوت جاء فى اللحظة المناسبة ليعلن الحقيقة وهى اننى مازلت حيا وبامكانى عمل أى شىء .

وبتلقائية عجبت منها فيما بعد ، انتزعت المجداف السليم من محوره المثبت فى القارب ، وأخذت أجذف به يمينا ويسارا متحملا وزن المجداف الثقيل ، فتحرك القارب .. وعلا صفيرى من جديد يحمل بين انغامه احساسا بالانتصار والنجاح ، فقد اقتربت الأضواء المبهرة ، ولاحت وجوه الناس من جديد .. لقد وصلت الى الشاطىء وفى ثقة قفزت الى الأرض ، ومن بعيد لاح لى الكوبرى ذليلا منكسرا !

سباعى السيد
القاهـرة



المقامة البخلوية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

سالونى هل تريد أن ترى البخل فى رجل ، فقلت أجل ، قالوا عليك بكرم ، فشهرته جاوزت الهرم ، فأعلنت أنى لم أسمع عنه ، قالوا وهذا غاية البخل منه ، فهو لا يذيع أسراره ، ولا يمكن منه جاراً أو جاره ، حتى إنه لم يتزوج ، متابعة للمنهج ، قلت وكيف السبيل اليه ، قالوا هدية تشفع لك بين يديه ، ثم اطلب لقاءه فسيبسط لك رداءه ، ففعلت ما قالوه ، وحملت دستة من الجاتوه ، جعلتها بطاقة الدخول ، والتقينا وكلى فضول .

كان ضئيل الجسد ، نحيل الوتد ، معدوم العافية ، ملضـوم بلا النافية ، وكأنه المقصود ، بذلك البيت الشرود .

إن فى بردى جسماً ناحلا
لو توكأت عليه لانهـدم

سالنى هل لك فى كوب من التمر ؟ فقلت لا بأس بالأمر ، ونسي أنه سالني ، أو تناسى ولكننى ،لم أعلق على نسيانه ، مكتفياً بحل عقدة لسانه ، وبدأت أحوم حول هدفى ، آملا فى كسبه لصفى ، فسألته عن الأحوال ، فقال عال ، والصحة ؟ فأكد أنها منشرحة ، حتى سألته لماذا لم يتأهل ؟ ، مع أن مثله لا يجهل فوائد الزواج ، وكيف أنه علاج الانبعاج ؟ ، فقال حاولت كثيراً ، ورأيت مثيراً ، هل أحكى لك حالى ؟ ، فقلت هذا سؤالى ..

قال الزواج المبكر نعمة ، وهو فى النهاية نصيب وقسمة ، وهو دائما يحب التبكير ، فى الهين والخطير ، واسترسل فى البيان ، وأنا كلى آذان .

وقد تعودت أصحو فى ساعة مبكرة ، مهما قل نوم الليلة الغابرة ، وهى عادة ورثتها عن جدى الثالث والثلاثين ، الحاج عمر نجم الدين، الذى ينام خمس ساعات لاغير ، ويصحو قبل صحيان الطير ، ثم يقوم كالحصان ، الى طبق بالفول ملآن ، وطاسة بيض مقلو، يفوح شذى سمنه فى الجو ، وطبقين آخرين متحدين مختلفين ، فهذا جبن «قريش» والثانى من أيام السلطان درويش ، يتوسطهما صحن غويط ، يبرق فيه الخيار والقرنبيط ، يتربع قمته الليمون المعصفر ، والزيتون الاخضر ، وبين اللام والزاى ، برقد الباذنجان يامولاى ، مزهوا بالثوم والكرفس ومجلوا كالزنجية ليلة العرس ، وقبل كل هذا الادام الشهى ، كوم من الخبز الطرى ، فيه حرارة الفرن ، ونضارة اللون ، وطعامة المذاق . كأنه رقاق ، معجون بالحلبة ، وهو اختراع نقلته عنا أوروبة ، فاضافوا الفواكه والفيتامين ، الى العجين ، وكان كل هذا الخضم ، وذلك الجبل الأشم ، كان جدى ياتى عليه ، بضربة من يديه ، ويتثاءب ويتطمع ، ويشرب الشاى المنعنع ، ويتبعه بالقهوة السادة ، يحسوها وهو فى قمة السعادة ، ثم يقرقر بالارجيلة ، انفاسا متأنية طويلة !

وهكذا ورثت عنه الصحو المبكر وكوب الشاى لاأكثر ، الذى هو كل افطارى وطعامى فى أول نهارى ، فاذا جاء



وقت الغذاء ، انفتحت شهيتى الغراء ، حيث التهم طبق فول ، لاأغيره بتغير الأيام والفصول ، لأسام التكرار ، لأنه جديد باستمرار ، فى الشكل واللون ، فهو مرة بالزيت وثانية بالسمن وثالثا بالطماطم المعصورة ، ورابعا ببصلة مبشورة وخامسا بالفلفل والليمون ، وسادسا بالملح والليمون ، ولعلمك لااتعاطى اللحوم،ما يسعى منها أو يطير أو يعوم ، فأنا من فترة بعيدة نباتى العقيدة ، لاأطيق رؤية أى ذى روح وهو مذبوح ، رغبة فى التعفف ، وليس من باب خالف تعرف ، أو البخل الشديد ، كما اتهمنى بذلك بعض المناكيد ، وليس تقليدا لبرناردشو ، ولاغيره ممن سبقوه فابو العلاء المعرى ، قد ملك أمرى ، منذ درست سيرته فى الكلية ، وانجذبت الى فلسفته النباتية ، ونعود لفول الغداء ، الذى أظل أجتره حتى المساء ، ثم .. لاعشاء ، وكيف ساكل وأنا سأنام ، وفى هذا مضرة العقول والاجسام ؟! ناهيك عن الكوابيس والزلازل ، وصدق الشاعر القائل «نم خفيفا ترى الوجود خفيفا» ! ولما تقدم بى العمر ، تفكرت فى الامر أنا الان فى الخامسة والثلاثين ، ولم أدخل دنيا بنصف الدين ، صرفنى الغدو والرواح ، عن الفاتنات الملاح ، وشغلتنى العلياء ، عن دنيا النساء،وقد أن الاوان وصح منى العزم والاستيقان ، على ضرورة الدخول بحسناء عطبول تقاسمنى طبق الفول ، ومع ذلك مازلت حتى اللحظة ، أعزبا بكل ماتعنيه اللفظة لاعن قصد ورغبة بل ، مكره أخاك لابطل ، وحتى لاتسيء فهم كلماتى وتنسبنى لأهل القصور الذاتى ، أحكى لك ما كان ، والله المستعان :

بعد تخرجى من كلية الاداب ، ملما بالنحو والاعراب ، وجدتنى استاذا للعربية بمدرسة العباسية الثانوية ، وبعد عشرة أعوام من توظفى ، ذهبت أبحث فى جيوب معارفى ، عن زوجة تليق باشراقة أسرتى ، وعراقة منبتى



ودرجتى العلمية التى خرجت بها من الكلية ، وكنت أستقبل باحترام وترحاب ، ألست من خريجى الاداب ؟!

حلم سعيد قصير ، أصحو بعده على الواقع المرير ، فمجرد إعلان مبادرتى ، يعتذرون عن شرف مصاهرتى ، فالبنت صغيرة ، أو تريد استكمال دراستها الكبيرة ، أو إن فاتحتها قرئت ، على ابن عمها نشأت !، الى آخر تلك الاعذار ، التى اصابتنى بالدوار ، فالصغيرة تتزوج بعد اسبوع ، من أى جربوع ، وعاشقة التعليم ، تدخل دائرة الحريم ، والمقروء فاتحتها على ابن العم ، تظل بلا زواج حتى اليوم !

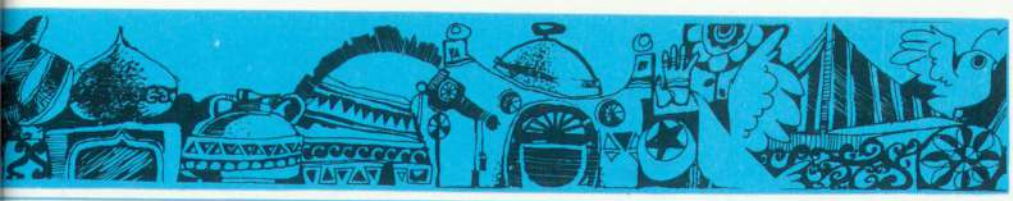
وكنت أعجب فمستواى الاقتصادى ، كان غير عادى فبالاضافة لراتب الوزارة هناك ايراد بيت أقمت جداره ، من عائد أرض زراعية ، بمحافظة المنوفية ، هذا الى نقود سائلة فى البنك ، تحسبا لأى ضنك ، أى اننى كنت وبكل المقاييس ، نعم العريس ، ورغم ثقتى بمن أكون ، إلا أنه انتابتنى الظنون ، لسقوط حجتهم ، والتواء نيتهم ، .. لعلهم يطمعون فى الأغنى منى ؟ ولكن بنت ابراهيم حسنى تزوجها ميكانيكى غلبان ، لايزال أجيرا حتى الان ، أو لعل كبر سنى ، هو الذى أبعدهم عنى ، ولكن البنت ياسمين تزوجت من كهل فى الخمسين ، أم لعلهم يطمعون فى نسب أرقى ، ودم انقى ، وبنت الزمخشرى عتريس ، تزوجت من عسكرى بوليس ، ورحت أضرب أخماسا فى أخماس ، بحثا عن العلة والاساس ، وقلت لعل ملابسى ، هى سبب تقاعسى ؟ ، فقد طالت سنينها ، وحالت الوانها ، والناس ينتظرون من الخطيب . أن يكون ذا ثوب قشيب ، وأنا شغلتنى المعالى الجوهرية ، عن هذه السفاسف المظهرية وسايرت القوم ، وأنا ألعن ذلك اليوم الذى خضعت فيه للعامة ، فخسرت نقودا جمة ، ذلك انى اشتريت رباط عنق لونه مؤتلق ، وجوربا راعيت فيه ، ملاءمته لكل ما أرتديه ، تجديدان مهولان لم يحدثا لى قبل الان ، ولما رضيت عن منسوب الاناقة ، عاودت الانطلاقة ، ورحت أبحث فى البيوت ، وأخرج وأنا مبهوت ، فقد تكرر الرفض العجيب ، وإن تغيرت الاساليب .

وقلت لعل حجتهم غير البالغة ، فى دخولى عليهم بيد فارغة ، وإن كان كذلك فما أيسر المسالك . بدأت التجوال ، وفى يدى كيس برتقال ، تعمدت اختياره ، ليشى بالفطنة والجداره ، ففيتامينه الجيم ، علاج للمزاكيم ، أى أنه دواء ومزاج ، واحتواء واتحاد ، وما جدوى تعليم الكلية ، إن لم يساعدنى فى اختيار الهدية ، ثم هو فاكهة كل الأعمار ، ومصابيح تضيء بالنهار ، كما أن لقشره فوائد مذكوره ، وغير منكورة ، فهو يرب ربا ، حتى يصير مربى ، وينقع ويقبل ، حتى يصبح «مخلل» كما أن تجفيفه ، علاج لنزلات البرد الخفيفة ، ولكن كل هذه المزايا ، لم تشفع لى عند آباء الصبايا ، فعدلت عنه إلى عنب الصيف ، ودخلت عليهم بكيلو ونصف ، كيس قد انتفخ جانباه ، وعريس قد سمحت يداه ، فراح يهب ، عناقيد الذهب ولكنهم عاودوا الانتحال ، وأصبح العنب كالبرتقال ، رفضنى الأنذال دون سبب ، وأكلوا البرتقال والعنب ، استحلوه لأنفسهم ، وضموه إلى نفائسهم ، وخرجت أنا من المولد ، خالى اليد ، طمع وأنانية ، وخداع وسوء نيه ، وإذا انتشر الطمع فى جماعة ، فانتظر الساعة ، هكذا حدثنا مذعور بن منصور ، فى كتابه ، «الدر المنثور» .

ولما كنت جامعيا فطنا ، وواقعيا مرنا ، فقد يئس اليأس منى ، وأعرضت عنه فأعرض عنى ، وكما يقول المثل الوهاج ، لا معنى لليأس مع الزواج ، فخففت شروطى المجحفة ، وأولها أن تكون مثقفه وعدلت عنها إلى مجرد شرط ، فك الخط ، وهن بحمد الله كثيرات ، وعاودت السؤال والزيارات ، ولكن كلا ، فحتى هؤلاء رفضننى بعلا ، وغيرت المجال ، بحثا عن متوسطات الجمال ، فكان الحال هو الحال ، بل إن «سميرة» ، أعرضت عنى بأنفها الكبيرة ، ولم يعد أمامى من الاختيارات ، إلا صاحبات العاهات ، فازورت العرجاء ، وأعرضت الحولاء ، ورفضتنى الطويلة البلهاء ، وانصرفت إلى غيرى القصيرة الأنحاء ، وهكذا رضيت بالهم ولم يرض بى ، وخذلنى قريبى وصاحبى ، وكل دفعتى تزوجت ، ومن دنيا العزوبية تخرجت ، أما أنا فابتر بلا عنقود ، وعود غير ممدود ، لا أسرة ولا أهل ، ولا خضرة ولا ظل ، وقد جاوزت الخمسين من عمرى المديد ، وأنا وحيد فريد .

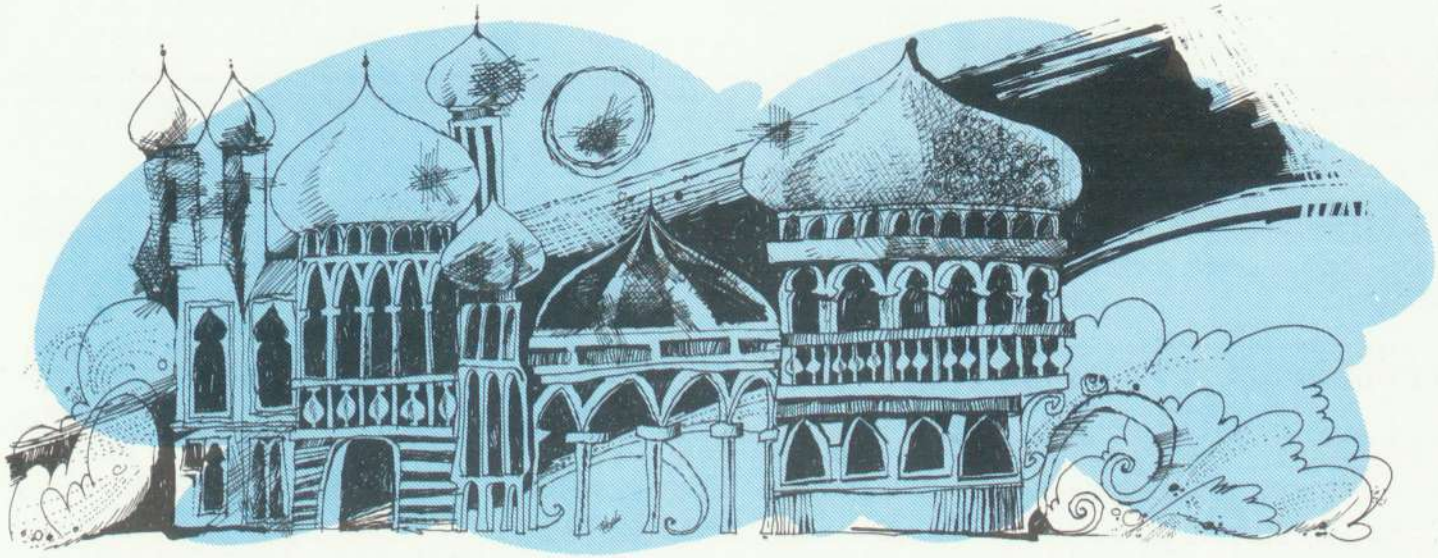
وشكوت لخالى حالى ، فقال لا تبالى واشكر الله ، فقد نجوت من متاعب الحياة ، فالزواج يحتاج لمصاريف وتكاليف ، حتى لو تزوجت ليلى بنت الريف ، ثم بعد هذا الموال ، تأتى ، أغنية العيال ، إطعام وإلباس ، وشراء كتاب وكراس ، واليوم أصحاء ، وغداً تدفع ثمن الدواء ، فسعيد مرتفع الحرارة ، وسعيده أضاعت حذاءها فى الحارة ، وعبد الحميد يريد ، درساً خصوصيا لأنه بليد ، وبعد كل هذا من يدرك ، لعلهم يصبحون صعاليك ، فهذا يطارده البوليس ، وتلك ضحك على عقلها إبليس ، والثالث المتخلف العقل ، تدوسه عربة نقل ، وهكذا ليس وراء العيال ، إلا ضياع المال وانذهال الحال ، فحمدت رب العالمين ، الذى أنقذنى من الزواج والبنين ، وشكرت خالى ، الذى أنقذنى من ضلالى ، فقد نصحنى بصدق وكبحنى برفق ، فهو للآن لم يتزوج ، ولهذا طال عمره وتوهج ، ما رأيك فى كوب من الخروب ؟ ، فقلت مطلوب ، فوقف وقال سعدنا برؤياك ، ونعمنا بعطاياك ، فلا تحرمنا أيها المفضال ، كريم السؤال .

وكانت هذه العبارة ، إيذانا بانتهاء الزيارة ، وغادرت كرم المذكور ، وقد قرأت ما بين السطور ، وعلمت أن البخيل محروم منكوب ، وقد قالوا الكفن ليس له جيوب ، إشارة إلى أنه سيترك ما جمعه بيديه ، وتعب فيه وسهر عليه ، إلى من سيجعله بددا ، إن لم يكن اليوم فغداً ، لقد ضيق على نفسه فى الحياة ، ولم ينعم بما كسبت يداه ، فلماذا يجمع ويجمع ، مادام لا يتمتع ؟ ، على أنهم يقولون ، ويؤكدون ، أن فى البخل لذة ، لا يعرفها إلا أصحاب الأيدى الكزة ، فمجرد الملكية ، يعطيهم بطريقة لا شعورية ، إحساساً بالراحة وهم يملأون الصندوق ويخفون مفتاحه ، وحتى لو صح ما يقولون ، فنحن بالانفاق والصرف راضون ، وكل ميسر لما خلق له ، وهذا يجمع وذاك يطرح عنه ، والدنيا كالساقية تدور ، وإلى الله ترجع الأمور .



رحلة مع ألف ليلة وليلة

هذا الكتاب الواضح .. الغامض !!



فى الأعمال الأدبية لم يجتمع الذيوع والسطوع والجهل المشروع وغير المشروع كما اجتمعا فى هذا الكتاب مدار اللقاء وقصد الحديث .. صفتان متعارضتان ـ أو يبدوان كذلك ـ ولكن يبدو أن المبالغة فى شهرة الظاهرة تنشر أعلاماً وتطوى أخرى .. وناخذ «جحا» مثالا لهذين المجالين المتعارضين فالكل يحكى طرفه ونوادره ولكن كم منهم يعرف حقيقة هذا «الجحا» ؟ .. هل هو العربى «دجين أبو الغصن بن ثابت اليربوعى البصرى» .. أو التركى «نصر الدين خوجه» .. أو المالطى «جاهان» ؟؟ .. أو هو لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وإنما شخصية اخترعت اختراعاً وتمكنت من الوجدان ونسب الناس اليها كل ما يليق ويناسب ما عرفوه عنها !

ومع هذا فان اسمه أصبح فى حد ذاته علماً على اجتماع الحكمة والحماقة فى ثوب واحد .. والكتاب مدار اللقاء وقصد الحديث هو «الف ليلة وليلة» وكلنا سمع بها .. حكيت لنا صغاراً وقرأناها كباراً .. وصافحتها الآذان والعيون حين بثتها الاذاعة المرئية والسمعية فى أعمال أبرزت من عباءة «ألف ليلة» مناخاً شرقياً استلفت المقلدين والمترجمين والناشرين والمسرحيين والموسيقيين والسينمائيين .. وجعلت مفكراً مثل «فولتير» يقرأها ١٤ مرة وشاعراً مبدعاً مثل «بوشكين» يضعها الى جوار سريره لتكون فى متناول يده «وروائياً عظيماً مثل «استندال» يتمنى بعد أن قرأها لو أنها محيت من ذاكرته ليستمتع بلذة تلاوتها من جديد ! »

هذا هو الذيوع والسطوع .. فماذا عن الجهل المشروع وغير المشروع ؟!.

وهل هناك مشروعية فى الجهل .. ؟ .. نعم من باب غض الطرف ومراعاة الظرف فلا يحق لك أولى أن تلوم مواطننا العربى العادى لأنه لا يعلم أن «ألف ليلة» ظهرت فى اللغة الهندية ثم الفارسيةفالعربية وأن أجدادنا حين ترجموها من اللغة «البهلوية» ـ الفارسية ـ أضافوا إليها لونين من الحكايات البغدادية والمصرية .. إذا نحن فعلنا ولمناه نكون قد ظلمنا عقولنا وظلمناه وحاولنا إلزامه بما يخرج عن طوقه ويدخل فى دائرة الدارسين والمتابعين والمختصين .. هذا هو الجهل المشروع والمغتفر ، أما غير المشروع فهو جهل أوساط المثقفين أو ما اعتدنا النظر إليهم باعتبارهم مثقفين (بفتح وكسرة القاف !) .. نعم .. وقوف على حد علمهم بألف ليلة عند نفس مستوى المواطن العربى العادى والذى لا يزعم لنفسه ثقافة أو تثقيفاً .

هو إذن جهل غير مشروع وغير مغتفر ترتب عليه أن نبغ علماء الغرب فى استجلاء كل هينة ودقيقة فى مادة ألف ليلة تاريخياً وفنياً ونقدياً مستخرجين منها ومتأثرين بها من سينفونية «شهرزاد» إلى فيلم «لص بغداد» وما بين هذين المستويين من محاكاة واستلهام ونقل واستشراق «الديكاميرون» ـ بوكاشيو ١٣٥٣ ميلادية «جارجانتوا وبانتا جرول» ـ رابليه ١٥٣٠ ـ «أقاصيص كانتر برى» ـ تشوسر ١٣٩٠ ـ كل العالم استفاد وعرف كيف يستفيد من «ألف ليلة» إلا نحن .. قنعنا بمتابعة السطح أملا فى أن يفتح «سمسم» بابه ونركب البساط السحرى ونعثر على التفاحة الشافية من العلل والأمراض .

بل وحتى هذه الخوارق لم نتوقف عندها كما ينبغى ، بل تعاملنا معها على أنها نوع من الطرفة والتسلية أما أن تكون استشرافاً وإرهاصاً ورغبة فى تخطى المنجزات التقليدية لهذه الفترة .. فهذا كله لا شأن لنا به ! تركناه للغرب ليكتشف أن «البرميل» الذى كان يرفع بالحبال إسحق الموصلى من الشارع إلى القصر يمكن أن يتحقق ويصبح المصعد الكهربائى وأن الخاتم الذى يخرج منه المارد بلمسة واحدة هو حلم إنسانى بعصر التكنولوجيا ومنجزات العلم التى



يقال لها كن فتكون .. والمغارة التى تنفتح تلقائياً بمجرد كلمة سحرية هى أبواب اليوم التى تنفتح وتنغلق بمجرد الوقوف أمامها والمرور منها وجبل المغناطيس الذى يجذب مسامير المراكب فتنخلع وتتحطم أليس هو «الأنغام المغنطة» التى تتجه إلى هدفها فلا تبقى ولا تذر .. وطائر الرخ الذى يحمل الصخرة الكبيرة ويلقيها على السفينة ماذا ينقصه إلا ألف عام ليكون قاذفة قنابل طائرة .. وجراب الكردى الذى زعم صاحبه أنه يضم الحصون والقلاع والحيوانات والأسلحة والجنود والقضاة والكروم والبساتين .. وهل صندوق التليفزيون غير ذلك ؟!

والحديث ما يزال عن ألف ليلة .. وأول ما نجد أنفسنا مضطرين للوقوف عنده هو اسمها .. لماذا ألف ليلة وليلة وليست «ألف» فقط ؟ .. الواقع أن هذا كان اسمها «ألف ليلة» كما نص المسعودى فى «مروج الذهب» ـ ٣١٥ هـ ـ حيث يقول «وكتاب (هزار أفسانة) ومعناه بالفارسية ألف خرافة والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة» .. ولم يخرج «ابن النديم» فى الفهرست عما ذكره المسعودى .

ثم أشار «المقريزى» فى «الخطط» والمقرى فى «نفح الطيب» إلى الكتاب على أنه «ألف ليلة وليلة ونسبا هذه الليلة الزائدة إلى مؤرخ مصرى عاش اسمه وضاع كتابه .. هو «القرطى» وكان معاصراً للخليفة الفاطمى «العاضد» آخر خلفاء الفاطميين ١١٥٠ م .. ولكن لماذا زاد «القرطى» ليلة بعد أن كانت ألفاً فقط ؟ مؤرخ اسمه «جيلد مائيستر» قال إن العرب تتشاءم من الرقم الشفع «المزدوج» وتتفاءل بالمفرد ولهذا قالوا و «ليلة» ! ولو سألنا «جيلد» من أين له هذا اليقين لما وجد نقلا يؤيده أو عقلا يساعده .

وقال آخرون إن سبب الزيادة الرغبة فى أن تكون التسمية ألطف إيقاعاً وأكثر نغمية .. وهؤلاء مثل «جيلد» طافوا وما أضافوا .. وصادوا وما زادوا وإن جاز لنا أن نتصور سبباً للزيادة فليس معنى هذا أننا نضيف أو نزيد لأن العرب ببساطة اعتادوا فى فصحاهم وعاميتهم زيادة الواحد بعد المائة والألف .. نوع من المبالغة اللطيفة وكأنهم يقولون «وليس بعد هذا زيادة لمستزيد»

ولكن ما هى هذه الليلة الزائدة والأخيرة .. ماذا تقول وتحكى ؟ .. بطلها مصرى اسمه معروف الاسكافى وله زوجة سيئة الخلق والخلقة وباطنها كظاهرها قبيح .. فهرب منها وتركها فى مصر وتقلبت به الأحوال والأوطان حتى صار هو السلطان وعلمت زوجته واسمها «فاطمة العرة» ـ بكسر العين وتشديد الراء ، لقب يوحى بالتحقير والازدراء ـ علمت بما آل إليه حال زوجها معروف فاحتالت حتى ذهبت إليه ودخلت واستغفرته من سابق إساءتها فصدق توبتها وأبقاها فى القصر تاكل وتشرب ابتغاء مرضاة الله .. ولكن «فاطمة العرة» أكل قلبها الحسد فقد تزوجت معروف وهو فقير ولم تنجب منه وها هو الآن «سلطان» يحكم ويأمر وقد تزوج وأنجب غلاماً من ضرتها فاحتالت حتى سرقت منه خاتم سليمان وكان قصدها إهلاكه بواسطة خادم الخاتم إلا أن ابن ضرتها لمحها وهى تسرق فعاجلها بضربة سيف قطعت رأسها المشاغب الحقود .. ويقول معروف لولده «أراحك الله فى الدنيا والآخرة كما أرحتنى من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها» .. تقول شهرزاد «وصفت لمعروف الأوقات وطابت المسرات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحى الذى لايموت وبيده مقاليد الملك والملكوت» مجلد ٤ طبعة بولاق صفحة ٣١٧ .. ولاحظ ختام هذه الليلة .. وكيف أنه رثاء مطلق .. ولاحظ أيضاً أنها وضعت فى آخر أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وكأنها إشارة إلى ملك يتضعضع وبنيان يتقوض .

ولعل حكاية السندباد أن تكون أشهر قصص هذا الكتاب وتتضمن سبع رحلات قام بها «سندباد» فى مياه الهند والصين فى عهد ازدهار بغداد والبصرة .. مما جعل الرواة والقصاصين يوشونها بزخرف المبالغة وغرائب التخيلات وعجائب الشطحات .. ومع ذلك فلو جردناها من عنصر اللامعقول لرأيناها تتحد فى التفاصيل مع ما كتبه الرحالة العرب حول ذات الموضوع مثل وصف جزر المهراجا واصطياد الماس فى سيلان بواسطة النسور .. ودفن الزوجة وهى على قيد الحياة إذا مات عنها الزوج فى الهند .

وليس صدفة أن تثير هذه الرحلات السندبادية خيال المستشرقين فتكون أول ما يترجمونه من كتاب «ألف ليلة وليلة» فعل هذا «جالان» المعاصر لعهد لويس الرابع عشر والذى كان يعد فى طليعة جيل المستشرقين الاول .. ثم تابع «جالان» ترجمة ما عثر عليه من مخطوطات ألف ليلة وأتم طبعها فى اثنى عشر جزءاً فى الفترة من عام ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ م .. وظلت هذه الترجمة أكثر من مائة عام هى النافذة الوحيدة التى يطل منها قراء الغرب على كتاب ألف ليلة وبعدها ترجمت من الفرنسية الى العديد من اللغات بدءاً بالانجليزية عام ١٧٠٧ ولا نعرف اسم المترجم الذى قدمها باسم مستعار حتى عنوان الكتاب .. تحولت ألف ليلة وليلة فى الترجمة الانجليزية إلى «سمر الليالى العربية» .

ولا تزال حتى الآن تترجم إلى كل اللغات وتطبع فى كل بلدان العالم .. الرأسمالى الذى رأى فيها «البهرج الشرقى» من خلال لوحة بالألوان الطبيعية لذلك الشرق البعيد المجهول .. والاشتراكى الذى يرى فيها ثمرة الابداع الشعبى التى تعكس آمال وتطلعات الجماهير الكادحة ! «ساليه الروسى ١٩٥٦» .

وإذن فها هو الغرب يقرأها بكل اللغات وعلى كل الموجات فما أكثر ما انفعل بها ولها أكثر من باحث ودخلت ألف ليلة دائرة الشهادات الجامعية من ليسانس وماجستير ودكتوراة .. فماذا عنا نحن باستثناء دراسة الدكتورة «سهير القلماوى» التى نالت بها درجة الدكتوراة .. ثم صمت عميق وعقيم حتى انعقد فى بغداد منذ أكثر من عام «المؤتمر العربى للفولكلور» الذى جعلها ضمن جدول أعماله .. ثم أيضاً صمت عميق عقيم .. ولا تزال ألف ليلة يجتمع لها الذيوع والسطوع والجهل المشروع وغير المشروع ! وإلى لقاء ثان.

المسابقة

حل مسابقة : مَن . أين . ما ؟
العدد ٥٨

من : معاذ بن جبل .
أين : غار حراء .
ما : القرآن .



١ ـ الشمالى الشرقى .
٢ ـ عمر بن الخطاب .
٣ ـ البحر الأحمر .
٤ ـ ١٢١٥ .
٥ ـ الجيلوتين .
٦ ـ لا ليست هذه العبارة صحيحة علمياً .
٧ ـ ليت هنـداً انجزتنـا ما تعـد
وشفت أنفسنا ممـا تجـد
قائله : عمر بن أبى ربيعة .
٨ ـ المسافة بين القاهرة وبغداد أطول من المسافة بين القاهرة ودمشق .
المسافة بين القاهرة وبغداد ٧٥٠ ميل .
والمسافة بين القاهرة ودمشق ٤٥٠ ميل .
٩ ـ ٣٦٠ درجة .
١٠ ـ الامام الشهيد حسن البنا .

مَن . أين . ما ؟

● مـن : ـ
بطل شجاع لقبه سيد الشهداء وأسد الله ، من بنى هاشم ، اسمه من أربع كلمات فى خمسة عشر حرفاً :
١٠ ـ ١٤ ـ ٧ ـ ٦ ـ ١٥ ثمرة الكرم
٣ ـ ٥ ـ ٩ ـ ٤ دهن من اللبن .
١ ـ ١٣ ـ ٢ كسر بعنف .
١٢ ـ ١١ ـ ٧ ـ ٨ مكان للعب .

● أيـن : ـ
موقع فى عاصمة الاسلام الأولى استشهد فيه ذلك البطل . اسمه من كلمتين فى ستة حروف :
٥ ـ ٤ ـ ١ ـ ٢ من يدخل الناس الى الحاكم .
٤ ـ ٣ ـ ٣ ـ ٦ بلدة أستولى عليها اليهود بدون قتال سنة ١٩٤٨

● مـا : ـ
الحيوان الذى اشتهر فى أشعار العرب والذى يمكن أن يكون مصدراً للحوم لو اهتدى العرب فى استغلال مناطق كثيرة فى الصحارى لتربيته وتنظيم صيده بعقل وعلم . اسمه من خمسة أحرف :
١ ـ ٤ ـ ٢ عشيرة أو أقارب .
١ ـ ٣ قرينة الأب .

الجواب الصحيح



١ ـ مؤلف تاجر البندقية هو الشاعر الشهير :
أبو العلاء المعرى ـ شكسبير ـ جوته .
٢ ـ عام الرمادة وطاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة كان على عهد أمير المؤمنين :
عمر بن الخطاب ـ عمر بن عبد العزيز ـ على بن أبى طالب .
٣ ـ «يتبلور الماس طبقاً لهندسة النظام المكعبى» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟
٤ ـ واضع الأساس الأول لعلم الضوء والبصريات هو العالم العربى المسلم :
جابر بن حيان ـ الحسن بن الهيثم ـ الخليل بن أحمد .
٥ ـ يقطع عقرب الثوانى فى الساعة بين كل علامة من علامات الثوانى والتى تليها مقداراً من قوس الدائرة يساوى :
٥ درجات ـ ٦ درجات ـ ٧ درجات بالمقياس الستينى .
٦ ـ كانت كنيته الشاعر العربى الأشهر الذى هجا كافور الأخشيدى :
أبو العباس ـ أبو الحسن ـ أبو الطيب أبو زيد .
٧ ـ تبدأ منابع النيل فى قلب أفريقيا فى دولة :
بوسوتو ـ أوغندا ـ تنجانيقا .
٨ ـ تقع جزيرة حالول فى المياه الاقليمية لدولة :
موريتانيا ـ قطر ـ اليمن .
٩ ـ كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) تأليف العلامة :
الشريف الادريسى ـ الشريف الرضى ـ الشريف البرغوثى .
١٠ ـ من أسماء الأسد فى اللغة العربية ثلاثة مما يلى استخرجها وشكراً :
السفاح ـ القسورة ـ الشنفرى ـ الليث السبع ـ القاتل .

نتيجة مسابقة شهر أكتوبر ١٩٨٠ العدد ٥٨

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : محمد بوسفه ـ المعهد الفنى بمدنين ـ ١٠٠ ع مدنين ـ تونس .
● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارئة : آمنة محمود القطامى .
الرصيفة ـ ص . ب ٣٧٧ ـ الأردن .
● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : شكيب محمد باجرى
ص . ب ٤٠٤٧ ـ ١٠١ كريتر ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

١ ـ هجرس عبد الرحمن ـ الجزائر
٢ ـ على عثمان العوضى ـ السودان
٣ ـ مراد محمد رفعت ـ ج . م . ع .
٤ ـ جابر محمد حسن خليل ـ ج . م . ع .
٥ ـ صالح ابراهيم صالح ـ قطر
٦ ـ صبرى محمد جلبوط ـ سوريا
٧ ـ صالح محمد جمعة جدايل ـ لبنان
٨ ـ جمال محمد أبو هاشم ـ لبنان
٩ ـ محمود يوسف ـ السعودية
١٠ ـ مرح مروان جميل مراد ـ الكويت
١١ ـ ابتسام أحمد الجودر ـ البحرين
١٢ ـ أحمد الخروبى : أثينا ـ اليونان

كلمات عاشت

● جميل أن تبدأ الصداقة بابتسامة والأجمل من ذلك أن تنتهى بابتسامة .

أوسكار وايلد

● ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة .

على بن أبى طالب

● العربة الفارغة أكثر جلبة من العربة المتلئة .

برناردشو

● إن الاربعين عاما الأولى من حياتنا هى محك الاختبار لقدرتنا ، أما الثلاثون التى تليها فهى مرحلة تفسير وتأويل لما مضى .

شو بنهار

● ساعة ضحك فى اليوم أكثر منفعة من زجاجة دواء .

مثل لاتينى

ريمون دريزى
سـوريا

بحكم المهنة



تزوج نشال محترف من نشالة محترفة . ولما وضعت الزوجة مولودها الأول كان به عيب إذ أن يده كانت مقبوضة ، فأسرعت الممرضات إلى تدليكها ، وبعد وقت غير قصير . أمكن فتحها ، فاذا فيها ساعة يد الطبيب الذى قام بتوليد الأم .

أحمـد ورد
حلـب ـ سوريا

ذكاء عراف

تنبأ عراف بموت صديق للملك لويس الحادى عشر فى يوم معين وصدقت نبوءته .

وكان يؤمن بالخرافات والسحر فشك فى أن العراف قد فعل ذلك بقوة ما يعرف من سحر فبيت قتله واستدعاه إليه وسأله :

يبدو لي أنك على جانب كبير من الذكاء فهل تستطيع أن تخبرنى بما يخبئه لك المستقبل ؟

فأدرك العراف ما بنفس الملك وقال له : ينبئنى المستقبل يا مولاى بأننى سأموت قبل موتك بثلاثة أيام .

ومنذ ذلك اليوم أخذ الملك لا يتحرك إلا وبرفقته ذلك العراف للمحافظة على حياته !!

حسين محمد عقبة
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

كلمات لها معنى !

● لا تقاوم الشر بالشر وإلا اشتركت مع الشرير فى شره فماتت الفضيلة بينكما .

«تولستوى»

● النزاع الطويل يعنى أن كلا من الطرفين على خطأ ..

«فولتير»

● لا تستح من اعطاء القليل .. فالحرمان أقل منه .

«على بن أبى طالب»

● كن فنانا فى الكلام لتكون قويا .. فان قوة الرجل فى لسانه وإن الكلام لأقوى من القتال .

«ملك مصرى قديم يوصى ابنه»

● الصديق المزيف .. كالظل .. يمشى ورائى عندما أكون فى الشمس .. ويختفى عندما أكون فى الظلام .

«جبران خليل جبران»

جمال محمد كمال الدين صابر
كلية العلوم بقنا ـ ج . م . ع

الياقوت الذرى !



فى ١٣ سبتمبر عام ١٩٥٧ فجرت فى الولايات المتحدة الأمريكية قنبلة ذرية فى صحراء نيفادا ، وجعلت القنبلة عند نهاية سرداب حلزونى تحت الأرض طوله ٦٠٠ متر وعلى عمق ٢٥٠ متر .

وفى سنة ١٩٦٠ لاحظ العلماء جيمس أولسن ، وكورتس كلنجر ، ووليام جانجس ، أن بعض الصخور تحولت الى كريستال متهشم .

أما الشىء المذهل فى ذلك فهو أن بعض الصخور قد تحولت الى ماس وياقوت .

محمد عبد الرحمن سيدين
الدقهلية ـ مصر

أيام الراحة



هذه الأيام كانت أيام راحتهم الأسبوعية :

الأحد : وكان يوم الراحة لدى الرومان .

الاثنين : وكان يوم الراحة عند قدماء اليونان .

الثلاثاء : وكان يوم الراحة عند الفرس .

الأربعاء : وكان يوم الراحة عند الآشوريين .

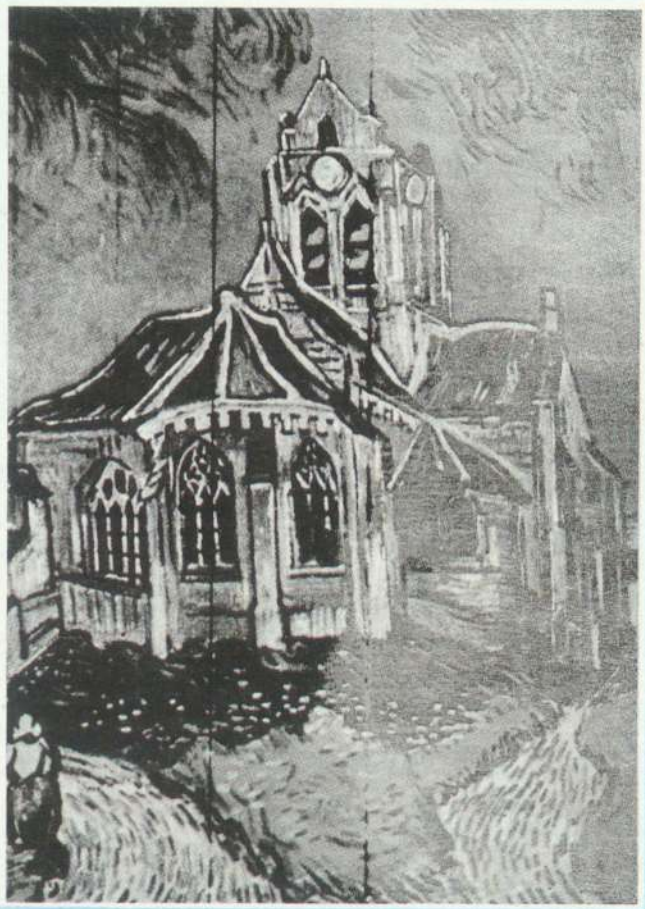
الخميس : وكان يوم الراحة عند قدماء المصريين .

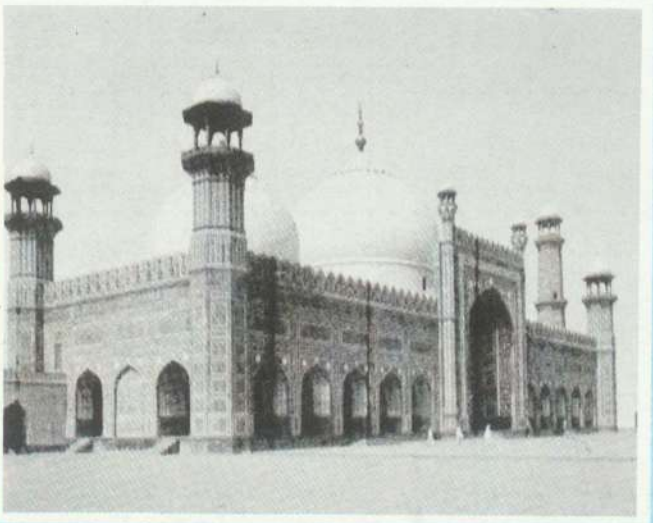
الجمعة : وهو يوم الراحة عند المسلمين .

السبت : وهو يوم الراحة عند اليهود .

خالد رستم
دمشق ـ سوريا

حـــــاول أن تعـــــرف ● ● ●





▲ مسجد من أكبر مساجد العالم ـ يقع فى دولة اسلامية آسيوية ـ بنى منذ أكثر من ثلاثمائة عام .
ما اسم هذا المسجد وفى أى مدن تلك الدولة يقع ؟

◀ فنان شهير ولد فى هولندا عام ١٨٥٣ ـ عمل مدرساً لمدة عام واحد فى انجلترا ثم عاد الى هولندا ـ بدأ الرسم عندما كان عمره ٢٧ سنة ـ استمر يرسم لمدة عشر سنوات ثم مات بعد أن أصبح اسمه ضمن رواد المدرسة التأثيرية .

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٥٨

● الصورة الأولى ـ البلد : المغرب ● الصورة الثانية : ـ الفنان : بابلو بيكاسو .



● الصورة الأولى :
١ ـ عبد الله على التعزى ـ السعودية
٢ ـ هند ابراهيم زاهر ـ ج . م . ع .



● الصورة الثانية :
١ ـ أحمد عارف الفانى ـ لبنان .
٢ ـ نجيب عبد القادر عبد الله .
جمهورية اليمن الديمقراطية .

قـــالـــوا ...

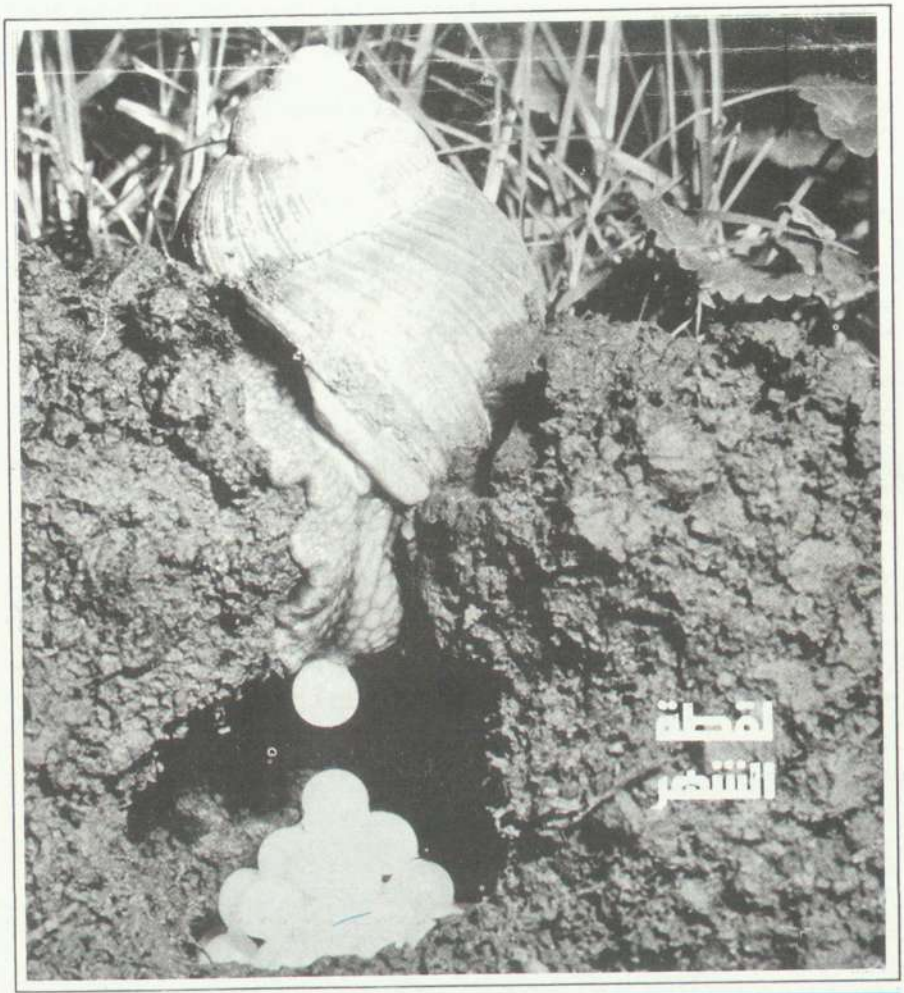
● لست آسفاً إلا على أنى لا أملك سوى حياة واحدة أضحى بها فى سبيل وطنى .
«نيلسون»

● قد تكبر الصداقة وتقوى فتصير حباً .. ولكن الحب لا يمكن أن يصغر ويضعف فيعود صداقة ..
«بيرون»

● لو كان الرجال لا يتزوجون إلا ممن يحبون .. لمات أكثرهم عذاباً !
«ستيفنسون»

● من هى الزوجة ؟ هى المرأة التى تصنع من الرجل طفلا .. ثم تعود فتصنع من الطفل رجلا !

عبد الواحد عثمانى
تلمسان ـ الجزائر



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : فيصل حريتانى . ـ سوريا .

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريـــال

من عجـائب المخـلوقات



ـ تستطيع سمكة (البيرانها) المتوحشة أن تشم رائحة الدم على بعد ١٥ ميلا .

ـ سمكة الصندوق يمكنها أن تخرق بطن أى سمكة أخرى تبتلعها وتعود ثانية للحرية .

ـ لسمك «الايوى» الذى يعيش فى مياه جزر تاهيتى شفاه بلون الياقوت الأحمر

ـ سمكة النهار الطويلة الأنف تبدو كما لو كانت قطعة من خشب تجرفها المياه ولكنها لا تخشى أى عدو سوى الصيادين من البشر.

ـ البجعة الصامتة لا يصدر منها أى صوت إلا فى موسم الزواج .

ـ الخفاش مصاص الدماء الذى يعيش فى المكسيك وأمريكا الجنوبية يشرب من الدماء فى ليلة واحدة ما يزيد عن وزنه .

محمد حلمى محمد الامام
منيل الروضة ـ القاهرة

كاريكاتيـــر وتعليـــق العـــدد «٥٨»



١ ـ الخادمة للسيدة : وماذا افعل لو انقطع التيار الكهربائى ؟

غسان جعفر عبد الرحيم
واد مدنى ـ السودان

٢ ـ الخادمة : تأكدى يا سيدتى أن التيار ـ بهذه الطريقة ـ لن ينقطع أبداً .

عصام حيدر حسين ـ اليمن الديمقراطية



درويش مصطفى الفار

القرن الخامس عشر

غاب قرنٌ أم هلّ قرنٌ جديدُ ... ليتَ شِعْرِي هَلْ يا جديدُ تجودُ
جئتَ يا قرنُ إثْرَ قرنٍ ارْقْنَا ... فيه ما حازَ بالدّماءِ الجُدودُ
إذ طوتْنا الأهواء حتى غَدَوْنا ... زُمَراً مزّقتْ حمانا الحدودُ
نَبذلُ الوُدَّ فى أكُفِّ عِدانا ... باسُنا بيننا قويٌّ شديدُ
أتُرَى فيكَ ريحُ بدرٍ وحِطّين ، وروحُ اليرموكِ عَجْلَى تَعُودُ
أم تَرانا نَبْقَى لآخرِ الدهرِ ، غُثَاءً كما يُريدُ اليهودُ
ما لدينا من عينِ جالوتَ إلا ... ذكرياتٌ ، سَرابُ قاعٍ شَرُودُ
كلُّ فَتْحٍ الى زوالٍ إذا لَمْ ... يَحْمِهِ أن يَضِيعَ عزمٌ رشيدُ
ضَاعَ منا ما ضَاعَ حِينَ اسْتَهَنّا ... بالذى خطّطَ العزيزُ الحميدُ
ربِّ يا مُنْزِلَ الكتابِ أغِثْنَا ... من مآلٍ صارت إليهِ ثمودُ
يا مُنجّي الخليلَ فى أورَ من لَهَبِ النارِ التى قد أوقدَ النّمرودُ
يا مجيباً دعاءَ أيوبَ لما ... مسّهُ الضُّرُّ والشّفاءُ بعيدُ
قد دعاكَ الذى استَفَهُ الحوتُ ففَرّجْتَ كَرْبَهُ يا ودودُ
قال موسى يا ربِّ أنتَ مُجيرِى ... فاسْقِ فرعونَ كيدَهُ إذ يَكِيدُ
كنتَ لابنِ البَتُولِ خيرَ نصيرٍ ... فى رُبَا القُدْسِ إذ طَغَى هَيْرُودُ
أنتَ يا ربِّ دونَ أىِّ شريكٍ ... وحدَكَ القادرُ العلىُّ المجيدُ
أنت فى الذرة الدقيقة سرٌ ... لا تَرَاهُ الأبْصَارُ وهْىَ شُهُودُ
أنتَ مُنشِى السَّدِيمِ مُزْجِى سحابٍ ... بالرَّوى ولولاكَ ما اخْضَرَّ عودُ
أنتَ أصلُ الكمالِ لا يُدْرِكُ الحسُّ مَدَاهُ وَمَا حَدَّكَ التَّحديدُ
أنتَ بانِى الجبالِ شُمّاً ضِخَاماً ... راسياتٍ إذا تشاءُ تَميدُ
أنتَ سِرُّ الزمانِ كلَّ مكانٍ ... أنتَ أوجَدْتَهُ فمِنْكَ الوجودُ
أنتَ اللّهُ ذو الجلالِ لكَ الأمرُ وإنْ ضَلّ كافرٌ او كَنُودُ
ثالثُ اثنين كنتَ فى غارِ ثورٍ ... يوم أن عَمَّ فى قريشِ الجحودُ
بعدَ عَشْرٍ مِنَ الضَّنَى كالِحاتٍ ... وثلاثٍ منها الجبالُ تَنُودُ
هَاجَرَ المُصطفى لِيثربَ لمّا ... أذنَ اللّهُ للأُولى أن يَسُودُوا
فَبَنَى الدولةَ التى مدّنتِ النّاسَ جميعاً شِعارُها التوحيدُ
كان فى خَلْقِهِ سَوِيَّ المُحَيَّا ... وهْوَ فى الخُلْقِ احمدٌ محمودُ
زانَهُ اللهُ من لَدُنْهُ بِعِلْمٍ ... فهو فى عِلْمِهِ وحيدٌ فريدُ
سيّدِى المصطفى عليكَ صلاةٌ ... والسلامُ المباركُ المَنْضُودُ
عددَ الرملِ والحَصَى والمجرّاتِ وما يَحتَوِيهِ وجودُ
كُلّمَا هَبّتِ الريحُ أو هَطَلَ الغيثُ ودَوّتْ بِذَاتِ بَرْقٍ رُعُودُ
جئتُ عبرَ القرونِ أهْدِى نَشِيدِى ... لرحابِ المُختارِ كانَ النشيدُ
قد تجاوزتُ إذ أسُوقُ قصيدى ... أنتَ فوقَ الذى حَوَاهُ القصيدُ
إنه الوجدُ يا شفيعَ البَرَايا ... ليسَ تُثنيه عن حماكَ قيودُ



بيبسى

مشْـروب الجيْـل الصَاعدْ